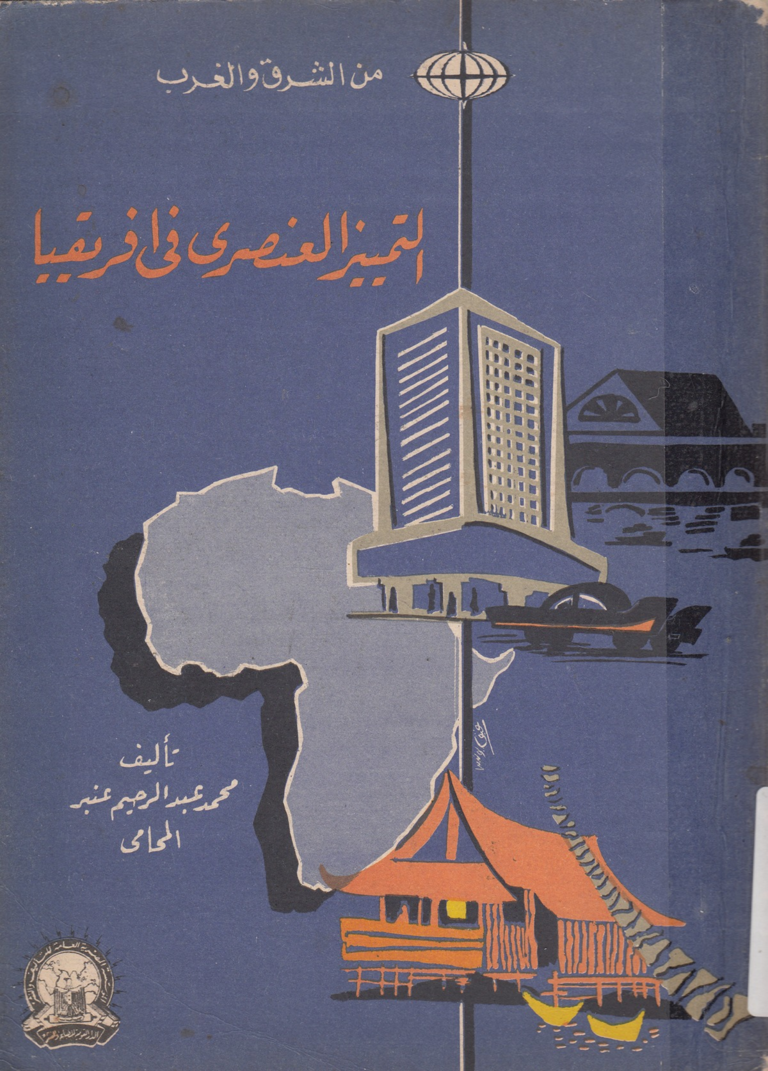

من الشرق والغرب
التمييز العنصرى فى افريقيا
تأليف
محمد عبد الرحيم عنبر
المحامى

من الشرق والغرب

التمييز العنصري في افريقيا

تأليف
محمد عبد الرحيم عنبر
المحامي



الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر

مقدمة

ان العنصرية « كفلسفة » أو « عقيدة » ولدت فى الشعب اليهودى ، واستشهدوا عليها ، بنصوص من « العهد القديم » ، باعتقادهم أنهم شعب الله المختار •

وجاء بعدهم الأوروبيون الذين استغلوا التعصب الدينى فى القرون الوسطى فى حربهم الاستعمارية الكبرى ضد الشعوب الاسلامية بحجة أنهم ليسوا مسيحيين • وقد كانوا فى ذلك ـ ولاشك ـ يمارسون التمييز العنصرى كما مارسه اليهود •

ومن العجيب أنه فى العصر الحديث أقام هتلر « الرايخ الثالث » على نفس العقيدة فى المانيا ضد اليهود أصحاب العقيدة ذاتها •

ولما تبددت هذه « الخرافة الدينية » أيد الاستعماريون نفس العقيدة « كمبدأ سياسى » أساسه عدم المساواة بين الرجل الأبيض وغيره من الملونين أو السود سواء فى أفريقية أو فى الولايات المتحدة ، وهما القارتان الوحيدتان اللتان نكبتا بهذه الوصمة الانسانية التى بدأت مطارق المقاومة والاستنكار تنزل على رأسها سواء من الشعوب المنكوبة بها ، أو من المحافل والمجتمعات الدولية •

وكما كان للاضطرابات التى حدثت فى قرية « شاربفيل » فى اتحاد جنوب أفريقية فى مارس ١٩٦٠ من اثر عميق فى جذب انتباه العالم والشعوب الأفريقية الأخرى الى « جرثومة التمييز العنصرى » فان نفس الأثر قد كان للاضطرابات التى حدثت فى ولاية « الاباما » ، احدى الولايات المتحدة ، فى مارس ١٩٦٥ بزعامة الدكتور لوثركنج العالم الزنجى الحاصل على جائزة نوبل للسلام •

ولقد تبارى زعماء العالم ، ومفكروه ، والسياسيون فيه فى بيان خطر هذه « الجرثومة الخبيثة » على الحضارة الانسانية والسلام العالمى •

فقد حذر لورد كارادون سير هيرفوت ، رئيس الوفد البريطانى فى الأمم المتحـــدة ، من أن الحرب العنصرية التى بدأت فى جنوب أفريقية وانتشرت فى جميع أنحاء العالم تعتبر أخطر كثيرا من الحرب النووية •

وقال المؤرخ البريطانى الكبير « أرنولد توينبى » فى مقال حديث له :

« فى الحقيقة ان الجرائم التى ترتكب ضد أى جنس من الأجناس البشرية فى أى مكان فى العالم هو أمر يخص البشرية كلها • فاضطهاد الأقلية الأوروبية للأغلبية الأفريقية ليس جرما فى حق الأفريقيين وحدهم وانما فى حق الجنس البشرى كله • فان ما يجرى الآن فى جنوب أفريقية وفى روديسيا يثير استياء وضمير الرأى العام العالمى كله • لذلك فان من حق العالم ، بل من واجبه ، أن يتدخل فى هاتين الدولتين لازالة هذه الاهانة الموجهة الى البشر كلهم • وليس هناك ما يمنع من استخدام القوة المسلحة كوسيلة أخيرة للتدخل ، اذا لم تفلح الوسائل الأخرى الأقل عنفـــا » •

وجاء فى الميثاق الوطنى عن ذلك :

« ان اصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو ادراك للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى • ان الاستعمار فى واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال ثروات الشعوب وجهدها • وليس التمييز العنصرى الا لونا من ألوان استغلال ثروات الشعوب وجهدها . فان التمييز العنصرى بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين جهودهم • ان الرق كان الصورة الأولى من صور الاستعمار • والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر أثرها على ضحاياهم ، وانما يلحقون الأذى بالضمير الانسانى كله » •

ويعالج هذا الكتاب التمييز العنصرى كنظرية ، وأهم التطبيقات لهذه النظرية فى أفريقية بالذات مشيرا الى جذورها الضاربة فى أعماق التاريخ• وأفريقية هذه ـ كما نعلم ـ هى مهد الحضارة ، وموطن الانسان الأول !

وان كل جهد يبذل فى اعطاء صورة واضحة عن « جرثومة التمييز العنصرى » لهو رصيد جديد يثرى الحضارة الانسانية ، ويوقظ الضمير العالمى •

مايو سنة ١٩٦٦

محمد عبد الرحيم عنبر
المحـــامى

الباب الأول
العنصرية بين العلم والتاريخ

الفصل الأول ـ أفريقية مهد الحضارة الأولى
الفصل الثانى ـ أفريقية ذات نسيج حضارى واحد
الفصل الثالث ـ تجارة الرقيق كمقدمة للاستعمار والعنصرية فى أفريقية
الفصل الرابع ـ الفلسفة العنصرية بوجه عام

الفصل
الأول : افريقية مهد الحضارة الأولى

ان الحقيقة التى أثبتها التاريخ أن لنشاط سلالة من سلالات الجنس البشرى أثره فى نمو الحضارة وتطورها ، وبالتالى امتياز هذه السلالة، وتفوقها على غيرها ٠ وقد يؤدى هذا الى تقوية مركز السلالة المتفوقة اقتصاديا ، أو سياسيا ، أو عسكريا ، وربما دوليا أيضا ٠ فالمسألة مسألة ظروف وليست مسألة جنس أو تفرقة عنصرية كما يسمونها ٠

وهناك من يقرر أن فكرة النشوء التلقائى Spontaneous Generation قد طرحها علماء البيولوجيا جانبا منذ أمد طويل ، ومع أن هؤلاء العلماء يقرون أن كائنات معينة قد تتطور لأسباب مجهولة ، وتبعث الى الوجود بفصائل جديدة ، الا أنهم مقتنعون اقتناعا عميقا بأن كل الكائنات الحية تشترك فى وحدة جوهرية ٠ وحتى حينما يعجزون عن اثبات فكرة الاستمرار Continuity فانهم يسلمون بصحتها ٠ ومؤدى هذه الفكرة ان كل كائن حى متصل فى النهاية بكل كائن آخر(١) ٠

ومن الخطأ أن نعتقد ان الارتقاء قد حدث بصورة تلقائية فى كل أنحاء العالم ٠ بل ان كل مانعرفه عن نمو الثقافات ، وانتشارها انما يبين أن أغلب الجماعات فى العالم التى تخطت مرحلة جمع القوت ، ومارست أى فن من الفنون ، أو اية حرفة من الحرف الأساسية انما تدين بالفعل فى رصيدها الثقافى لجماعة أخرى مع استثناء جماعة واحدة هى البادئة(٢) ٠

ومن الواضح أنه لم يكن فى العالم بأسره – فى قديم الزمان – سوى اقوام تنتمى ثقافتها الى مرحلة جمع الطعام حيث لم تكن بدأت زراعة

---

(١) نمو الحضارة The growth of Civilisation W. J. Perry ترجمة لويس اسكندر باشراف وزارة الثقافة ٠ ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٧ ٠

ما تحصل منه على قوتها ، أو استئناس الحيوان الذى تأكل لحمه أو تشرب وتستغل لبنه ٠

وبعد عدة آلاف من السنين اكتشف الانسان زراعة النباتات ، وتربية الحيوانات الغذائية ٠ وبذلك بلغ من الثقافة مرحلة انتاج الطعام ٠

وتدل الآثار على أن الارتقاء الكبير فى ثقافة العصر الحجرى القديم انحصر فى جزء محدود نسبيا من سطح الكرة الأرضية ، كما تدل على أن انسان هذا العصر قد عرف النار منذ أزمنة سحيقة جدا وأنه كان ينتقل فى جماعات وراء مصادر المواد الخام ٠

اما أعظم نشـــاط فى العصر ذاته كان فى مصر ٠ وكان للمصريين أسلوب رائع فى شطف الحجر بطريق الضغط ٠ كما أنه لم يكتشف فى أى بلد من بلاد العالم صناعة صوانية تماثل فى رقتها تلك التى قامت فى مصر وفرنسا وأسبانيا ٠ ومن الجائز أن الاختراعات المتنوعة اهتدى اليها الانسان فى آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وبلاد العرب ثم نقلت الى أوربا(١) ٠

واذا أردنا أن نبحث عن الجهة التى بدأ فيها انتاج الطعام فيجب أن نذكر أن شواطىء البحر الأبيض كانت مسرح الارتقاء الأساسى للثقافة فى العصر الحجرى القديم ، وأن أعظم الحضارات القديمة وأسبقها نشأت فى تلك المنطقة(٢) ٠

يقول الأستاذ اليوت سميث فى الطبعة الثانية من كتابه « المصريين القدماء » :

« لقد فعل المصريون أكثر بكثير من مجرد ابتكار الزراعة ، وابتداع أقدم الديانات ، وفنون الحكم ٠ فلم يقتصر عملهم على التفنن فى الصناعات الخشبية والحجرية ، وفن البناء ، بل يبدو أيضا أنهم عرفوا الكتان ، وحرفة النسيج ، واستعملوا الذهب والنحاس ، وصنعوا أدوات ومعدات معدنية ٠ وكانوا أول من حسب السنة الزمنية ، وابتكروا التقويم ، ثم استبدلوا بالحساب التقريببى الذى يقوم على تاريخ الفيضان السنوى قياسا دقيقا يقوم على ملاحظة حركات الشمس ٠ كذلك اخترعوا فن بناء

---

(١) المصدر السابق ٠ ص ٢٨ ـ ٣٠ ٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ ٠

السفن ، وشيدوا أول مراكب تجوب البحار . وتتجلى أصالة تلك المدنية المصرية فى آلاف التفاصيل التى تتكون منها مدنيتنا نحن . فهناك فن الحلاقة ، واستعمال الشعر المستعار ، وارتداء القبعات والأخفاف وأنواع أخرى من الملابس .

وهناك الى جانب ذلك الكثير من الأدوات الموسيقية ، والمقاعد ، والأسرة ، والوسائد ، والمجوهرات ، والعلب التى توضع فيها ، ومصابيح الاضاءة .

كل هذا قليل من كثير من ذلك الميراث القديم الذى انحدر الينا من وادى النيل(١) .

ونحن فى بحثنا عن نشأة أى فن أو حرفة يجب أن نحصر انتباهنا فى الظروف التى كانت قائمة فى المجتمع الذى نظن أنه كان موطن هذه الحرفة أو ذلك الفن . ويظهر هذا جيدا فى حالة اكتشاف استعمال النحاس . فالمعزوف أن المصريين فى عصر ما قبل الأسرات كانوا يطلون وجوههم بمسحوق أخضر ، يحصلون عليه من تفتيت خام النحاس الأخضر وصحنه(٢) .

وفى هذا الصدد يقول مستر دونالد ماكنزى أنهم كانوا يعتبرون اللون الأخضر يبعث الحياة . والسبب فى هذا أنهم كانوا يرون أنه لون مياه الفيضان حين تكون محملة بالمواد النباتية القادمة مع النهر من السودان . وبمرور الوقت وجدوا أن ذلك الدهان الأخضر اذا ما صهر أنتج النحاس . ومن هذا المعدن صنعوا الخرز ، والشرائح المعدنية ، والدبابيس ، ثم المدى والأزاميل . يعتبر اختراع الأزاميل من أهم الأحداث فى تاريخ العالم . فهو الذى أدى الى التقدم الثقافى العظيم الذى بدأ فى عهد الأسرة المصرية الأولى . ويجب الا يغيب عن الذهن ، فيما يتعلق باستعمال النحاس فى صنع الأزاميل ، أنه لا يوجد فى أى بلد آخر من بلاد العالم ما يماثل هذا الذى حدث فى مصر . ومن السهل أن يقول قائل ان المستقبل قد يمدنا بأدلة على أن الانسان قد توصل فى جهة أخرى من العالم الى اكتشاف النحاس . وردنا على هذا أنه حتى يجئ

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

ذلك الدليل يجب أن نرضى بهذا الدليل القائم اليوم عمليا ، وهو أن المصريين هم الذين اكتشفوا استعمال النحاس .

ولقد أجمع الثقاة على أن المصريين هم أول من بنى سفنا تجرى فى المحيط . وليس أبعد عن الصواب من أن يظن بعض الناس أن قدماء المصريين لم يبرحوا وادى النيل . فمنذ بدء الأسرة الأولى على الأقل (سنة ٣٣٠٠ ق.م) كانوا يرسلون حملاتهم الى البلدان الأخرى للحصول على مواد مختلفة يرغبونها . ولهذه الحقيقة علاقة هامة بموضوع نشأة الحضارة وانتشارها . والى جانب ذلك فان أقدم السفن البحرية التى وجدت لدى شعوب أخرى انما بنيت على طراز السفن المصرية . وعلى هذا فالى مصر وحدها يرجع الفضل فى أنها كانت الرائد الأول فى بناء السفن . ولها بحق أن تنال هذا الشرف حتى يقوم الدليل على العكس(١) .

وهناك ابتكاران آخران يعود فضل السبق فيهما الى المصريين وهما : الحروف الأبجدية ، والتقويم الشمسى . وقد توصل المصريون الى وضع الحروف الأبجدية فى عهد الأسرة الأولى . والمعروف أن كل الحروف الأبجدية الأخرى اشتقت من هذا المصدر الأصيل .

أما التحنيط فلاشك فى أنه من أهم ما ساهم به المصريون فى ثقافة العالم ، اذ تتركز حوله طائفة كبيرة من المعتقدات والعادات ورد ذكرها فى كتاب « نشأة السحر والدين » ويتصل به ما فعله المصريون من تطوير أفكارهم عن الحياة بعد الموت . وبهذا بدءوا سلسلة من الثقافة ليس فى الاستطاعة تقدير نتائجها الهائلة (٢) .

واذا درس القارىء مؤلفات مثل كتاب « الفن البدائى فى مصر Primitive Art in Egypt » للأستاذ كابارت فسوف يقتنع بأن المصريين القدماء كانوا أول من توصل الى الاختراعات . كما يقتنع بأن مصر اذا قورنت بمجتمعات أخرى من المجتمعات القديمة مثل سومر ، وعيلام ، وكريت فلها بينهم موضع الصدارة ، وكلما ازداد معين معرفتنا وعلمنا تأكد لنا فى وضوح أكثر ما كان لهم من سبق وتفوق (٣) .

ومن المستحيل عمليا أن نبين أى عنصر من عناصر الثقافة قد أدخل على مصر من الخارج فى ذلك الزمان السحيق . وقد يبدو هذا القول

(١) المصدر السابق ص ٤٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٨ .

جريئا . فان رأى القارىء المتشكك ذلك فما عليه الا الرجوع الى مؤلفات مثل كتاب Summer & .d Akkad للأستاذ L.W. King وكتابه الثانى Egypt and Western Asia الذى اشترك فيه مع الأستاذ H.R. Hall حيث يعترف الكاتبان اعترافا حاسما بعجزهما عن التثبت من وجود أى تأثير للثقافة البابلية فى مصر .

ويسوقنا هذا الى نقطة بالغة الأهمية فى نظرية ارتقاء الحضارة ، وانتشارها ... فقد اتضح ان مجتمعا واحد من المجتمعات القديمة لم يبلغ ما بلغته مصر فى تملكها ناصية الحرف والفنون فى مجموعها (١) .

ولم ينحصر تفوق المصريين على شعوب عيلام ، وسومر ، وكريت وغيرها من الشعوب القديمة المعاصرة ... فى الأسلوب الفنى فحسب ، بل ان ثقافتهم كانت أغنى من ثقافة أى مجتمع آخر ينتمى الى نفس العصر . بل ويتجلى هذا التفوق منذ أقدم العصور ، التى يمكن أن تعقد فيها مقارنة، ويظل قائما آلافا من السنين حتى اضمحلت مصر اضمحلالها الأخير ، وانتقلت زعامة الحضارة الى أيدى اليونانيين (٢) .

ومما لاشك فيه أن الحضارة المصرية ، فى عصر مينا ، قد أثرت فى حضارة اليونان. يقول الأستاذ آرثر ايفانز :

« عند ما نعلم كم من العناصر المشتقة من العصر المينوى طالت حياتها فى أرض هيلاس (اليونان) Hellas يتجلى لنا على الفور معنى فضل مصر التالد . وتبدو لنا المؤثرات المصرية التى كانت تعتبر حتى الآن مجرد حدث ثانوى ، أصلا قائما فى مهد حضارتنا (٣) .

ويرجع الأغريق أسراتهم الحاكمة القديمة الى أصول فى بلاد تقع الى الجنوب منهم وأخصها مصر . فنطالع فى القصص الأغريقى أن دانوس، مؤسس الأسرة المالكة فى أرجوس ، جاء من مصر . وزيادة على ذلك كان المفروض أن دانوس هذا ابن ملك مصر ، وابن شقيق ملك فينقيا . أى أن الأغريق ربطوا أقدم أسراتهم الحاكمة بالأسرات الحاكمة فى مصر. والمعروف أن هيرودوت كان مقتنعا أن الأغريق قد أخذوا عن المصريين آلهتهم (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٢ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ .

وان هجرة الأفريقى داخل قارته ، واقامته فى أنحائها العديدة ، بدأت من سنين ممعنة فى القدم ... لاسبيل معها الى معرفة الطرق التى اتخذها فى تجواله ، أو العوامل التى استجاب لها حين كان يجول جولاته ويستقر لأن تكاثر الانسان فى أفريقيا، واستقراره أو هجرته فى أرجائها بدأت من ملايين من السنين لا يعرف عددها حتى الآن بشكل قاطع (١) .

وحوالى عام ٥٠٠٠ ق.م. ظهرت على وجه القارة نماذج جديدة من البشرية . وكان أظهر هذه النماذج الزنجى ، أو شبيه الزنجى ، عثر المنقبون على آثاره الباقية قرب الخرطوم الحالية .

وجاءت سنة ١٩٥٨ بأضواء جديدة على سجل ظل حتى ذلك التاريخ مظلما ، كثيف الظلام . فقد رجع لباريس رحالة فرنسى من جولة طويلة فى الصحراء الكبرى يحمل مجموعة من صور رائعة التقطها لحفر وصور على الصخور ، أبانت التاريخ البشرى على نطاق وصورة لم يعهدها أحد من قبل . رأى الناس فى هذا العرض أساليب متنوعة للتصوير وللحفر على الصخور دلت على سلسلة مذهلة من الشعوب تعاقبت على الصحارى عبر الملايين من السنين .

رأوا صورا لنساء ورجال وحيوانات ابدعتها أصابع فنانة حساسة. رأوا صورا للحرب وأخرى للسلام . هذه تمثلها القرى والمزارع الخضراء، يحيط بها الأمن ، وتلفها الدعة . وتلك تمثلها عربات ورماح ودروع حولها صخب وضجيج (٢) .

وأبدع هؤلاء الفنانون الأقدمون فصوروا آلهة بارعة لاشك فى أنها أتتهم من مصر القديمة . ويرجع العلماء الذين فحصوا هذه الآثار أن أيديا زنجية صنعتها سنة ٤٠٠٠ ق.م. ، أو بعدها بقليل .

وقد درس هذا الرحالة الفرنسى ، فى صبر حميد ، أسلوب التصوير والحفر على الصخور التى عثر عليها ، وانتهى الى أن الصحراء عرفت ستة عشر شعبا وفترة ، لا أربعة شعوب وأربع فترات من الاستيطان فحسب . حقائق ثورية ما خطرت للعالم قبله ، فقد كانت الصحراء حتى ذلك الحين كتابا مغلقا ، ماحسب أحد أن قدما قد سارت يوما ، أو أن الحياة قد سرت ، فيه (٣) .

---

(١) أفريقيا تحت أضواء جديدة . باذل دافدسن . ترجمة جمال . م . أحمد . ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤٩ .

الفصل
الثانى : افريقيا ذات نسيج حضارى واحد

يعيش الحاميون فى أيامنا هذه فى الشمال الشرقى من القارة • ويكثر شعب البانتو فى الشطر الجنوبى • أما الزنوج فيسودون غرب القارة •

وهذا التوزيع للأجناس هو توزيع جغرافى ، أو لغوى ، اقتضته الضرورة العلمية ليتيسر البحث ، وادراك ماجريات التاريخ القديم والحديث للقارة • ولايعنى مطلقا أن شعبا منها هو أكثر الشعوب شأنا من غيرها •

ويهمنا أن نؤكد ـ كما سبق ان قلنا ـ أن علو الشأن وانحطاطه فى الشعوب بوجه عام نظرية قديمة لا أساس لها من علم ، أو تاريخ •

ومن باب أولى فى قارتنا بالذات ، التى لهـا ـ بعكس غيرها من القارات ـ نسيج حضارى واحد ، وتاريخ حضارى واحد بدأ من الشمال ثم زحف الى الجنوب على الأرجح • وان كان هذا لايعنينا فى كثير أو قليل أمام هذه الوحدة التاريخية ، والحضارية ، والنفسية الواحدة التى أثبتها العلم ، وأكدتها الآثار •

وهناك سبب آخر يدعونا لتأكيد الوحدة الافريقية القديمة ، وهو أن كثيرا مما خلفه الأفريقيون فى الماضى يرده اشباه العلماء الى « شعوب خارج القارة » لايتبينونها ، ولا يحددونها ، ولا يوضحون أصولها ، ولا يفسرون لنا من أين جاءت ، اذ لم يكتفوا بأن خلقوا أسطورة علو الحاميين على الزنوج ، مدعين أن الزنوج أعجز من أن يقوموا بهذه الآثار الفنية الرائعة على النحاس ، أو البرونز ، أو غيرها • كل شعوب الأرض ادعت ان لها نصيبا من هذه الآثار ولكن التنقيب الحديث قد أثبت بالدليل القاطع أنها كلها من أصول أفريقية بحتة(١) •

---

(١) المصدر السابق • ص ٥١ •

ولم تشرع الصحراء الكبرى تفقد خصوبتها الا فى الأربعة آلاف سنة الأولى قبل ميلاد المسيح . نضبت مياهها قليلا على مر الأيام ، فجف ما كان يجرى نحو الشرق يرفد نهر النيل ، ويسيل للغرب يرفد نهر النيجر . وأكبر شاهد على خصبها القديم هذه الأحواض اليابسة والمجارى الجافة التى يراها الآن المسافر فى أقطارها المختلفة ، تغطيها الرمال ، وكانت من قبل دافقة المياه . وهجرت الشعوب الأقليم الذى انقطع مورد المياه فيه كما دلت الآثار التى عثر عليها قرب مدينة الخرطوم كما قدمنا . فقد أشارت هذه الآثار بوضوح الى أن أقـــدم زنوج العصر الحجرى كانوا يعيشون هنـــاك حيث اهتدوا الى فنون العصر وصناعاته ، ووضـــعوا باكتشافاتهم اللبنات الأولى التى قامت عليها حضارة النيل العظمى .

ولاشك أنهم مشوا خطوات نحو حضارة غير مسبوقة . من صنعهم ، ووحى أرضهم . صنعوا الفخار ، وصنعوا أسنة ذات شرشرة لرماحهم التى صنعوها من العظام ، واستبدلوا بها فيما بعد صنارات كبيرة ذات أسنان ، لها مقابض مثقوبة لصيد الحوت .

وتشهد النوبة الوسطى بصلة الصحراء هذه من ناحية ، وبخصبها من ناحية أخرى . فآثار المياه التى نضبت ، والخضرة التى جفت تراها واضحة حيث ذهبت . والقليل الذى لقيه العلماء هناك يدل على أنها كانت غنية بآلاف الأبقار والضأن ، ولم تعرف الفقر(١) .

ومع ذلك لم تكن القطيعة المفروضة بين الشمال والجنوب ، بسبب هذا الحاجز الرملى الهائل ، كاملة . فقد كان بين الشطرين طريق للتجارة يتجه من فزان فى الشمال ، الى النيجر فى الجنوب . وكان بينهما طريق على ساحل البحر الأحمر يطوق الجانب الشرقى فى قرن أفريقيا . طريقان استعملا للغارة والتجارة بين الشطرين رغم وجـــود الصحراء . وكان القرطاجينيون رابطة قوية بين الشطرين تجوب سفنهم الجانب الغربى من أفريقيا ، تربطه بالشمال والشمال الشرقى . ومضت قرون بعدهم عرف فيها أهل الصحراء الخيل حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد ، وعرفت المركبات . وتقدمت الشعوب فى أكثر من مجال(٢) .

ولانريد بهذا ان نوحى بأن شعوب القارة كانت على درجة واحدة من الحضارة أو الثقافة . لا ، اذ لم يكن بد من أن تنمو هذه القارة ـ الضخمة

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٥ .

المترامية الأطراف ـ نموا غير متسق • لايتماثل كل جزء منها مع الجزء الآخر • فبعض الشعوب لم يكن فى وسعها ـ لعوامل معينة ـ أن تلحق بالبعض الآخر فى سباق التنافس والتقدم • ففى بعضها الغابات والسهول والجبال العالية ، والجو الصحى الملائم ، والرى المتوافر حيث تجرى الأنهار العظيمة والبحيرات الواسعة ، أو تتدفق مياه الآبار العميقة الغنية• وفى بعضها الآخر الجفاف ، والمستنقعات والمناخ القـــاسى ، والأمراض المتوطنة • وفى شمالها التقت حضارات الهلال الخصيب ، يتفاعل بعضها مع بعض ، وينافس كل منها الآخر ليتفوق ويبدع ، حتى استطــاعت شعوب هذه المنطقة ان ترقى الى مفاخر عصر البرونز وبهائه ، لاتخترق الصحراء الكثيفة الا اصداء خافتة منه ، ونشأت المدن الزاهرة ، وانتشرت المروج الخضراء • وفى الجنوب خمدت الحضارة نوعا أو تخلفت • مع ذلك تدلنا الآثار على أنه حتى غابات بلاد الكونغو الكثيفة ، التى تقوم حولها كالحائط ، قد اخترقتها فى قديم الزمان قبائل عديدة لاتعرف لها اليوم اسما •

وكان فى وسع الشعوب الأفريقية أن تهجر ما تكره من أرض غيرها على القارة الفسيحة الغنية بخيراتها ، القليلة ـ وقتذاك ـ بسكانها • لم يكن على الأفريقى القديم أن يواجه ما واجه غيره فى القارات الأخرى الكثيرة السكان ، الضيقة الأرض •

وسجل الأفريقى ، مع هذا الترحال وعدم الاستقرار ، حافل بالحركة والنشاط ، لم يعرف الجمود والركود قط • كانت تلك الشعوب الجنوبية العريقة روادا فى الحضارة الذاتية التى لم يقلدوا فيها أحدا • زرعوا حيث لم يزرع قبلهم انسان ، وحفروا الأرض بحثا عن المعادن ، وما رأوا أحدا قبلهم يفعل هذا • واتقنوا صيانة التربة على منحدرات التلال ، ورءوس الجبال ، وبنوا نظما اجتماعية جديدة معقدة ، ونقلوا ما جاءهم من اخوانهم فى الشمال من نظم وقدرات فنية ، واضافوا اليها جديدا • وكونوا لهم فلسفة وخلقوا ديانات على هدى مانقلوه ، وما أوحت به اليهم أمزجتهم وطبائعهم وبيئتهم وظروفهم الخاصة • تحمل كلها طابعا افريقيا واحدا ، لاتشترك فيه ولا تدعيه أية قارة أخرى[1] •

---

(۱) المصدر السابق • ص ٦٥ •

ان نهر النيل الذى ينبع من أواسط القارة الأفريقية يضم حوضه مصر والسودان وأثيوبيا والصومال واريتريا واوغندا وكينيا وتنزانيا فى وحدة طبيعية متماسكة ، « يصل بين أجزائها كما تصل النخلة بين جذورها وفروعها » على حد تعبير تشرشل فى كتابه « حرب النهر » فى معرض حديثه عن مظاهر الاتحاد بين شعوب هذا الحوض • وليس فى العالم كله بلاد ترتبط ببعضها برباط متين ، وبحزام طويل كهذا ، بل وتدين له بكيانها كله ووجودها كله ، ويتوقف عليه حياتها ، وخصبها ، وحضارتها ، ومستقبلها • ولقد شبهه جون جنتر فى كتابه « داخل أفريقية » بالقصبة البلعومية أو القناة الهضمية التى تسرى فيها مادة الحياة •

ومن قصيدة فى تمجيد النيل ، ترجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أقتبس الفقرات الآتية :

حمدا لك أيها النيل الذى يتفجر من باطن الأرض ،

فهو الذى يسقى المروج ، وقد خلقه الاله لكى يطعم كل دابة وماشية ويرسل الماء الى الجهات البعيدة ، فيروى مجدبها ، ويطفىء ظمأها •

اله الزراعة (كاب) يحبه ، واله الصناعة (فتاح) معجب به •

فلولاه ما ازدهرت الزراعة ولا الصناعة •

ولولاه ما حصد القمح والشعير ، وامتلأت بها الخزائن •

والويل للأرض ومن عليها حين يقل ماؤه ، ويجىء فيضانه شحيحا قليلا •

هناك تهلك النفوس ، وينادى الجميع بالويل والثبور •

حتى اذا ارتفع وفاض ، انتشر الفرح والابتهاج في كل مكان •

وضج الجميع حتى بدت أسنانهم •

هو الذى أنبت الشجر فى كل بقعة ، ووفر الأخشاب لبناء السفن •

ولولاه ما كانت الجوارى تشق عباب اليم

فواعجبا له من ملك عظيم ••• ولكنه ملك لايجبى أتاوه !

ولايفرض ضريبة ••• صادق الوعد ، وفى بالعهد •

ان الخير الذى يجلبه أجل نفعا من الذهب والفضة ، وأعلى قدرا من الجوهر[1] •

---

(١) محمد عوض محمد : نهر النيل •

وجاء فى كتاب « تاريخ الأزمنة القديمة » لمؤلفه « ماكس رونكا » :

« ان سكان جميع مناطق شمال أفريقيا ، وأهالى وادى النيل ، وكذلك أراضى المستنقعات الواقعة عند جبال الحبشة ٠٠ كلهم شعوب تكون فصيلة واحدة ، ولاتزال لغتها الأصيلة محفوظة فى لغة البربر حتى اليوم ، بيد أن شعبة من هذه الفصيلة التى استوطنت وادى النيل وجدت من حسن البيئة ومناسبة الوسط ما جعلها تميز غيرها ، وتضع دعائم أقدم مدنية عرفها التاريخ •

وان من يقرأ كتاب الدكتور جورج بوشان ليجد من الايضاحات الكثيرة ، والمعلومات الوثيقة ما يبرهن على أن سكان مصر وكل هذه المناطق من عنصر واحد (١) .

ويقول بادج ، عالم الاجناس البريطانى ، ان المصرى منذ العصر الحجرى القديم والحديث أفريقى الجنس • وزاد على ذلك بأن قرر أن هناك أمورا كثيرة فى عادات المصريين القدماء ودياناتهم وسلوكهم تحمل على الاعتقاد بأن الموطن الأصلى لأجدادهم قبل التاريخ كانت أرضا تقترب من أوغندة الحالية ، وبلاد بونت التى هى بلاد الصومال فى الوقت الحاضر (٢) .

* * *

ومنذ أن عرف العرب افريقية لم تنقطع صلتهم بها • ولما جاء الاسلام توثقت عرى هذه الصلة القديمة ، اذ لم يعد أهل الجزيرة العربية وحدهم هم الذين يقصدون افريقيا للتجارة بل صار أهل أفريقيا يقصدون الجزيرة العربية للتجارة أيضا ، كما يقصدونها للحج والسياحة • وكان للعرب المسلمين فى افريقية ممالك وامارات امتدت حتى المحيط الأطلنطى • ويقدر البعض ان ٨٠٪ من سكان أفريقيا فوق خط الاستواء ، و ٥٠٪ منهم تحت هذا الخط مسلمون • وكان للعرب وحدهم حضارة زاهرة فى الوقت الذى كانت فيه أوربا غارقة فى بحر الظلمات والجهل • ومن المؤكد ان حضارة العرب ــ كما كانت حضارة المصريين والافريقيين القدامى ــ نبراسا لحضارة الغرب الحديثة فى العلوم والفنون ٠٠ هذه

(١) كتاب « تاريخ مصر وافريقيا فى العصر الحديث • د • على ابراهيم عبده • ص ٨ •
(٢) المصدر السابق • ص ٩ •

الحضارة التى يتيهون اليوم بها علينا ويدلون ، ولا يريدون أن يعترفوا بأنها بضاعتنا ردت الينا .

فمنذ ظهر الاسلام خرج العرب من شبه جزيرتهم ، تدفعهم حماستهم الى نشر الاسلام وسقطت فى أيديهم أيضا الفرس والروم وعبروا الى أفريقية وتابعوا زحفهم الى المغرب ثم عبروه الى الأندلس : الباب الجنوبى الغربى لأوربا .

ثم استقل شمال افريقية العربى عن أسبانيا العربية ، ونشأت دول عربية متعددة فى المغرب مثل دولة الادارسة فى مراكش ، والأغالبة فى تونس ..

وفى القرن العاشر الميلادى ظهرت الدولة الفاطمية التى زحفت من تونس الى مصر وضمتهما فى وحدة سياسية مع أجزاء من آسيا زمنا غير قصير .

ولم يقتصر العرب على السيطرة على شمال افريقية بل توسعوا نحو الجنوب لتأمين حدودهم ، والسيطرة على القوافل التجارية التى كانت تنتقل بين شمال القارة ووسطها . وكان اتجاه العرب صوب الجنوب أمرا طبيعيا .

ومنذ ان فتح عمرو بن العاص مصر فى القرن السابع أرسل قواته لغزو النوبة . وكذلك توغل العرب من مراكش جنوبا حتى وصلوا الى مصب السنغال فى القرن العاشر . وقد أدى هذا الى نشر الاسلام فى حوض النيجر الأعلى . كما توغل العرب من فزان حتى كانم . وكذلك تقدموا جنوبا فى حوض النيل فى القرن الحادى عشر حتى وصلوا الى دارفور وقد اتجهوا شرقا فى النطاق الرعوى حيث التقت الموجتان المغربية والمصرية وتعاونتا على نشر الاسلام هناك .

ولم يلبث المهاجرون من العرب أن أوغلوا فى أنحاء القارة الافريقية المتاخمة للساحل الشرقى فشقوا طريقهم الى بلاد الحبشة ، والى أوغندا وتنزانيا ، والى مالاوى ، بل الى أقصى القـــارة الأفريقية جنوبا حتى مستعمرة الكاب . وليس أدل على ذلك من ان العرب ينتشرون فى جزيرة (مالاجاشى) مدغشقر ، وقد تكون منهم ومن الأجناس الأخرى مايعرف بالجنس الملجاشى .

والرابطة الاسلامية ، فى افريقيا اليوم تضم ما يزيد على ١٢٠ مليونا من ٣٠٠ مليون سكان القارة . وينتشر هذا العدد الكبير من المسلمين فى مصر ، والسودان وليبيا ، وتونس والجزائر ، والمغرب وزامبيا ، وسيراليون ، وليبريا ، وغانا ، ونيجيريا ، وغينيا ، والسنغال ومالى ، وتشاد ، والصومال ، وأثيوبيا ، وأوغندة ، وكينيا وتنزانيا ، وزنجبار ، وموزمبيق ، ونياسالاند ، ومدغشقر ، وجنوب أفريقية .

ولا ننسى ان هناك ملايين الافريقيين الذين يتكلمون اللغة العربية ، وهى أقدم لغة حية فى القارة ، وقد دخلت الى أطرافها الشرقية قبل الاسلام ، وتركت آثارها فى لغات الحبشة ، والصومال وزنجبار . ثم غمرت أرض أفريقيا مع الفرسان المسلمين أولا ثم مواكب النور والحضارة الاسلامية ، وبعد ذلك على أيدى علمائهم وفقهائهم . وعلى الرغم من أن اقليم السنغال يتحدث لغة محلية مختلفة أصولها عن العربية الا أنه تنتشر فيه كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم . وعلى امتداد تخوم السنغال الجنوبية تنتشر قبائل الطوارق ، وشعب « الحوصا » فى اتجاه نيجيريا وبحيرة تشاد . ومع ان قبائل الطوارق والرحالة لها أيضا لغتها الخاصة ولكن لكل قبيلة منها فقيه يعلم اطفالها القرآن والحديث . أما الحوصا فان لغتها الخاصة فى الواقع تحريف لألفاظ اللغة العربية . وفى مدنهم الكبيرة مثل كانو ، وكادونا ، يحرص القوم على أن يتكلموا العربية ، ومنهم الفقهاء فى الدين وعلماء اللغة . وفى مناطق السودان الجنوبى الواسعة نجد أن لكل قبيلة لهجتها الخاصة ، ولكن لغة التفاهم بينهما جميعا « عربية » . كما ان هناك كتلة بشرية هائلة فى وسط وشرق وغرب افريقية تتكلم ، وتكتب لغة تعتبر فرعا مباشرا من اللغة العربية ، وهى اللغة السواحلية ، التى هى فى مجموعها أقرب اللغات الى اللهجة العربية فى جنوبى السودان ، وتمتاز عنها بانها لغة مكتوبة ، متطورة ، فيها شعر ونثر واغان ، وكتب ، وجرائد .

وهناك رابطة أخرى تربط جميع أجزاء القارة الآن ، هى وحدة الكفاح ، وحمل السلاح ضد المستعمر القديم والجديد . أى وحدة المصير . وحدة الأمل والألم .

ولولا اصالة وعمق جذور تلك الوحدة الافريقية القديمة والجديدة ، وحدة النسيج الثقافى والأصل الحضارى ما شهدنا اليوم هذا التقارب العجيب ، بين شعوب مزقها الاستعمار ، وبث بينها من أسباب وبذور

الفرقة والاحقاد مالم يفعله فى أى مكان آخر فى العالم حتى جعل بعضهم ينسون قوميتهم ولغتهم وروحهم الافريقية ، وتذوب شخصيتهم وعقليتهم فى شخصية وعقلية المستعمر ٠

فمن أجل اضعاف الروح القومية ، لقن اطفال المستعمرات الفرنسية السابقة خصوصا أناشيد مسمومة لتقديس فرنسا ، كانوا ينشـــدونها صباح مساء ٠ وتحتوى هذه الاناشيد على مجموعة ضخمة من الشتائم الموجهة الى التاريخ الافريقى ، والتحقير للشعب الافريقى ٠

ولنسمع ــ مثلا ــ النشيد الذى كان يردده اطفال مدارس داهومى كل صباح :

سلام عليك ٠٠٠ يا أرض داهومى
أيتها الأرض المقدسة حيث يرقد أجدادنا
لقد تبنتك فرنسا كنفسها
ونحن كأبناء لها يجب أن نفرح
ومنذ ذلك اليوم دب فينا الأمل
فى أن نستحق ما فعلته فرنسا من أجلنا
ومن صميم قلوبنا نقول لك يا فرنسا
منذ الآن تستطيعين أن تعتمدى علينا
يا أبناء داهومى فى الريف والمدن
لنتذكر دائما أننا فرنسيون !
وسنبقى فرنسيين ٠٠ فرنسيين الى الابد !

وهذا أيضا نشيد آخر أكثر بشاعة :

يا فرنسا ان يدك القوية قد حطمت قيودنا
كان الطغاة يبيعوننا كالحيوانات !
كانوا يقتلون أولادنا ، ويجتاحون أملاكنا
فجئت أنت ، وعتقتنا ، وجعلت منا بشرا !
اننا نحبك كما نحب أمهاتنا
لأنه لك يعود الفضل
فى القضاء على بؤسنا !

أجل ! ان وحدة نسيج أفريقية الثقافى والحضارى ، رغم كل ذلك، قد تغلبت فى النهاية ونمت جذورها الأصيلة ، حتى ظهرت أخيرا عالية شامخة فى مؤتمر القمة للدول الأفريقية المستقلة الذى انعقد فى أديس

أبابا فى مايو سنة ١٩٦٣ ، والذى اشتركت فيه ثلاثون دولة افريقية مستقلة هى : اثيوبيا ، الجزائر ، الجمهورية العربية المتحدة ، السنغال، السودان ، الصومال ، الكمرون ، الكونغو ، (برازافيل) ، الكونغو (ليوبولدفيل) ، النيجر ، أوغندة ، بوروندى ، تشاد ، تنزانيا ، تونس، جابون ، جمهورية أفريقيا الوسطى ، داهومى ، رواندا ، ساحل العاج ، سيراليون ، غانا ، غينيا ، فولتا العليا ، ليبريا ، ليبيا ، مالى ، ملاجاشى، موريتانيا ، نيجيريا .

ورغم اعتذار المغرب وتوجو عن الاشتراك فيه ، لأسباب خاصة ، الا أنهما انضمتا فيما بعد الى « منظمة الوحدة الافريقية » التى انبثقت من هذا المؤتمر .

ان حضارة أفريقية الواحدة جعلت هذه الوحدة طبيعية ، وحتمية ، رغم كل العوائق والعقبات بل جعلت أفريقية المتحدة التى تمتد من داكار الى كيب تون ، ومن المغرب الى رأس الرجاء الصالح أمل كل أفريقى .

ان اختلاف اللون لا ينفى أن الدماء التى تجرى فى عروقهم جميعا هى دماء أفريقية ، تنبض بحب قارتهم .

الفصل
الثالث : تجارة الرقيق كمقدمة للاستعمار والعنصرية

لم يعرف المؤرخون على وجه التحديد متى بدأت تجارة الرقيق فى داخل أفريقية ، وبين أهلها أنفسهم حين كان يمارسها أبناء القـــارة انفسهم .

ولكن المقطوع به ان هذه التجارة لم تأخذ شكلها البشع الواسع ، الا على يد الرجل الأوربى الذى دخل القارة مستكشفا ، ثم تاجرا ، ثم غازيا ومستعمرا .

ذلك أنه قبل أن تطأ أقدام الأوربى أرض افريقية كان الرقيق عضوا حيا فى المجتمع ، وله مكان معين تحدده العادات والتقاليد .

فقد قسم فلاسفة اليونان الجنس البشرى الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع . وقالوا ان الثانى ما خلق الا لخدمة الأول . وجعـــل أرسطو الرق نظاما ضروريا . فهو يرى أن الغرض الذى ترمى اليه الدولة انما هو مساعدة المجموعة لتحيا حياة سعيدة ، وانه من الضرورى اتخاذ الأرقاء للقيام بأعمال الدولة التى تستدعى مجهودا ـ جسمانيا . لذلك اتخذ اليونان الرقيق من أسرى الحروب على حين تقلد اليونان مناصب الدولة الهامة ، وفازوا بعضوية المجالس الدستورية(١) .

أما الرومان ، فعلى الرغم من اعتقادهم ان الناس خلقوا احرارا ، فان الرق فى نظرهم هو نتيجة الأسر ، أو الميلاد ، أو الدين ، أو الفرار من الجيش .

وكان عند اليهود نوعان من الاسترقاق : استرقاق بعض أفراد منهم لارتكابهم خطيئة من الخطايا المحظورة عندهم شرعا ، واسترقاق غير اليهود الذين يؤسرون فى حروبهم التى كانوا يقيمونها بغير مسوغ ،

---

(١) النظم الاسلامية . د . حسن ابراهيم (بالاشتراك) . طبعة أولى . ص ٣٥٩ .

فكانوا يبيعونهم كما يباع المتاع ، سواء فى ذلك العبيد المستخدمين فى المنازل أو الحقول .

ثم جاء المسيح عليه السلام يعرض للرق ، ولم يعمل على الغائه أو تقليله . لذلك لم تثر المسيحية ، باعتبارها عقيدة ونظاما للحياة ، أية معارضة لنظام الرق فيما عدا بعض ملاحظات قليلة حول عصيان العبيد، واسداء النصح للسادة أن يحسنوا معاملة الرقيق . والواقع ان دخول المسيحية الى أوربا لم يغير شيئا من وضع الرقيق ولافيما يختص بالرهبنة. فقد أصبح فى وسع العبد أن يصبح حرا طليقا اذا اعتنق الرهبنة ، بل منع الزواج بين الأحرار والرقيق منعا باتا . كما أن الكنيسة نفسها كانت تملك الرقيق ، بل واقرت صراحة شرعية الرق . واعتمادا على سلطان الكنيسة استطاع أثرياء أوربا الاحتفاظ بأملاكهم من « الرقيق » بحجة أن ذلك يمنع السرقة والاستجداء .

وباسم الكنيسة أيضا استطاع المسيحيون المثقفون فى الولايات الجنوبية من أمريكا الشمالية ممارسة ابشع أنواع الظلم والقسوة فى معاملتهم لعبيدهم ، وما كان المسيحى الأوربى ليعترف بشرعية العلاقة التى تنشأ بينه وبين احدى امائه .

ولا يختلف نظام الرقيق عند العرب فى الجاهلية عنه فى الأمم الأخرى.

فقد كان الرق فى الجاهلية نتيجة الأسر فى الحروب . ويجوز مع ذلك استرقاق العربى للعربى ، بخلاف ما كان عليه الحال عند الرومان الذين كانوا يحرمون استرقاق الرومانى للرومانى . وكان من عادة العرب فى الجاهلية أنهم يجزون ناصية الشريف الرقيق عند اطلاقه . كذلك كان الاسترقاق نتيجة للشراء . ولذا كانت تجارة الرقيق من موارد الثروة عند القرشيين فى الجاهلية . وجرت العادة أن يولد ابن الرقيق رقيقا . وكان الأرقاء فى الجاهلية محرومين من كافة الحقوق المدنية ، ومن التصرف فى شئونهم الخاصة . وكان العبد يتحرر اما باعتاق سيده له مكافأة منه على عمل عظيم قام به ، أو لشجاعة فائقة أظهرها فى القتال، أو لاخلاصه الشديد لمولاه . ومن أنواع التحرير ما يسمى «السائبة[1]»

---

(1) هذه التسمية مأخوذة من تسييب الدواب ، وهو تركها تذهب وتجىء حيث تشاء .

وهو أن يعتق السيد العبد فلا يكون بينهما عقل (١) ولا ميراث . ويجدر بنا أن ننوه هنا أن الرق عند العرب ليس معناه التمييز العنصرى، أو عداء الجنس حسب مفهومه الحالى • فاذا قالوا « العبد » فانهم يقصدون الأسير مهما كان لونه أو جنسه •

ولم يلغ الاسلام نظام الرق ، ولكنه عنى بالاسرى أيما عناية ، وأحاطهم بسياج من عدله ورحمته • فقد نزل الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التى ترمى الى الرقيق(٢) .

وكان الأسر فى الحرب مصدر الرق فى الاسلام • وقد أصبح فى أيدى العرب عدد من الأسرى نتيجة الحروب التى قامت فى صدر الاسلام• وكان مصير الأسير اما الفداء أو الاسترقاق •

وقد سوى الاسلام بين الناس على اختلافهم ، فلم يفرق بين الأبيض والأسود ، والبدوى والمتحضر ، والحاكم والمحكوم ، والرجال والنساء ، كما حفظ حق المعاهدين • وجعل الله المؤمنين أخوة ، لاتفاضل بينهم الا بالتقوى ، يقول رسول الله (ص) فى خطبة الوداع : « أيها الناس • انما المؤمنون أخوة • ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد • كلكم لآدم وآدم من تراب • ان أكرمكم عند الله أتقاكم • ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » • لذلك لايجوز للعربى أن يأسر العربى ، ولا أن يأسر المسلم المسلم ، وانما يصح الأسر اذا ما قاتل العرب الكفار •

ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش : « ان الشرع لايبيح أن يسترق مسلم أصلا • ثم انه لايبيح بعد ذلك الا استرقاق أسرى حرب شرعية لم تقم الا على اعلاء كلمة الله تعالى ، مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم • أما استرقاق غير المحاربين ممن لا كتاب لهم ولا شبهة كعبدة الأوثان فقال مالك والشافعى وأحمد فى احدى روايتيه : أن ذلك لايجوز مطلقا » •

أضف الى ذلك ان الرسول (ص) قد أمر بأن يؤذن بلال الحبشى على ظهر الكعبة . وكان قبل عتقه رقيقا . كما ولى الرسول أسامة ابن زيد ابن حارثة ، وهو مولى حديث السن ، جيش المسلمين وفيه وجوه الصحابة، وقد ترجل أبو بكر بجانبه حتى لقد قال له أسامة : ياخليفة رسول الله

---

(١) العقل = الدية .
(٢) المصدر السابق • ص ٢٦١ •

والله لتركبن أو لأنزلن . فقال أبو بكر « والله لا تنزل ، ولا أركب » . وقد زوج الرسول – من قبل – مولاه زيد بن حارثة – أبا أسامة – زينب بنت جحش ابنة عمته ، ثم تزوج الرسول بها فيما بعد رغم أنها كانت زوجة ولده بالتبنى .

ان الاسلام ضيق مجال الرق كثيرا عما كان من قبل وفتح مجالات تحريره وأمر بحسن معاملة الرفيق والأسير وسوى بينه وبين مولاه فى الطعام ، والشراب ، واللباس ، والتعليم ، والتهذيب ، وفى معظم الحقوق المدنية ، أللهم الا فى الرياسة . كما حض المسلمين على معاملتهم بالحسنى وحذر من اساءة معاملتهم . بل وكان من اختصـــاص المحكمة ان تقضى بتحرير الرقيق اذا ثبت أن سيده قد أساء معاملته . كما جاء فى الشريعة اعتاق الرقيق فى حالات كثيرة ، تشجيعا على تحرير الرقيق ، كالتكفير عن حنث اليمين ، أو كفارة عن بعض الذنوب ، أو وفاء لنذر أو تقربا الى الله ومثوبة .

وأهم من كل ذلك كان الرق فى الاسلام عارضا ، ولذا عمل على مساعدة الأرقاء على استرداد حريتهم بوسائل معينة كالمكاتبة ، وهى أن يتفق الرقيق ومولاه على مبلغ معين من المال يسدد فى أجل محدود ، فيصبح العبد حرا . وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن مكاتبة العبد مستحبة، وللامام ابن حنبل فى رواية أنها واجبة متى طلبها العبد . ويشترط الفقهاء أن يراعى فى عقد الكتابة حال الرقيق . وثمة طريقة أخرى لتحرير العبد وهى « التدبير » أى أن يوصى السيد حال حياته بأن يكون عبده حرا بعد موته . واتفق الأئمة على أنه لو كان فى يد انسان غلام بالغ عاقل وادعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول للغلام مع يمينه أنه حر ، تطبيقا لقاعدة « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر »(١) .

ومؤدى هذا صراحة أن الاسلام يعتبر حرية الانسان هى الأصـــل ، وأن الرق هو العارض ، فكلف من ادعاه بالبينة ، واكتفى ممن أنكر باليمين . وكان هناك طريق « الجزية » التى تفرض على أهل الذمة . وذلك يدفع مبلغ معين من المال ، وتقديم عدد من الرقيق . يتجلى ذلك فى معاهدة الصلح التى عقدت بين عمرو بن العاص وملك النوبة .

---

(١) المصدر السابق . ص ٣٦٤ .

وللاسلام عدا ذلك وسائل شتى لتحرير الرقاب . فقد جعل الشارع من مصارف الزكاة عتق الرقاب بأن يعطى الحاكم للرقيق المكاتب ما يستعين به على فك رقبته ، وأن يشترى الحاكم بمال الصدقة العبيد ليعتقهم . كما أن الرقيق اذا بلغ سنا معينة أعتق وأصبح يعيش معيشة أى فرد آخر فى أسرة معتقة .

وقد سار الخلفاء الأمويون على نهج الخلفاء الراشدين . وكذلك الخلفاء العباسيون ولم تكن عندهم تفرقة عنصرية ، فأم المأمون فارسية، وأم المعتصم كانت تركية ، وأم المتوكل رومية .

وقد اعتمد ولاة مصر وسلاطينها على الرقيق فى جيوشهم ، فأكثروا من السودان والأتراك والروم والصقالبة . وكان الخليفة العزيز بالله الفاطمى أول من جلب المماليك الى مصر . ثم جاء الايوبيون ، وكانوا غرباء فى البلاد ، فرأوا أنفسهم فى حاجة الى الاعتزاز بهؤلاء الأرقاء . وأكثروا منهم ليكونوا جيوشا يعتمدون عليهم . وقد بلغ ما اشتراه السلطان نجم الدين أيوب منهم حوالى ١٢٠٠٠ رقيقا ، وبنى لهم ثكنات فى جزيرة الروضة حين شكى الناس منهم ، فاطلق عليهم اسم « المماليك البحرية » أو « مماليك النيل » . وقد عنى الايوبيون بتعليمهم حتى نبغ منهم كثيرون فى الفلسفة والعلوم والفروسية ، وتقلدوا المناصب العالية . ومنهم كانت شجرة الدر ، زوجة السلطان نجم الدين . وقد تولت سلطنة مصر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ، ثم تزوجت من عز الدين أيبك التركمانى ، وفوضت اليه أمور المملكة . ثم نزلت له عن حكم مصر بعد ثمانين يوما برهنت فيها على كفاءة ممتازة ، وحكمة نادرة فى تصريف الأمور(١) .

ويقول J.B. Trend فى بحث من كتاب « تراث الاسلام »(٢) .

« كثر التزاوج بين المسلمين والمسيحيين . فقد تزوج عبد العزيز ابن موسى بن نصير وغيره من قادة الحملة (على أسبانيا) من عائلة وتزا(٣) ، وأصبحت أمهات الجيل التالى أسبانيات ، وأصبح مسلمو الأجيال التالية أميل الى أن يتخذوا أمهات أبنائهم من أولئك الأسيرات الشقراوات . وقد درس الأستاذ ريبرا سجلات سوق الرقيق فى قرطبة،

---

(١) المصدر السابق . ص ٣٧١ .

(٢) تراث الاسلام . ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم . ص ١١ .

(٣) وتزا هو آخر ملك قوطى شرعى لاسبانيا وسمى مورخو العرب زوجة عبد العزيز ابن موسى بأم عاصم .

فى فترات متعـــددة ، واسـتبان أن شراء الجـارية لم يكن بالعمـلية السهلة ، بل كان من الواجب أن يتم بحضور كاتب العقود • وكانت الأسباب التى تطلب من أجلها الجارية تبين وتوضع موضع الاختبار » •

« وموقف الاسلام من مشكلة الرق البشرى فى صوره المختلفة •• فى صورته البدائية ، وهى البيع والشراء للانسان •• وفى صورته الغير مباشرة وهى صورة الاسترقاق فى القيـــادة والتوجيه عن طريق الأفقار والاذلال تحت تحكم نزعة الاستغلال والاحتكار ، وفى صـــورته الجماعية وهى استعمار الشعوب والتحكم فى مصيرها ـ وموقف الاسلام من هذا كله يحدد الرعاية التى أولاها لعتق الرق ومحـــاربة الاستغلال والقضاء على الاحتكار ، والدفع الى مقاومة المستعمر وتحرير الجماعة • وذلك لكى ينهض الفرد ، ويستعيد مستواه البشرى ، ولكى تنهض الجماعة وتستعيد كرامتها البشرية »(١) •

أما على يد الرجل الأوربى فقد أصبحت هذه التجارة « عملية امتلاك وحشية » كما وصفها المؤرخون ، وكما دلت الوثائق التاريخية .

ومما لاشك فيه أن تجارة الرقيق بمفهومها الحقيقى كانت من اختراع الفكر الأوربى ، وتنظيمه . ويقال أن « الفونسو جونزاليه » البرتغـالى الأصل كان أول من بين لقومه فى عام ١٤٣٤ أن فى امكانهم أن يجعلوا من الأفريقيين سلعة يتاجرون فيها • ولقد اختطف فى عام ١٤٤٠ اثنى عشر أفريقيا ، وضم اليهم امرأة من جنسهم ، على الشاطىء أملا فى أن يراها بنو قومها فيسارعوا الى محاولة انقاذها فيصطادونهم ! •• وبالفعل ظهر فى اليوم التالى مائة وخمسون أفريقيا أمطروهم وابلا من الحجارة ففر الصيادون البرتغاليون بجلدهم !! (٢) •

وسرعان ما حذا الأسبان بدورهم حذو البرتغاليين • ثم لحق بهم الهولنديون ، والفرنسيون والانجليز ، والألمـــان ، والدانيماركيون ، والسويديون •

ويعتبر القرن الخامس عشر هو فترة كشف الساحل الافريقى • فبعد سقوط سبتة(٣) قاد هنرى ـ الابن الثالث لجوا ـ النهضة البحرية

---

(١) د • محمد البهى : الدين والحضارة الانسانية ص ١٨٤ • ط • الهلال •

(٢) و • أ • ابرهام : كيف تفكر افريقية • ترجمة خيرى حماد • ص ١٢٨ •

(٣) فى منتصف عام ١٤١٥ أصدر جوا الاول ـ من الأسرة المالكة البرتغالية ـ قرارا بغزو « سببتة » فى شمال أفريقيا • وفى ٢١ اغسطس سقطت هذه المدينة فى يوم واحد بعد هجوم شديد •

البرتغالية التى بلغت أوجها فى نهاية القرن بأول رحلة لفاسكودى جاما الى الهند ٠

وفى سنة ١٤٤١ وصلت أول حمولة من الأسرى الافريقيين لبيعها فى سوق النخاسة الى ميناء « لشبونة » ٠

وقد تركز اهتمام البرتغال فى افريقية حتى سنة ١٥٥٠ فى الأراضى التى سبق اكتشافها ٠ أى فى المنطقة من رأس بلانكو (الرأس الأبيض) الى الكاميرون ٠ وفى سنة ١٤٨٠ توجه البحارة البرتغاليون الى سانت كاترين ٠ ومن المرجح انهم انشئوا عـلاقات مع جزيرة سـاوتومى البريطانية ٠

وقد ألقى جوا الثانى فى العقـد الثامن من القرن الخامس عشر السيطرة على ٢٠٠٠ ميل من الساحل ، والتى أسمتها البرتغال فيما بعد أراضى (غينيا) ، ومنذ ذلك التاريخ رفضت البرتغال باصرار وعناد أى تدخل أجنبى فى هذه المناطق التى اعتبرتها ملكا خاصا لها ٠

وفى سنة ١٤٨٣ اكتشف البرتغاليون الكونجو ، ووجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام دولة من الدول الكبرى التى تقع جنوبى الصحراء الكبرى وهى (باكونجو) التى تسمى الآن سلفادور فى انجولا(١) ٠

وما ان اكتشف كريسـتوف كولمبوس أمريكا حتى انتشرت مراكز تجارة الرقيق فى « أرجيوم » ، و « سـنتياجو » و « سـاوجورج » و « ساوتومية » ثم امتدت الى الكونغو وغينيا وانجولا تبعا لاحتياج الأراضى الشاسعة الأطراف فى البرازيل الى أيد قوية ، تعمل فى مزارعها تحت جو قاس مماثل للجو الذى يعيش فيه الأفريقيون(٢) ٠

وقد استبدل البرتغاليون بتجارة الذهب تجـارة الرقيق لصعوبة التجارة الأولى ، وضمان الربح فى التجارة الأخيرة ٠

وقد زرع الرقيق قصب السكر في البرازيل . فمن أنجولا وحدها وصل الى البرازيل حـوالى مليون رأس من الرقيق فى السـنوات مابين ١٥٨٠ ــ ١٦٨٠ ، حتى كان يقال : « لاوجود للبرازيل بغير السكر ، ولا وجود للسكر بغير رقيق انجولا » ومن الكونغو أيضا حملت السـفن

---

(١) تاريخ افريقيـا . تأليف رولاند أوليفر وجون فيج . ترجمة د . عقيلة محمد رمضان .

(٢) دفاع عن الزنوج . تأليف أحمد محمد عطية . ص ٣١ .

فى تلك الفترة حوالى نصف مليون من الرقيق · وفى السنوات من ١٦٨٠ – ١٨٣٦ نقلت السفن البرتغالية حوالى ٣٠٠٠٠٠٠ر نسمة من أنجولا والكونغو وحدها ، وقيل ان عددهم بلغ ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ أو ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ من جميع أنحاء القارة · وبوجه عام فان ٥٠ ٪ من هذا العدد الضخم صدر الى البرازيل ، ونحو ٣٠ ٪ صدر الى البحر الكاريبى ·

وكان الحصول على الرقيق يتم بطرق مختلفة · فكان فى متناول الحصون الداخلية أن تحصل عليهم حيث يحضرهم الرؤساء الأفريقيون، أو وكلاؤهم للمقايضة عليهم بالبضائع الاوربية المصنوعة · وكانت هذه الطريقة أقل نجاحا فى أنجولا منها فى ساحل غينيا المتقدم تجاريا ·

أما الطريقة التى كانت سائدة فتتلخص فى ارسال التجار الوطنيين الى الداخل ، حيث أقام المستعمرون الفنادق الأوربية ، ومعهم بعض الخدم يحملون البضائع للمتاجرة ·· والمقايضة على الرقيق !

ولم يتورع البرتغاليون الانتهازيون عن أن يثيروا فتنا أهلية فى داخل البلاد بين القبائل أو بينهم وبين رؤساء هذه القبائل حيث يحصلون على الأسرى بلا ثمن ·· كمغانم حرب !! ·· وكانوا يسمون هذه الفتن « حروب النصر » ، حتى يرسلوا أسراها الى أمريكا بواسطة « مقاولين »·

وكان هناك مورد آخر للرقيق فى الأراضى الكثيفة السكان ، والتى كان يمنحها التاج أو الحاكم للجنود أو لرجال الدين · فالضرائب التى كانت تفرض على رؤساء القبائل فى تلك الأراضى كان يمكن أن يدفع كلها أو بعضها « عينا » ·· أى رءوسا من الرقيق ! ··· كان هؤلاء الرؤساء يضطرون الى عمل « مزارع » يربون فيها صغار الرقيق حتى يمكن جمع أكبر عدد منهم بدلا من الضرائب !! ·

وكان هؤلاء الرقيق « يودعون » فى « معتقلات » أو « حظائر » مكشوفة لا تختلف عن حظائر الانعام ·

وكان ارتفاع سعر الرقيق فى موزمبيق – فى القرن التاسع عشر – نتيجة « قانون العرض والطلب » ! ·

وقال أحد قناصل بريطانيا فى الكونغو : « ان أية دولة أوربية نستطيع أن تمتلك أى جزء من أفريقيا بالقماش والخمور ··· ومنها من استولت على مساحات كبيرة نظير أثواب مطرزة ومجموعة من المناديل وأغطية الرأس وزجاجات الخمور »(١) ·

---

(١) دفاع عن الزنوج المصدر السابق · ص ٣٢ ·

وقد وصف الدكتور « كارل بيترز » الألماني ، الذى استولى على شرقى أفريقية بموجب معاهدات وقعها مع حكام هذه البلاد ، الطريقة التى كان يتبعها هو وأمثاله من الاستعماريين لسلب حرية تلك البلاد وحرية أهلها، بأنها تبدأ بارسال بعض الهدايا الى الحاكم المحلى قبل دخوله البلد ، ثم يطلب التصريح له باقامة معسكر له ولجنوده • وعندما يصل يقيم حفلا شائقا يجمع بين أطايب الطعام والشراب وأفخر الملابس • ثم يدعو الحاكم الأفريقى « لتشريف » هذا الحفل « المتواضـــع » الذى يزعم أنه أقيم خصيصا على شرفه • وفى هذا الجو « الودى » •• وبعد ان تلعب الخمر برأس الحاكم ، وتجذب الهدايا نظره •• يعرض المندوب الاستعمارى ، صاحب الحفل ، على الخاكم أو رئيس القبيلة معاهدة مكتوبة باللغـــة الالمانية التى يجهلها الحاكم واتباعه •• فيوقع عليها دون أن يفهم شيئا مما فيها من بنود تتضمن « صك العبودية » لبلاده وأهله •• ثم يرفع العلم الألمانى ، وتشرب « أنخاب » الصداقة الألمانية !! •

ويدلنا « دريد كارتون » على مدى الوحشية والخبث اللذين اتصف بهما هؤلاء الاستعماريون ، فيقول « لقد ربح البرتغاليون كثيرا من هذه التجارة • وكان قسيسوهم يقفون على الشاطىء ليعمدوا كل رجل وامرأة وطفل يلقى به الى السفينة ، وهو مقيد بالسلاسل ، حتى تستطيع روحه الخلاص فى حالة الموت المحتمل جدا فى عرض البحر »[1] •

وكان لبريطانيا « محطات » لتجميع الرقيق بلغ عددها أربعون محطة• وبعد رحلة شاقة من داخل القارة الى « محطات الشحن » هذه يقطعونها وهم مقيدون بالحبال من أعناقهم • واذا فكر أحدهم فى المقاومة أو الاحتجاج شدوا عنقه الى عامود ثقيل من الخشب ، أو توضـــع قدماه فى فتحتى عامود خشبى ، ثم تقيد أرجلهم حتى يصعب عليهم الفرار • وبعد ذلك يلقى بهم الى السفن التجارية الصغيرة بطريقة لا انسانية ، ويشحنون كما تشحن الأنعام • ويظلون على هذا الوضع ، بحيث لا تزيد المساحة التى يحتلها كل فرد منهم عن ١٨ بوصة ، مدة ثلاثة شهور تجتاز فيها السفينة المحيط الأطلنطى ، والسياط تمزق أجساد من يكف منهم عن التجديف• وكانت نسبة من يهلك منهم تتراوح بين ٣٠ ٪ ، ٦٠ ٪ • والسعيد الذى يموت منهم على هذه الصورة وتدركه رحمة الله من ذلك العذاب الهمجى، يلقى به الى البحر حيث تبتلعه مياه المحيط •

---

(1) Africa. Africa - by Dreck Karthon.

آما النساء فكن يبتلعن كميات من الطين لينتحرن بها هربا من هذا العذاب ··· فيلحقن برجالهن فى جوف المحيط !! ·

ويقول كارتون أيضا بناء على احصائيات مركز تجـــارة الرقيق ان ١٢ر٥ ٪ من الذين يظلون أحياء بعد هذه الرحلة يموتون فى الميناء عقب وصولهم من الارهاق · ويموت ٤ر٥ ٪ آخرون قبل ان تتم عملية العرض والبيع · وبعد ذلك يموت ٣٣ ٪ من اختلاف الجو · وبذلك لايتبقى من حمولة أى سفينة أكثر من ٥٠ ٪ ، وهم الذين يباعون ، أو يسخرون فى زراعة أراضى المستعمرين الأوربيين فى أمريكا ·

وما ان انتهت حرب التحرير الأمريكية حتى ضاعت ثورية الأمريكيين، وبدأت الاقطاعية الاستعمارية تغزوهم ، فمارسوا هم أيضا تجارة الرقيق على نطاق واسع · فكانت لهم فى عام ١٧٢٠ حوالى ٢٠٠ سفينة ، سعة كل منها ٣٠ مترا ، يلقى فى قاع كل منها بمائتين وخمسين عبدا أفريقيا ، يزادون احيـــانا الى ٥٠٠ عبدا عند اللزوم · ويجلس هؤلاء العبيد فى الاغلال ١٦ ساعة كل يوم ، تختنق فيها أنفاسهم لقلة التهوية ، وتغمرهم رائحة العفونة والأمراض الخبيثة فيفضل بعضهم الموت على هذه الحياة·· بالقفز الى مياه المحيط الثائرة كلما سنحت لهم فرصة (١) .

ولقد قدرت مجلة « لايف الامريكية » فى عددها الصادر فى أول أكتوبر ١٩٥٧ عدد العبيد الافريقيين الذين بيعوا فعلا فى أمريكا حوالى ١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون . لذلك يقدر عدد من اختطفوا منهم بالفعل من بلادهم بين ٣٠ و ٤٠ مليون أفريقى بعد خصم من هلك منهم بنسبة ٣٠٪ و ٦٠ ٪ كما تقدم ·

واذا عرفنا أن رحلة السفينة الواحدة كانت تتكلف ٤٠٠٠ دولار ، وأنها تدر ربحا قدره ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، لتبين لنا مدى الثراء الذى أصابه الأمريكيون من هذه التجارة ·

يقول كارل ماركس فى كتابه « رأس المال » ·

« كان اكتشاف الذهب والفضة فى أمريكا ، وابادة السكان البدائيين واستعبادهم فى المناجم ، وبداية غزو اغتصاب جزر الهنـــد الشرقية ، وتحويل افريقية الى مصيدة لذوى الجلود السوداء ·· بادرة اشراق عصر زاهر للانتاج الرأسمالى » ·

(١) اضطهاد الزنوج فى أمريكا . طاهر عبد الحكيم .

وليس أدل على ضخامة الربح الذى درته تجارة العبيد من معاهدة « اوترخت » للصلح بين انجلترا وفرنســـا واسبانيا ، التى عقدت عام ١٧١٣ فقد ورد فيها شرط هام يمنح الانجليز حق تموين المستعمرات الاسبانية بالعبيد ٠

وكان من المألوف أن تقرأ فى الصحف مثل هذه الاعلانات التجارية كل يوم :

ـ « للبيع فئات سوداء فى سن الثامنة »
ـ « للبيع رقيق أسود صحيح البنية سن ١٨ »
ـ « سيباع بالمزاد العلنى يوم كذا ـ فى المكان المعد لذلك فى جهة كذا ـ رقيق عمره ٣٠ سنة ، خادم ممتاز ، حسن الخلق » !!

ولم يكتب التاريخ أن سمسارا كان يقف أمام الصبايا العاريات ، وينادى ـ كما كان يفعل أمام عذارى أفريقيا من الرقيق البائسات :

طازجة كالتفاحة !
جسمها أسود ناعم كالقطيفة !
صدرها ناضج ، مضمون !
عنقها قوى ! كتفها مستديرة ! ساقها مستقيمة !
أسنانها سليمة !
اقترب أيها السيد ، وعاين لتتأكد بنفسك !
سأبدأ المزاد فى الحال !
أميرة زنجية ٠٠ بثمانين جنيها !
ألا أونا ٠٠ من يزيد الثمن ؟
خذها أيها السيد الى حجرة الخدم ، أو حظيرة الماشية !
ألا أونا ٠٠٠ هل من مزايد آخر بتسعين جنيها ؟
اغتنموا هذه الفرصة الذهبية قبل أن تفوتكم !

وفى أمريكا كان تمركز الرأسمالية بمصانعها وشركاتها فى الشمال، وانفراد كبار الاقطاعيين بامتلاك الأرض ومن عليها من العبيد فى الجنوب٠ وعماد الزراعة والثراء فى الجنوب أصبح راجعا الى هؤلاء العبيد ٠ فكان العبيد يسخرون فى الشمال لادارة المصانع ٠٠ ويسخرون فى الجنوب لحرث الأرض ، وزراعتها ٠

ويقول الكاتب الأمريكى « فيكتور بيرلو » : ان رجال الصناعة فى الشمال لم يكونوا يريدون تحريرا حقيقيا للشعب الزنجى ، بل كان هدفهم

الحلول محل ملاك العبيد الجنوبيين فى استغلال هذا الشعب » • وهكذا نشأت الفروق الظاهرية : ولايات فى الشمال يهرب اليها رقيق ليعملوا « أحرارا » فى مصانعها بأجور زهيدة تكاد تكون رمزية • وولايات فى الجنوب يمتلك فيها الاقطاعيون الأرض وما عليها من زراعة ، ومبان ، ومواش •• وعبيد !!

وفى سنة ١٨٥٠ أصدر الكونجرس الأمريكى قرارا يعطى صاحب المزرعة فى الولايات الجنوبية « حق تتبع » الرقيق الهارب من مزرعته إلى الولايات الشمالية •• واسترداده بالقوة • وهذا الحق يشبه « الحق العينى » الذى يعطيه القانون المدنى لأصحاب الأملاك !

وقد أيدت المحكمة العليا هذا القرار فى أحد أحكامها بقولها ردا على دعوى زنجى يدعى « سكوت » انتقل مع سيده من الجنوب الى الشمال وطلب منها اعتباره « حرا » : « ان سكوت لم يكن حرا لأنه ليس مواطنا، ومن ثم فليس له حق رفع الدعوى ، أو التمتع بحقوق المواطن الأمريكى... ومالك العبد له ان يذهب بعبده الى أى مكان يشاء فى الولايات المتحـدة الأمريكية ، وما يترتب على ملكيته له من حقوق أخرى » •

وفى الولايات الجنوبية تقابلك فى كل مكان هذه اللافتة على المحلات العامة « ممنوع دخول الكلاب والزنوج » !!

هذه هى قصة تجارة الرقيق التى نفذ منها الاستعمار الأوربى وهبت رياح « التمييز العنصرى » !!

الفصل
الرابع : الفلسفة العنصرية بوجه عام

كان النظام الطبقى شائعا فى بعض المدنيات القديمة • وربما كان الاغريق هم أول من وضع الحواجز العنصرية بمنع اختـــلاط الأسياد بالعبيد • وكان أرسطو ـ مثلا ـ يقارن بين الاغريق وغيرهم من الشعوب، ويضع الحضارة الاغريقية فوق كل الحضارات الأخرى •

واذا استعرضنا آراء فلاسفة اليونان بشـأن الفروق بين الاجناس لوجدنا أنهم يعطون وزنا كبيرا للبيئة الطبيعية وللنشـــاط البشرى • فهيبوقراط مثلا وضع سنة ٤٢٠ ق• بحثا عن الهواء ، والماء ، والأماكن ناقش فيه التناقض الواضح بين الآسيويين والأوربيين ، وأرجعه الى صلاحية البيئة الاسيوية ، وسهولة الحصول على المواد الغذائية بها ، بعكس البيئة الأوروبية الفقيرة فى ذلك الوقت ، والتى كانت تستدعى من الرجل الاوروبى المزيد من النشاط والعمل ليتمكن من الحصول على قوت يومه •

أما فى الدولة الرومانية فكان المجتمع ينقسم أيضـــا الى طبقتين : الأحرار والعبيد • وكانت طبقة الأحرار تتكون من درجات فى قمتهـــا الرومان ، يليهم باقى سكان المستعمرات الرومانية الذين لم يولدوا من أبوين رقيقين • وكان اختلاط الرومان الأحرار بغيرهم مباحا الى حـــد بعيد • ولذلك لم يكن الرومان عنصرا نقيا بل خليطا من سلالات متعددة• أما طبقة العبيد فقد كانت ـ كما هو حالها دائما ـ منبوذة •

العنصرية اليهودية :

ان الأديان السماوية كلها ـ وان لم تحرم الرق بدرجات متفاوتة ـ كانت تدعو الى الأخاء والمساواة بين الجميع • ثم انفرد الاسلام وحـــده بتحقيق هذه الوحدة البشرية بين جميع العناصر والسلالات المعتنقة له •

وقد نجح الاسلام فى القضاء على العصبية الجاهلية ، فلم يعد يفرق بين عربى وأعجمى الا بالتقوى ٠

ولكن اليهود ـ بعد وفاة موسى ـ بسنين طويلة ، وبعد سقوط آشور ـ ظهرت بينهم العنصرية ٠ فجاء نبى اليهود عزره Ezira ونادى بمنع اختلاط دم اليهود بغيرهم ، واعتبر جميع اطفال اليهود من زوجات غير يهوديات أقل شأنا من سائر الأطفال ٠ وقد منع الزواج بين الأجنبيات منعا باتا ٠ وبالطبع كان زواج اليهودية بغير اليهودى ممنوعا من قبل ٠ ولذلك تعتبر مملكة اسرائيل القديمة مهد العنصرية ٠ وقد سبقت الدول الأخرى فى هذا الشأن بما يزيد عن ٢٥٠٠ سنة(١) ٠

ولاتزال اليهود حتى الوقت الحاضر لاتختلط بغيرها ، وتدعى انها « شعب الله المختار » وأنهم أعلى شأنا من الآخرين ٠ ولذلك يحابى اليهود بعضهم بعضا ، ويتعصبون لكل يهودى ويحتقرون كل ماهو غير يهودى٠ بل انهم فسروا الوصايا العشر تفسيرا عنصريا خالصا ٠ فالسرقة حرام من اليهودى فقط ٠ أما من غيرهم فحلال ٠ والزنى محرم مع اليهودية وحلال مع غيرها ٠٠٠ والربا محرم بين اليهودى واليهودى ومباح بين اليهودى وغير اليهودى ٠٠٠٠ الخ ٠

ومن يقرأ التلمود ، شريعة بنى اسرائيل ، يجد تفسيرا لحوادث القتل الجماعى التى شنتها الصهيونية فى فلسطين بالاتفاق مع السلطات البريطانية التى كانت منتدبة عليها ٠ فقد جاء فيه :

« ان الكفار هم (يسوع) المسيح ، ومن اتبعه ٠ ومن العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر ، لأن من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله ٠ واذا وجد أحد اليهود كافرا فى حفرة وجب ألا يخرجه منها ٠ واذا وجد اليهودى حجرا ، بجوار حفرة ، وجب عليه وضعه عليها »(٢) ٠

وتمشيا مع تعاليمهم كانت مذابح (دير ياسين) التى قتل فيها ٢٥٠ قتيلا ، وابادة جميع سكان قرية (ناصر الدين) فى ١٩٤٨/٤/١٤ ٠ وكذلك جميع سكان (بيت دوراس) فى ١٩٤٨/٥/٣ ، وبيت الخورى فى ١٩٤٨/٥/٥ ، والزيتون وغيرها ٠ وكذلك حوادث (قبية) فى

---

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقيا ٠ د ٠ فؤاد الصقار ٠ ص ٢٥ ٠

(٢) الدفاع الاقتصادى ضد الأطماع الاستغلالية الاسرائيلية : محمد عبد العزيز أحمد (بالاشتراك) ص ٢٩ ٠

١٤/١٠/١٩٥٣ ، ونجالين وغزة فى ١٤/٨/١٩٤٨ ، وغزة أيضا فى ٢٨/٢/١٩٥٥ ، وخان يونس فى ٣١/٥/١٩٥٥ ، و ٣١/٨/١٩٥٥ ، والصبحة فى ٢/١١/١٩٥٥ وطبرا فى ١١/١٢/١٩٥٥ ، وغزة مرة ثالثة فى ٥/٤/١٩٥٦ ، وحوادث سيناء خلال الاعتداء الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ .

ان محاولات الصهيونية المستمرة تهدف الى اثارة الحروب ، وتدمير البشرية .

وقد وضع هذه الخطة الحاخام «عمانويل رابينوفتش» خلال اجتماع سرى صهيونى فى مدينة بودابست عام ١٩٥٤ ، وضم جميع حاخامات أوربا . واستطاعت صحيفة « كومنسنس » الأمريكية الحصول على نص هذا الخطاب الخطير الذى يكشف النقاب عن نوايا الصهيونية العالمية ، وهو يهدف الى(١) :

١ ـ اشعال نيران حرب عالمية ثالثة .

٢ ـ تحريض الولايات المتحدة الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتى .

٣ ـ اعتبار زعماء الدولتين مجرمى حرب .

٤ ـ القضاء على الأجناس الأخرى غير الاسرائيلية .

وقد قال الحاخام فى خطابه المحموم الذى وجهه الى حاخامات أوروبا مايلى :

« لقد دعوتكم الى هنا لبحث المراحل الرئيسية لبرنامجنا ، ونحن نرجو ان تنقضى عشرون عاما على الحرب العالمية الثانية قبل نشوب الصراع المقبل . فان هذه الفترة سوف تتيح لنا الجمع بين المصالح الكبرى التى حصلنا عليها فى أعقاب الحرب الأخيرة . الا أن ازدياد عدد الاسرائيليين فى بعض المناطق الحيوية من العالم قد أثار عدة حركات عدائية . ومن ثم يتعين علينا العمل على اشعال نار حرب عالمية ثالثة فى غضون السنوات الخمس المقبلة .

« وفى وسعى أن أؤكد أنى لست مجازفا فى وعدى . ان جيشنا لن يلبث أن يحتل المكانة الجديدة بنا فى العالم قبل انقضاء عشرة أعوام . وسيغدو كل اسرائيلى ملكا وغير الاسرائيلى عبدا » .

---

(١) سجل الارهاب الصهيونى . من مطبوعات الدار القومية . ص ٣ وما بعدها .

وقال :

« انكم تذكرون حملاتنا الدعائية والنجاح الذى كللت به عام ١٩١٠ ٠ ولقد أثارت الحقد على الأمريكيين فى ألمانيا ، وعلى الألمان فى أمريكا ٠ وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية ٠ ولقد شرعنا فى شحن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم ٠ فقد أثرنا فى روسيا موجة من السخط والحقد ضد الولايات المتحدة ٠ كما أثرنا فى الولايات المتحـــدة شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعية » ٠

وقال :

« وسوف ينفذ هذا البرنامج خلال خمس سنوات بنشـــوب حرب عالمية ثالثة تفوق فى فظاعتها كل الحروب الماضية ٠ وليس من شك فى أن اسرائيل ستعمد الى اتخاذ موقف محايد ٠ وحينما يضعف الخصمان، وتتضعضع قواهما سنتخذ موقف الحكم ، فنوفد الى البلاد المتحضرة بعثات للسيطرة عليها ٠ وستضع هذه الحرب حدا لصراعنا مع غير الاسرائيليين٠ وعندئذ سوف نكشف عن نوايانا الحقيقية حيال الأجنـــاس الأسيوية والأفريقية ٠ وفى وسعى أن أؤكد وأنا واثق مما أؤكده ، أن الجيل الحالى للجنس الأبيض انما هو الأخير ٠ وسوف تعمل بعثاتنا على منع الزواج بين البيض بحجة القضاء على العنصرية ، وحرصا على اقرار السلام ٠ وبذلك نحمل البيض على الزواج من السود ، ونحمل السود على الزواج من البيض ٠ وعندئذ ٠٠٠ تبدأ فترة سلام تستمر عشرة آلاف سنة يتمكن الشعب الاسرائيلى خلالها من فرض سيطرته على العالم ٠ فان ذكاءنا ، وتفوقنا سيتيحان لنا السيطرة على عالم يتألف من شعوب الجنس الأسود».

وقد سأله أحد الحاضرين عن مصير الأديان فقال :

« لن تكون هناك أديان أخرى ٠٠٠ فان الدين قد يكون خطرا داهما على سيطرتنا ٠ كما أن الايمان بوجود عالم آخر قد يحافظ على الروح المعنوية للشعوب الخاضعة ، ويدفعها الى معاداتنا ٠ وسوف ننشر العقيدة الاسرائيلية فى جميع أنحاء العالم ٠ وسوف نعمل على تدعيم قوانينــا الجنسية بمنع الاسرائيليين من الزواج من غير الاسرائيليات » ٠

ومضى يقول :

« ولاقناعكم بحقيقة ما أقول فيما يختص بالسيطرة على العالم حسبى أن أذكر لكم أننا وجهنا جميع مخترعات الرجل الأبيض نحو فنائه ٠

ولاتكف صحافته ، ومحطات اذاعته عن اعلان ذلك · بل ان مصانعه تمد آسيا وافريقيا بالأسلحة لاشعال حرب عالمية » ·

وقال البروفسير أرنولد توينبى ، المؤرخ البريطـــانى الحر ، فى كتابه : « دراسة التاريخ » عن مذابح اليهود فى حرب فلسطين .

« ان هذه الأعمال الشريرة التى ارتكبها اليهود الصهاينة ضـــــد الفلسطينيين العرب ــ وهى لاتقارن الا بالجرائم التى ارتكبها النازى ضد اليهود ــ اشتملت على تقتيل النساء والاطفال والرجال فى دير ياسين يوم ٩ ابريل سنة ١٩٤٨ مما عجل بهروب عدد ضخم من السكان العرب من المناطق القريبة من القوات المحتلة مثل عكا، واللد، والرملة، وبير سبع، والجليل فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ » ·

وان قصة اختطاف النازى « ايخمان » فى الارجنتين ومحاكمته أمام محكمة فى اسرائيل فى مايو ١٩٦٠ ولودفيج زند ، ومارتن بورمان ، وغيرهم ، بحجة ابادتهم عددا كبيرا من اليهود فى عهد النازى لهى دليل آخر على خرق الصهاينة للقوانين الانسانية أو الدولية ·

كما دأبت اسرائيل على مطاردة العلماء الألمان الذين لا يدورون فى فلكها ، والعمل على قتلهم أو خطفهم ، اينما وجدوا فى أى مكان فى العالم· وقد وضعت اسرائيل خططها فى هذا الشأن مع المنظمات الصهيونية فكونت شبكات للتجسس على هؤلاء العلماء فى البلاد التى تستعين بجهودهم العلمية ، ومن بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والجمهورية العربية المتحدة .

وفى مارس ١٩٦٥ ضبطت أخطر شبكة جاسوسية فى القاهرة من هذا النوع يرأسها « لوتز » الالمانى الذى جـــاء الى الجمهورية العربية ــ باعترافه فى التحقيق ــ فى أوائل عام ١٩٦١ بتوجيه من مخـــابرات اسرائيل ومعه خطة كاملة لتنظيم شبكة التجسس تحاول أن تركز عملها داخل مصانع الطائرات والصواريخ المصرية ، وعلى اغراء العلماء الألمان العاملين عندنا بالعودة الى المانيا ·· ثم تهديدهم بتدبير الحوادث ضدهم أو قتلهم بشحنات المتفجرات التى يخفونها لهم فى الخطابات ، والطرود اذا ما فشل الاغراء !! ·· وهذا ما حدث فعلا مع العالم الألمانى « وولفجانج بيلز » الا ان الطرد قد انفجر فى يد السكرتيرة وشوه وجهها · ومرة أخرى بعث بالطرد الذى انفجر فى غرفة خارجية بجوار بوابة أحد المصـــانع

الحربية !! ومرة ثالثة بعث بطرد الكتب المتفجرة الذى ضبط بواسطه رجال المخابرات العربية فى مكتب بريد المعادى وكان الخيط الأول للوصول الى الجاسوس الخطير !! ٠

وفى نفس الوقت وضعت الجمهورية العربية المتحدة يدها على صفقات مريبة للسلاح كانت تتم بين اسرائيل وألمانيا الغربية التى كانت حتى هذا الوقت تدعى صداقتها للعرب ، وعدم اعترافها سياسيا باسرائيل !٠

فى ألمانيا النازية :

وهناك دولة أخرى مارست هذا النوع البشع من العنصرية ، هى « ألمانيا النازية » التى كانت تعرف باسم « الرايخ الثالث » بزعامة هتلر ٠

فقد رسم هتلر مخططا لاستعباد العالم بأسره ، بدعوى أن دم الشعب الآرى (الألمانى) هو أنقى من دماء الشعوب الأخرى ، وهو الذى غزا الامبراطورية الرومانية وقضى عليها ٠

يقول هـ٠ج٠ ويلز : (١)

« كان هؤلاء الآريون مغيرين ، وسارقين ونهابين للمدن ، سواء فى ذلك منهم من وفدوا من الشرق أو الغرب ٠ كما كانوا رعاة أشداء نزعوا الى السلب والنهب ٠ على أنهم لم يكونوا فى الشرق الا سكانا نازلين على التخوم ، وجيرانا مغيرين ٠ واستولوا فى الغرب على المدن ، وطردوا منها السكان الأيجيين المتمدينين ٠ وبلغ الضيق بالشعوب الأيجية أن أخذوا يبحثون عن أوطان جديدة لهم فى مناطق تخرج عن منال الآريين ٠ فأخذ بعضهم يحاول السكنى فى دلتا النيل لولا أن صدهم المصريون ، وبعضهم أبحروا من آسيا الصغرى ليؤسسوا دولة فى برارى وسط ايطاليا الكثيف الغابات ، وأقام بعضهم لنفسه المدن على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية الشرقية ٠

وبعد ان أثبتت الدراسة الانثروبولوجية أن الألمان ليسوا من جنس واحد تحولت العنصرية فى ألمانيا بالتدريج من اقتصارها على الجنس النوردى وحده الى الشعب الألمانى جميعه ٠ وتحول الاضهاد العنصرى

---

(١) تاريخ العالم ٠ هـ ٠ ج ٠ ويلز ٠ ترجمة عبد العزيز توفيق جويد ص ٧٥ ٠

والاضطهاد الجنسى ، الى مجموعات بعينها مثل اليهود الذين كانوا يسكنون المانيا بكثرة ، ويحتكرون جزءا هاما من اقتصادياتها . وهكذا صدرت فى سنة ١٩٣٥ قوانين نورمبرج التى انتزعت من اليهود حقوقهم المدنية، ومنعت زواجهم من غير طائفتهم كما حرمت على أطفالهم المدارس الحكومية، وصادرت أموالهم بدون تعريض (١) .

وقد ذكر جوبلز ـ وزير دعاية هتلر ـ فى مذكراته اذ ذاك تبريرا لاضطهاد اليهود مايلى :

« هناك كثير من المثقفين يحاولون مساعدة اليهود بترديد الجملة القديمة : ان اليهودى انسان أيضا . حقا انه انسان ، ولكن أى نوع من الانسان ؟ ان القمل أيضا حيوان كالانسان » !!

والعنصرية الألمانية فى الرايخ الثالث لم تكن ترمى الى تحرير المانيا من السيطرة اليهودية واعدامهم ، وانما كانت ترمى العنصرية الالمانية أيضا الى تجميع الألمان المقيمين فى الخارج ، وضم المناطق التى يسكنها الألمان فى الدول المجاورة كالنمسا وتشيكسلوفاكيا والدانمرك وفرنسا وبولندا وغيرها ـ وتكوين ما يسمى « ألمانيا الكبرى » أو « الوطن الأم » .

ويذكر ان محالفة المانيا لروسيا فى أغسطس سنة ١٩٣٩ قد لاقت بعض المعارضة فى داخل ألمانيا نفسها ، لابسبب الاختلافات الأيديولوجية فحسب ، بل للاختلافات العنصرية أيضا . أما تحالف ألمانيا وايطاليا واليابان فقد أيده فلاسفة العنصرية الألمانية لأن بعض سلالات هاتين الدولتين منحدرة من دماء نوردية (آرية) . وكان من الممكن فى ذلك الوقت أن يتحالف الألمان مع الشيطان ـ كما فعلت انجلترا بعدها ـ ليحاربوا باقى دول غرب أوربا !!

وما لقيه اليهود فى ألمانيا وما درجوا عليه من استعلاء كان من أسباب ما يمارسونه مع العرب فى فلسطين ، ومع باقى الاجناس فى الخارج !!

فى أمريكا :

وقبل ان تحتضن النازية النظرية العنصرية طبقهـا غزاة أمريكا (الانجليز) فى حرب الابادة الوحشية التى شنوها ضد الهنود الحمر، سكان القارة الأصليين . وزعموا مزاعم النازية نفسها ، وهى أن الدم

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقية . المصدر السابق ص ٣٥ .

الأنجلو سكسونى هو الدم الأرقى الذى يجب أن يسود العالم ، بحجة ان الشعوب الملونة هى شعوب منحطة ، غير قادرة على حماية نفسها من الغزاة ، وحكم نفسها بنفسها .

وقد أيد « بيلبو » ـ عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ـ هذه النظرية بقوله :(١)

« ان نظرية الجنس ، والتفاضل بين الأجناس ، قد وجدت فى أمريكا قبل أن يوجد أدولف هتلر فى ألمانيا » .

وبلغ من فظاعة التعصب الانجلو سكسونى ضد الهنود الحمر أن وزع الأمريكيون الأوائل ، الذين استوطنوا بعد الفتح ، أغطية من البطاطين الملوثة بجراثيم الجدرى على الهنود الحمر ففتك الوباء الخبيث بالآلاف منهم ، وحصدهم حصدا ! .

ويبين مدى استهتار هؤلاء الأمريكيين الأوائل بالقيم الانسانية ما قاله أحدهم ، ويدعى « كنجسلى » من أنه مضطر لاستخدام مسدس عيار ٥٦ لقتل أطفال الهنود لأن رصاص البندقية عيار ٣٨ ، لايمزق جثثهم بدرجة كافية ! .

وبهذه الطريقة الوحشية هبط عدد الهنود الحمر بنسبة ٨٢ ٪ وهى نسبة مذهلة ، لم تحدث فى أى حرب فى التاريخ ! ..

وقد فرضت الاقامة الجبرية على البقية الباقية منهم فى معسكرات ، وسنعوا من الاختلاط بالسادة الجدد ، أو التزاوج بينهم . وكانوا يموتون فى هذه المعسكرات بالتدريج لانعدام الرعاية الطبية ، وزادت الاصابات بالأمراض بينهم بنسبة ٩ : ١ . ومن الغريب أن الأفلام الأمريكية لاتزال تزهو بهذا الانتصار الرخيص الوحشى .

وكما فعـــل الأوروبيون فى افريقية ، عندما دخلوها ســـائحين أو مستكشفين ، من عمليات احتيال واسعة كذلك فعلوا فى أمريكا . فمقابل قطع السكر ولفائف التبغ كانت تباع الأراضى والثروات . وحينما كان الهنود الحمر يرغبون أو يرغب رؤساؤهم ـ فى التفـــاهم والوئام كانوا يقابلون بالغدر ، والفتك حتى انهم كانوا يتقهقرون تاركين مراعيهم، وقراهم ، ويهاجرون الى أى مكان وهم ينقرضون حتى ضاعت حقوقهم كآدميين . وكان الغزاة يطلقون عليهم « الكلاب الحمر » ! .

---

(١) دفاع عن الزنوج المصدر السابق ص ٧٠ .

واذا فحصنا مواطن الزنوج اليوم نجد أن أغلبهم لايزال فى الولايات الجنوبية حيث انتشر الرقيق المنقول من أفريقيا فيما مضى . ومع أنهم أغلبية ساحقة هناك فلا يزالون مغلوبين على أمرهم . فولاية المسيسيبى نسبة الزنوج فيها ٩٠ ٪ . ومقاطعة تنساس بولاية لويزيانا تبلغ النسبة ٨٥ ٪ . والأقليم الذى كان ولايزال ـ به أكبر عدد من الزنوج هو الاقليم الممتد عبر الاباما الوسطى الى ولاية جورجيا ، وجميع ولاية كارولينـا الجنوبية ، ومساحة صغيرة فى فرجينيا الجنوبية .

ولعل أشد العهود عبثا بأخلاق الزنوج هو ذلك العهد الشـــنيع المسمى « عهد الاصلاح Reconstruction » يوم حاول أولئك السياسيون الأفاقون من أهل الشمال أن ينظموا الزنوج ويبثون فيهم روح المساواة.. لا حبا فى الزنوج .. وانما كسبا لأصواتهم فى الانتخابات ! (١) .

وقد كان لهذا العهد أثر كبير فى ايقاد نار العداوة بين أهل الجنوب وأهل الشمال أكثر مما كان للحرب الأهلية نفسها . اذ أدى ذلك الى حرمان الزنوج من معظم الحقوق المدنية عام ١٨٩٠ .

ومنذ ذلك التاريخ والحرب بين الســـود والبيض مستعرة الأوار ، حتى أصبحت من أعقد المشاكل فى العالم الحديث خاصة بعد أن تبنت الدولة رسميا « سياسة العنصرية » هذه . أى اضطهاد الزنوج . فبالاضافة الى عصابات « الكوكلوكس كلان » نجد الدساتير المحلية للولايات تحوى نصوصا صريحة تحمى « التفرقة العنصرية » .

فدستور ولاية مسيسيبى مثلا ينص فى الفصل الثامن ، الفقرة ٢٠٧ منه على أنه « يراعى ان يفصل الاطفال البيض عن أطفال الزنوج ، فتكون لكل فريق منهم مدارسه الخاصة » . وفى الفصل العاشر ، الفقرة ٢٢٥ مايلى :

« للمجلس التشريعى أن يهيىء الوسائل المؤدية الى فصل المسجونين البيض عن المسجونين السود » .

وفى الفصل الرابع عشر ، الفقرة ٢٦٣ « ان زواج شخص أبيض من شخص زنجى أو خلاسى(٢) أو من شخص يجرى فى عروقه دم زنجى يعتبر غير شرعى وباطلا » .

---

(١) المجتمع ومشـــاكله ـ تأليف جيروف ساموبل داو . ترجمـــة ابراهيم رمزى . ص ١٤٣ .

(٢) فى تعداد ١٨٩٠ حاولوا أن يدرجـوا تحت كلمة « سود » أولئك الذين فى عروقهم ثلاثة أرباع من الدم الزنجى أو أكثر ، وتحت كلمة « خلاسى » أو « رباعى » =

بل ان كل من يتطوع للدفاع عن حقوق الزنوج ، أو يدعو الى المساواة بين البيض والسود ، أو يعارض التفرقة العنصرية ، أو ما شابه ذلك ، يعاقب باعتباره آثما • ويحكم عليه بغرامة لا تتجاوز ٥٠٠ دولار أو بالسجن مدة لاتتجاوز ستة أشهر أو بالعقوبتين معا ، كمـــا تنص قوانين ولاية مسيسيبى • وتطبق تشريعات مماثلة فى فرجينيا ، وكارولينا الشمالية، وكارولينا الجنوبية ، وجورجيا ، وألاباما ، وفلوريدا ولويزيانا وأركانساس واوكلاهوما ، وتكساس • وهناك تشريعات أقل قسوة تطبق فى ولايات أخرى مثل دويلارارا ، وفرجينيا الغربية ، وكنتاكى ، وتنيس ، وميسورى• وهناك أيضا ثمانية ولايات شمالية تحرم التزاوج بين البيض والسود وهى : كالفورنيا ، وكلورادو ، ووايداهو ، وأنديانا ، ونبراســـكا ، ونيفادا ، وأوريجون ، وأوتاوا •

ان كل شىء فى أمريكا يقسم قسمين غير متساويين فى الكم والنوع:

الأكثر والأفضل للأبيض ، والأقل والأسوأ للأسود • وبوجه عام فالأسود ممنوع من مشاركة البيض فى كل شىء : فى الحقوق •• فى القطارات والاتوبيسات •• فى الفنادق والملاهى والمطاعم •• فى المدافن•• فى المستشفيات .. فى الاستحمام على الشواطىء .. فى المعابد .. الخ . فى كل الأماكن التى يرتادها البيض تجد لافتة كبيرة كتب عليها « ممنوع دخول الزنوج والكلاب » •

وتنسحب هـــذه التفرقـــة العنصرية فى بعض الولايات حتى على الدبلوماسيين الأفريقيين والأسيويين ، وممثـــلى أمريكـــا اللاتينية الذين يمثلون بلادهم فى الولايات المتحدة الأمريكية • ففى مرة لم يســـمح لدبلوماسى هندى بتناول طعامه على المائدة التى يجلس اليها البيض • بل ان الوزير الهندى السابق الفليسوف ــ « كريشنامنون » لم ينج من مثل هذه المعاملة العنصرية • وليس ببعيد قصة معاملة وزير خارجيـــة غانا واحتجاج وفود الدول الأفرو أسيوية عليها(١) •

وهذا نموذج للافتات التى توضع فى مداخل الشركات الأمريكية :

« خطر ! •• ايها الهنود الملونون • اذا دخلتم هذه الأماكن فى الليل

= من كان ربع دمه زنجى ، وتحت كلمة ثمانى من كان ثمن دمه من الزنجى ، ولكن معظم الفروق كانت بين السود والخلاسيين ــ المؤلف •

(١) دفاع عن الزنوج • المصدر السابق ص ٥١ •

فلن يجدكم أحد فى الصباح .. ان الحراس المسلحين يطلقون الرصاص عليكم فور ظهوركم . والكلاب المتوحشة تلتهم جثثكم . لقد أنذرناكم !.

وفى نيويورك يتكدس أكثر من نصف مليون زنجي فى حى هارلم ، ويسكن مبان تملكها شركات التأمين الأمريكية بايجار يزيد ٢٠٪ عن ايجار المنازل المماثلة التى يسكنها البيض . وفى هذا الحى لا تفتح الشركات فروعا لها ، وخاصة شركات التغذية فيقع الزنوج المحاصرون فى هذا الحى فريسة لتجار السوق السوداء الذين يبيعون لهم الأغذية بأغلى الأسعار رغم التعطل المتفشى بينهم ، ورغم انعدام الرعاية الطبية ، والخدمات العامة ، وتفشى الفقـــر والبؤس ! . ويضطر معظمهم الى قبـــول أى عمل بأقل أجر حتى لا يهلكوا من الجوع .. فى الدولة التى يتمتع البيض فيها بأضخم ثروات العالم !! .

* * *

والجرائم التي يرتكبها البيض ضد السود في الولايات المتحدة لم تنته حتى اليوم . وبرغم ان المحكمة العليا الأمريكية ــ أعلى سلطة قضائية فى البلاد ــ استقرت أحكامها الأخيرة على عدم شرعية فصل الزنوج عن البيض فى المدارس فان حكام الولايات التى تمارس رذيـــلة « التفرقة العنصرية » رفضوا تنفيذ هذه الاحكام .

ولقد اضطر الرئيس الأسبق ايزنهاور الى ارسال قوات من الجيش لحماية الطلبة الزنوج ، وتمكينهم من الدراسة .

وعندما انضم الطالب الزنجى « جيمس مريدت » الى جامعة مسيسيبى قامت حركة تمرد عنيفة أدت الى مقتل الكثيرين حتى اضـــطر الرئيس السابق « كيندى » الى ارسال قوة من الجيش قوامها ١١٠٠ جندى من المشاة ، ١٥٧ مهندسا عسكريا لاقامة معسكرات للقوة التى تســقط بالهيلوكبتر فى مسيسيبى لتطويق مبنى الجامعة .. بالاضافة الى ٩٠٠٠ جندى وضعوا فى حالة طوارىء لمواجهة التطورات المرتقبة ! ..

وحينما تحدى الرئيس السابق كيندى دعاة التفرقة العنصرية ، وقدم مشروع منح الزنوج الحقوق المدنية .. دفع حياته ثمنا لهـــذه الخطوة الجريئة !

وقد صمد الزنوج بصلابة فى مواجهة هذه الحياة غير الانسانية كما دعاهم زعيمهم الروحى « دكتور مارتن لوثر كنج » ــ الحائز على جائزة

نوبل ، والذى حوكم فى فبراير ١٩٦٥ بتهمة قيادة مظاهرة سلمية بدون اذن :

ولما نضب معين الصبر لدى الزنوج قرروا الزحف الى المقار الرسمية، بل والى شكاغو العاصمة نفسها للولايات فى مظاهرات سلمية لاعلان السخط والاحتجاج ، وخاصة بعد قتل « مالكولم اكس » زعيم منظمة الوحدة الافروأمريكية للزنوج الأمريكيين فى ١٩٦٥/٢/٢١ بحى هارلم المخصص للزنوج !

وقد كتب مالكولم اكس قصة حياته بقلمه ، فوصف فيها كيف قتل أبوه بواسطة دعاة التفرقة العنصرية ، ووضعت جثته على شريط الترام الذى شطرها نصفين ٠٠ كما روى كيف قتلوا أربعة من أعمامه وأنه يعتقد شخصيا أنه سيموت بنفس الطريقة ! ٠٠

وبعد ان قاد دكتور مارتن لوثر زحفه السلمى الكبير فى ١٩٦٥/٣/٩ — الذى سمى زحف الحرية — الى عاصمة ولاية ألاباما ، مطالبا بتطبيق « قانون الحقوق المدنية » ارتكب البوليس ضد المتظاهرين ألوانا من العنف الوحشى المعتاد ٠٠ كما اعتدى خمسة من البيض على ثلاثة من مئات القساوسة الذين اشتركوا فى هذا الزحف ، ومات أحدهم بعد نقله الى المستشفى فى حالة بين الحياة والموت ! ٠٠ الأمر الذى قامت من أجله مظاهرات عديدة فى جميع الولايات ... وفى ولاية الاباما بالذات ، التى يرأسها حاكم من غلاة التفرقة العنصرية ! ٠

وقد أعلن الزنوج فى ١٩٦٥/٣/١٣ أنهم سيقومون بمسيرة تبدأ من نيويورك ، وتقطع ٢٣٠ ميلا الى وشنطون بحيث يتبادل الجرى كل ميل بعض أبطال الجرى السابقين حاملا شعلة الحرية !!

* * *

هذه قصة « العنصرية » فى العالم التى جعل لها أصحابها فلسفة تكاد تشبه العقيدة الدينية ، هى أن جنسا يتمتع بتفوق على جنس آخر أو أجناس أخرى ، ويجب أن يسود ٠

ولاتزال هذه الخرافة قائمة حتى بعد أن أثبت علماء الاجناس بطلانها ، وأن أى جنس لا يتفوق « غريزيا » أو « طبيعيا » على أى جنس آخر ، ولا يكون هذا التفوق الا بالعمل والنشاط ٠٠ وبالتالى بالحضارة، وأن الأيام دول يداولها الله بين الناس ٠ وكل من صنع حضارة أصبح

من حقه أن يتمتع بها فحسب ، لا أن يستعلى على الآخرين ، ولا أن يسودهم.. ومن باب أولى أن لا يستعمل معهم العنف الى درجة « الأبادة » !!

السلالات البشرية :

ان الأصل فى تقسيم السلالات البشرية تقسيما علميا هو الصفات الجسمية وحدها • ويمكن حينئذ ان نذكر ان لفظ « سلالة » أو « جنس » عبارة عن مجموعة من البشر يشتركون فيما بينهم فى صفاتهم الجسمية الاساسية • وفى نفس الوقت يختلفون عن غيرهم من البشر فى هذه الصفات أو بعضها • ولا تصلح اللغة أساسا لتقسيم البشر الى سلالات • فهناك أكثر من لغة تنتشر بين السلالة الواحدة ، كما هو الحال فى لغات « الجنس الالبى » الذى ينتشر وسط اوربا ، كما أن اللغة الواحدة قد تنتشر بين أكثر من جنس واحد كما هو الحال فى اللغة الانجليزية أو الفرنسية مثلا • وطالما فرض الغزاة لغتهم على سكان مستعمراتهم • كما لاتصح القومية أساسا للتقسيم الجنسى •فالعرب والهنود والانجليز والألمان لكل منهم قومية خاصة • وقد يجمع فريق منهم لغة واحدة أو دين واحد ، ولكنهم قد يكونون منحدرين من أكثر من سلالة • والدين لم يستخدم كأساس جنسى الا فى حالة اليهود ، أو بنى اسرائيل • والحقيقة ان اليهود لا تجمعهم الا رابطة الدين ، وهم يختلفون بعد ذلك جنسيا ، وثقافيا ، وحضاريا.والدين الواحد يعتنقه عدد كبير من السلالات والقوميات والدول ، ولا يرتبط أى دين بجنس بعينه ، أو بسلالة بذاتها(٦) •

ولذلك فأسس تقسيم البشر الى سلالات تقسيما علميا هى الأسس الجسمية التى يمكن مشاهدتها كلون البشرة ، وشكل الشعر ، ولونه، وشكل العين ولونها • أو تلك التى يمكن ملاحظتها وقياسها كشكل الرأس ، أو شكل الجسم ، وشكل الأنف ، وطول القامة ، أو التى يمكن تحليلها كفصائل الدم •

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم البشر الى أربعة مجموعات رئيسية ، تنقسم كل منها الى أقسام ثانوية أو أجناس ، وهى :

١ ـ مجموعة السلالات البيضاء والسمراء ، أو ماتسمى أحيانا « مجموعة السلالات القوقازية » ـ وهى توجد فى معظم جهات أوربا وشمال أفريقيا وشرقها ، وجنوب غرب آسيا ، وهاجرت باعداد كبيرة الى العالم

(٦) التفرقة العنصرية فى أفريقية . د . فؤاد الصقار . ص ٩ .

الجديد ، والى أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء ، والى استراليا ونيوزيلندا • وأهم ما يميز هذه السلالة لون البشرة الأبيض فى الشمال (الجنس النوردى) والأسمر فى الجنوب (جنس البحر الأبيض المتوسط) •

٢ ــ مجموعة السلالات السوداء أو الزنجية التى تنتشر فى القارة الأفريقية فى جنوب الصحراء ، وفى المناطق الاستوائية ومناطق السافانا على الخصوص • كما انتشرت فى جنوب أفريقيا وجنوب شرق آسيا •

وقد نقل جزء كبير منهم الى أمريكا أيام تجارة الرقيق • ومن أهم صفات هذه المجموعة البشرة البنية أو السوداء ، والشعر المفلفل أو الشديد التجعد ، والأنف القصيرة الواسعة ، والشفاة الغليظة • أما القامة فهى تختلف بين الطول المفرط (السودانيون) والقصر المفرط (الأقزام) •

٣ ــ مجموعة السلالات الصفراء ــ أو المغولية ــ التى توجد فى شرق وجنوب شرق آسيا • كما توجد بين الهنود الحمر فى الأمريكيتين ، وفى قبائل الاسكيمو فى الاسكا ، وشمال كندا ، وفى المناطق القطبية الباردة•

وتمتاز هذه المجموعة بلون البشرة المائل الى الصفرة ، والشعر المستقيم، وعظام الخد البارزة والعين المائلة ، والقامة المتوسطة ، والرأس العريضة ، والجبهة المرتفعة والأنف القصير •

٤ ــ مجموعة السلالات المختلفة التى لا تدخل تحت الأنواع الثلاثة، وان كانت السلالات الثلاثة السابقة قد امتزجت هى الأخرى بدرجات متفاوتة •

ويرجع اختلاف الناس هذا الى تأثير البيئة ، وتوريث الصفات الفطرية والمكتسبة ، والاختلاط المستمر بين الأجناس المختلفة نتيجة الهجرات •• وكل ذلك رغم انتماء جميع السلالات الى جنس بشرى واحد كما سلف •

خرافة التمييز العنصرى :

ولاشك ان هذه الفروق بين السلالات جميعها هى فروق سطحية فى الشكل وليست جوهرية فى النفس •

يقول هـ•ج• ويلز : (١)

« يجب علينا ان نتذكر ان الاجناس البشرية تستطيع جميعا ان

(١) موجز تاريخ العالم • المصدر السابق ص ٥٥ •

تتخالط وتتوالد بمنتهى الحرية وانها تفترق ، وتمتزج ثم تعود الى الاتحاد كما يفعل السحاب فى السماء • والأجناس البشرية لا تتفرع كالشجر فروعا لا تلتقى بعد ذلك ابدا • والواقع ان هذا الاختلاط المتكرر للاجناس الذى يحدث عند كل فرصة تسنح أو ينبغى ألا يغيب عن بالنا البتة . فاذا فعلنا ذلك نجونا من كثير من ألوان الضـــلال والتحيز القاسية • والناس يجنحون الى استعمال كلمة مثل كلمة « جنس » بصورة فضفاضة يتجلى فيها اطلاق القول على عواهنه ، ويبنون عليها أشد أنواع التعليمات مخالفة للعقل والمنطق • وهم يتحدثون عن « جنس بريطـــانى » أوعن « جنس أوربى » ولكن الامم الأوروبية كلها تقريبا خلائط مضطربة من عناصر سمراء وأخرى بيضاء قاتمة وبيضاء مغولية » •

وليس فى الصفات الجسمية للبشر ما يمكن أن يكون أساسا للرقى أو الانحطاط . فدراسة الأعضاء لا تكون الا على أساس الوظيفة (١) .

والحقيقة ان الدراسة العلمية للاجناس لم تظهر من الناحية البيولوجية اى امتياز مطلق لجنس على آخر •

ولما كان علماء التطور الأوائل ــ كما قدمنا ــ يؤمنون بأن الانسان قد تطور فى خط مستقيم ــ وبالتدريج ــ من الحيوانات غير البشرية الى السلالات البيضاء ، وكأن هذا الخط فى نظرهم أشبه بالسلم كل درجة فيه أرقى من سابقتها وأحط من لاحقتها ــ لذلك يرون أنه كلما بعـــد الانسان فى شكله وصفاته عن القردة ــ الموجودة فى أول السلم ــ كلما كان الانسان أكثر رقيا بين النوع البشرى • ويضربون لذلك مثلا بأن جماعات البوشمن والزنوج يتميزون بالأنف الافطس والواسع الغليظ الذى يتميز به القردة ــ بينما الأوروبيون ذوو أنوف ضيقة بارزة مما يدل ــ فى نظرهم ــ على أنهم نوع بشرى أرقى من الزنوج ، وكذلك أرقى من المغول لانخفاض أنوفهم •

واذا أردنا ان نتتبع هؤلاء فى أدلتهم لوجدنا أن جميع أجناس العالم فيها من الصفات ما يشبه القردة • بل لوجدنا ان السلالات البيضاء فيها من التشابه مع القردة أكثر مما فى السلالات الزنجية •

فأهم اختلاف بين الانسان والقرد هو الغطاء الشعرى • ومن بين جميع الأجناس نجد الجنس المغولى أقل السلالات شعرا فى جسده بينما

---

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقية . المصدر السابق ص ١٥ •

السلالات البيضاء أكثر الأجناس شعرا فى جسدهم • كذلك نلاحظ أن القردة تتميز بشفاه رقيقة كالأوروبيين بينما نجد للزنوج شفاها غليظة•

وكان اعتقاد علماء التطور الأوائل أيضا ان رقى السلالة مرتبط أوثق الارتباط بزيادة حجم المخ(١) •

وهذه النظرية — كسابقتها — لا أساس لها من الناحية العلمية ، لأن الفروق فى حجم المخ بين أنواع البشر ضئيلة بوجه عام باستثناء مخ الأقزام بسبب صغر رءوسهم •

وبالرغم من ذلك فليست المشكلة مرتبطة بحجم المخ بقدر ما هى مرتبطة بعمل المخ • ومن الثابت علميا أنه ليس هناك ما يميز سلالة عن الأخرى من الناحية العقلية لو أعطيت كل سلالة فرصة متساوية •

وقد عملت فى منتصف القرن الماضى وفى خلال الحرب العالمية الأولى عدة اختبارات لمعرفة مستوى الذكاء بين عدة عناصر من البشر ، فى مناطق متفرقة • وقد دلت هذه الاختبارات الأولية على أن متوسط العمر العقلى للزنوج ٤ر١٠ بينما يبلغ عند البيض ١ر١٣ • وهكذا أفادت هذه الاختبارات فلاسفة العنصرية فى رأيهم بأن الزنوج أقل مستوى فى ذكائهم من أحط العناصر البيضاء(٢) •

وقد استمر هذا الرأى فترة تقرب من ربع قرن كحجة فى التفرقة العنصرية بين الأجناس ، وفى ربط الذكاء والمستوى العقلى بلون البشرة• ولكن فى الثلاثينيات والأربعينيات فى هذا القرن أعيدت دراسة الموضوع برمته ، فوجد أن هذه الاختبارات كانت مرتبطة بالثقافة أكثر من ارتباطها بالذكاء • كما أن هناك اختلافات فردية فى المجموعات المختلفة ترتبط بعوامل ثقافية ونفسية كثيرة . كما ترتبط بالتجارب ، وبكثير من العوامل المتنوعة المعقدة

بل لقد دلت الاختبارات التى عملت فى العقد الخامس فى هذا القرن فى بعض مدارس الولايات المتحدة أن المستوى العقلى للتلاميذ الزنوج يفوق المستوى العقلى لزملائهم البيض مما يقطع بأن المسألة ليست مسألة جنس أو لون مطلقا •

---

(١) المصدر السابق • ص ١٦ •

(٢) المصدر السابق • ص ١٧ •

الباب الثانى
العنصرية فى ظل الاستعمار

الفصـــل الأول ـ ارتباط العنصرية فى افريقية بالاستعمار
الفصـــل الثانى ـ العنصرية فى المستعمرات البرتغالية
الفصـــل الثالث ـ العنصرية فى جمهورية جنوب افريقية
الفصـــل الرابع ـ العنصرية فى جنوب غرب افريقية
الفصـــل الخامس ـ العنصرية فى روديسية الجنوبية
الفصـــل السادس ـ العنصرية فى زامبيا
الفصـــل السابع ـ العنصرية فى مالاوى
الفصـــل الثـامن ـ العنصرية فى كينيا
الفصـــل التاسع ـ العنصرية فى تانزانيا
الفصـــل العاشر ـ العنصرية فى أوغنـــدة
الفصل الحادى عشر ـ العنصرية فى غرب أفريقية
الفصل الثانى عشر ـ العنصرية فى الكونغو (ليوبولدفيل)
الفصل الثالث عشر ـ العنصرية فى المغرب العربى قبل استقلاله

الفصل

الأول : ارتباط العنصرية فى أفريقية بالاستعمار

بالرغم من أن أفريقية قد اكتشفت سواحلها الغربية والجنوبية فى أواخر القرن الخامس عشر فان مناطقها الداخلية استمرت غير معروفة للاوربيين حتى القرن التاسع عشر . وكان السبب الرئيسى فى ذلك تعذر التوغل نحو الداخل نظرا لصعوبة المواصلات ، وتفشى الأمراض والحشرات، وتناحر القبائل مع بعضها البعض .

وكان التوغل نحو الداخـــــل بداية المشاكل العنصرية وقد بدأ هذا التوغل فى نهاية القرن الثامن عشر بحجة انماء المعلومات الجغرافية ، باكتشاف منابع النيل والنيجر وغيرهما من الأنهار . وهكذا ظهر فى تاريخ أفريقية أسماء بعض المستكشفين الأوروبيين امثال بارك الانجليزى فى غرب أفريقيا ، والدكتور بارث الألمانى فى السودان الغربى ، ولفنجستون وسبيك وبرتون الذين اكتشفوا الزمبيزى وشلالات فيكتوريا وبحيرة نياسا وبحيرة تنجانيقا ونهر الكونغو (١) .

وقد ساعد المكتشفون بما أذاعوه فى أوربا عن هذه البلاد على وصول المبشرين المسيحيين ، وتجار الرقيق ، والكثير من الشركات التجارية ، والمهاجرين والمستوطنين الأوربيين . وهكذا بدأ الاستعمار الأصلى لهذه البلاد فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر . ونتيجة لذلك امتلك كثير من المستوطنين الأوربيين الكثير من الأراضى الصالحة للزراعة ، كما كونوا الشركات الاحتكارية التى سيطرت على المناجم وغيرها من مقومات الاقتصاد الأفريقى لمصلحة المستوطنين البيض ، والدول الاستعمارية فى نفس الوقت .

وكانت اوروبا فى ذلك الوقت قد بدأت تخرج من طور الاقتصاد الزراعى الى مرحلة الاقتصاد الصناعى ، وبدأت الحضارة تتطور باحثة عن المواد الخام للأنتاج ، وعن أسواق للاستهلاك وعن الأيدى العاملة الرخيصة .

---

(١) التفرقة العنصرية فى افريقية . المصدر السابق ص ٤٦ وما بعدها .

وتسابق البرتغاليون ـ منذ الكشوف الجغرافية الأولى فى أواخر القرن الثامن عشر ـ والفرنسيون والانجليز والألمان والهولنديون والأسبان الى أفريقية ، ذات أقدم حضارة فى التاريخ ، فاستولى الفرنسيون على جابون عام ١٨٣٩، ونزلت بساحل العاج سنة ١٨٤٢ واستولت عليها سنة ١٨٨٢ ووصلت الى داهومى سنة ١٨٥١ ولكن لم تضمها الا عام ١٨٩٤ . ثم أخذوا يتوغلون فى غرب القارة عن طريق السنغال والنيجر فاستولوا على معظم غرب أفريقيا تاركين منطقة حول مصب نهر غمبيا لبريطانيا . وقد سميت ممتلكات فرنسا باسم أفريقية الغربية الاستوائية الفرنسية كما استولت فرنسا على المغرب العربى .

واستولت أسبانيا على ريودورو بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ الذى وزعت فيه الأسلاب بين الأطراف الاستعمارية المتنازعة فى القارة وهى : انجلترا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا ، وقد أضفى هذا المؤتمر على استعمار أفريقيا (شرعية) لم تكن له من قبل . وفى سنة ١٩٠٠ اتفقت اسبانيا وفرنسا على أن يكون الحد الجنوبى للنفوذ الأسبانى مسايرا لرأس بلانكو بحيث يقسمها قسمين .

وفى سنة ١٩٠١ ضمت منطقة أخرى للأراضى الأسبانية بين رأس بوجادور ورأس جوبر ، وتمتد فى الداخل . وفى ١٩١٢ عدلت الحدود بحيث تسير مع وادى دراغ ، وهذا الجزء معروف باسم « مراكش الأسبانية » الذى ضم الى المملكة المغربية بعد الاستقلال . ولا تزال منطقة افنى تحت النفوذ الأسبانى .

واستولت ألمانيا على منطقة الكمرون وتوجو وأفريقيا الجنوبية الغربية . ووضعت البرتغال يدها على أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية وبعض الجزر الافريقية الصغيرة التى أهمها برنسيب ، وساوتوميه .

أما ايطاليا فغزت السواحل الصحراوية ، واستولت على برقة وطرابلس سنة ١٩١٢ . كما سيطرت على الصومال واريتريا .

وتوغل الهولنديون فى داخل القارة من ناحية الجنوب منذ القرن السابع عشر ثم جاء البريطانيون وحدث الاحتكاك بين العنصرين : الانجليز والبور Baoers (الهولنديين) ولما تكاثر الانجليز فى القرن التاسع عشر ارتحل البور شمالا سنة ١٨٣٠(١) .

---

(١) الجغرافيا السياسية لأفريقيا . المصدر السابق ص ٥٤ وما بعدها .

ولما حاول زنوج البانتو التجمع لمحاربة الأوربيين حربا شاملة سنة ١٨٥٠ هزمهم البور ، والانجليز الذين اقتسموا المنطقة فكانت الترنسفال والأورانج للهولنديين ، ومنطقة ناتال وكيبتاون للانجليز .

وكونت انجلترا مستعمرة ناتال ، وتحصن البور فى ولاية أورانج الحرة . وبعد أن عبر البور نهر فال ، أحد روافد نهر الأورانج ، كونوا منطقة الترنسفال بعاصمتها بريتوريا . ثم ضمت الترنسفال الى بريطانيا على اثر ظهور الذهب فى منطقة الراند بالقرب من جوهانسبرج .

وقد تدفق الانجليز على هذه المنطقة ، ونشبت حرب البور الأولى سنة ١٨٨٠ . ثم قامت دولة البور باتحاد الترنسفال والأورانج . وفى الفترة بين ١٨٩٩ — ١٩٠٢ نشبت حرب البور الثانية وانتصر الانجليز على البوير ، وقام اتحاد جنوب أفريقية سنة ١٩٠٨ .

وقد كان للشركات الكبرى التى تكونت فى افريقية دور هام فى استعمارها ، ثم تقسيمها ثم نشر وباء التمييز العنصرى فيها .

ففى سنة ١٨٨٥ تكونت شركة افريقيا الشرقية الألمانية .
وفى سنة ١٨٨٦ تكونت شركة الكونغو التجارية الصناعية .
وفى سنة ١٨٨٦ أيضا تكونت شركة النيجر الملكية البريطانية .
وفى سنة ١٨٨٨ تكونت الشركة البريطانية لشرق أفريقية .
وفى سنة ١٨٩١ تكونت شركة موزمبيق البرتغالية .

وقد عقدت هذه الشركات الاحتكارية الاستعمارية عدة اتفاقات غير متكافئة مع زعماء القبائل ، وقامت بشراء مناطق كبيرة ، وأسست مراكز للتجارة .. وللوثوب الى الداخل . ثم أنشأت شبكة واسعة من المواصلات . وفى النهاية كانت تبيع أملاكها التابعة لها ، التى تعين للمنطقة حاكما عاما ، ويصبح الاستعمار سافرا بعد أن كان مستترا .

فالشركة البلجيكية تحولت الى مستعمرة الكونغو سنة ١٩٠٨ .

وشركة شرق افريقية البريطانية تحولت الى « الشركة الامبراطورية » التى اشترت حق ادارة بعض المناطق من سلطان زنجبار . وقد تنازلت هذه لشركة ايطالية تولت ادارة قسمايو ومقديشيو . ثم حصل الايطاليون على منطقة ممتدة على نهر جوبا ، وبدأ الاستعمار الرسمى للصومال .

أما الشركة التى كونها كارل بيتز الألمانى فقد عقدت المعاهدات مع السلاطين وشيوخ القبائل ثم انتهى الأمر بالاحتلال الألمانى .

وقد اختلف الاستعمار الأوروبى من منطقة الى أخرى باختــــلاف سياسة الدول الاستعمارية من جهة ، واختلاف الظروف الطبيعيـــة والبشرية للدولة التى ابتليت بالاستعمار من جهة أخرى ..

ولكن بالرغم من هذه الاختلافات النظرية فان هناك اتفاقا جذريا بين الدول المستعمرة لجميعها على معاملة الوطنيين الأفريقيين معاملة سيئة . وكان ينظر الى أهل البلاد الأصليين على أنهم نوع من البشر ، لا يرقى الى درجة الجنس الأبيض الأوروبى الذى يجب ان يسود ، وأن يحكم!(١)

وقد ارتبطت فكرة الامتياز الأوروبى على الأفريقى أولا بالدين . فالافريقيون غير مسيحيين كالأوروبيين . وكان هـــذا العامل الدينى الموروث من العصور الوسطى موجها ضـــد الوثنيين . ولم ترتبط العنصرية باللون الا فى بداية القرن التاسع عشر حين قسم الأفريقيون الى سود وبيض أو بيض وغير بيض ، وأصبح الدين غير صالح للتفـــرقة العنصرية . وهكذا ظهرت التفرقة العنصرية على حقيقتها ، فى شكل متاجرة بالرقيق (٢) .

وقد ظهرت هذه العنصرية فى معظم المستعمرات . وكان ظهورها أشد فى المستعمرات البريطانية من أية منطقة اخرى . فالدين لم يكن له فى تلك المستعمرات شأن يذكر حيث تحـــول جانب من الوطنيين الى الدين المسيحى (٣) .

وتحتم سياسة العنصرية القائمة على اللون ابعاد العناصر الأفريقية عن كل ما يتمتع به البيض من مرافق ، ومن خدمات ، ومن حقوق مدنية.

وربما كانت اهم مشكلة تسببها التفرقة العنصرية هى مشكلة الأرض بسبب انتشار الصحارى ، والغابات والمستنقعات ، واقتصار الأراضى الصالحة الزراعة على مناطق صغيرة نسبيا . وقد تجسمت هـــذه المشكلة فى المناطق التى هاجر اليها الأوربيون بكثرة بقصد الاستيطان ، وامتلاك الأراضى ، أو العمل الزراعى مثل اتحاد جنوب افريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، وكينيا والجزائر ، اذ امتلك هؤلاء الأوروبيون أخصب المناطق وأصلحها للاستقرار ، تاركين المناطق الفقيرة أو ذات الأمطار القليـــلة للتملك الأفريقى ، أو للمعازل الأفريقية كما يسمونها .

---

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقيا . المصدر السابق ص ٥٨ .
(٢) التفرقة العنصرية فى أفريقيا . المصدر السابق ص ٠ ٥٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .

وزاد المشكلة تعقيدا اختلاف نظرة كل من الأفريقيين والأوروبيين الى الأرض . فالأفريقيون يعتمدون على الزراعة فى اقتصادياتهم اعتمادا كليا ، كما يعتبرون الأرض ملكية جماعية للقبيلة أو للعائلة . فهم ينظرون الى الأرض نظرتهم الى حياتهم ، باعتبارها قوام حياتهم . اما الأوروبيون الوافدون فيعتبرونها من الممتلكات الشخصية لكل فرد شأن الملبس والأثاث ، والمسكن ، وهكذا اختلف مفهوم الأرض لدى كل من الفريقين .

ونظرا لعدم وجود نظام مكتوب للتمليك العقارى لدى الأفريقيين فقد اعتبر الأوروبيون الأرض ــ وخاصة ما كان يستغل منها لفترات قليلة من السنة ــ لا مالك لها ــ كما أن تباعد القرى جعلهم يعتبرون الأراضى الواقعة بين كل قرية وأخرى من أملاك الدولة ، التى أصبح يسيطر عليها الرجل الأبيض مع أن هذه الأرض كانت مملوكة لأفريقيين يستغلونها فى الرى أو الصيد أو قطع الأخشاب كما كانت القرى تنقل من مكان الى آخر بعد نضوب خصوبتها .

وقد دفعت بريطانيا ثمن ممارسة هذه السياسة الاستعمارية فى كينيا عندما نشبت ثورة قبائل الكيكويو التى انتزعت أراضيها الموجودة فى هضاب كينيا .

ولكى يمكن المستعمرون من جذور هذه العنصرية الجنسية ــ ذات الأساس السياسى البحت ــ عملوا على تمزيق القارة تمزيقا عجيبا ، ففصلوا أجزاء مناطق ذات طبيعة جغرافية وبشرية واحدة عن بعضها . كما أنشأوا وحدات سياسية صغيرة ، وأثاروا بينها العصبيات القبلية ، والنعرات القومية الزائفة . وان كل من ينظر الى خريطة أفريقية يهوله ما يراه فى دولها من منحنيات ، وأضلاع تمثل حدودا سياسية مصطنعة ، واقتصاديات غير متكاملة . والا فلماذا تقسم شعوب غرب افريقيا التى تتشابه فى الجنس والعقيدة ، واللغة ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية بينما تبلغ مساحته أكبر من مساحة الهند ذات اللغات والأجناس والأديان المتعددة ؟ .

ولماذا تقسم قبائل الأنواك فى جنوب شرق السودان بين السودان والحبشة ؟ ولماذا تقسم قبائل الماساى بين كينيا وتنزانيا ؟ ولماذا قسم الصوماليون وشتتوا فى أثيوبيا وكينيا والصومال الفرنسى ؟

ان تخطيط الحدود السياسية بهذا الشكل المصطنع المتعمد ، خلق ٤٦ وحدة سياسية منها ١٣ وحدة لا سواحل لها بينما أن عدد الدول التى

لا سواحل لها فى العالم كله ١١ دولة فقط منها ٤ فى أوروبا ، ٥ فى آسيا ، ٣ فى أمريكا الجنوبية . وذلك جعلَ كل دولة منها تحت رحمة جيرانها الذين شكلهم الاستعمار تشكيلا مختلفا من الناحية الثقافية ، والاقتصادية ، والحضارية حتى أصبحت هذه المشكلة مثار منازعات دولية ، وافريقية متعددة الأطراف ، ومستمرة ! .

وخلاصة الأمر هى :

١ ــ ان التفرقة العنصرية لا أساس لها فى علم الأجناس .

٢ ــ نشأت فى افريقية مع الاستعمار ، وارتبطت به شكلا وموضوعا .

٣ ــ بدت أول ما بدت على أساس الدين ، ثم ظهرت بشكلها الحقيقى على أساس اللون .

٤ ــ خلقها الاستعمار لتخدم أغراضه . فهى اذن «نظرية سياسية» وليست « نظرية علمية » .

يقول جون جنتر(١) :

« ومن المؤكد أن هناك ملايين من الأفريقيين الأغبياء . تماما كما أن هناك ملايين الأغبياء من الروس أو الأمريكان ، أو غيرهم ممن تشاء من الشعوب . ولا يعنى ذلك أنه ليست هناك ملايين أخرى يمكنها بالقوامة والفرصة والثقة أن تصير الى ذكاء الرجل الأبيض تماما ، لأن العقل لا لون له والجميع يعلمون أن بعضا من العقول الصينية أو الهندية تماثل العقول الأوروبية ان لم تفقها ، وتبزها ، فليس هناك مسوغ أنثروبولوجى لافتراض أن يتفوق شعب دون شعب آخر بسبب اللون فحسب » .

« ولنقرر الحقيقة التالية مرة أخرى ، وهى أن جميع الافريقيين تقريبا ، أينما كانوا ، أو كان لون بشرتهم تواقون للعلم والمعرفة . وهم ينالون القدر الذى يستحقونه من التعليم ، وآخذون فى التطور السريع بعد استقلالهم . والتخلف الأفريقى ثمرة من ثمار الاستعمار ولا علاقة له بسلالة أو لون » .

---

(١) فى كتابه « داخل أفريقية » ترجمة باشراف حسن جلال العروسى . ص ١٦٦ .

الفصل

الثاني : العنصرية فى المستعمرات البرتغاليــة

ان البرتغال دولة من الدرجة الثالثة ، متخلفة اقتصاديا واجتماعيا بالرغم من سيطرتها على تلك المساحات الشاسعة فى أنجولا وموزمبيق فى أفريقيا . فمستوى معيشتها ، ونسبة المتعلمين فيها أقل من جاراتها فى الدول المتقدمة ، فنسبة الأمية فيها تبلغ حوالى ٧٠٪ ونسبة الوفيات بها أعلى نسبة فى أوروبا . ويعتمد ما يزيد على ٥٠٪ من السكان على الزراعة ، ودخل الفرد فيها أقل من دخل الفرد فى أوروبا . ونظرا لركود اقتصادها الخاص ، واعتماد صناعتها على شركات أجنبية ورأسماليين أجانب ، فقد تركزت القوة السياسية فى أيدى قلة من ملاك الأراضى الذين لم يهتموا أى اهتمام بخلق سوق للمنتجات الصناعية ، أو يعملوا على رفع مستوى المعيشة فى بلادهم .

ومع ذلك فالبرتغال تملك امبراطورية من أضخم امبراطوريات العالم ، اذ تبلغ مساحة مستعمراتها أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ ميل . أى ما يقرب من مساحة غربى أوروبا .

والبرتغال تعتبر النموذج الكامل للمجتمع المتحجر ، فهى لم تتأثر بكل الثورات الكبرى التى وقعت فى أوروبا .

وليس معنى ذلك أنها دولة مستقرة سياسيا . ففى الفترة التى انقضت بين نزول الملك شارل عن العرش سنة ١٩٠٣ وبين الانقلاب الذى قام به الجيش ، وأتى بسالازار سنة ١٩٢٧ ، تولى الرياسة ٨ رؤساء جمهوريات ، وقامت ٤٨ حكومة ، ونشبت ٢٠ ثورة ، حتى أن عصبة الأمم راودتها فكرة تولى ادارة البلاد لتحقيق الاستقرار فيها ! .

ومنذ استيلاء سالازار على الحكم ومستوى الحياة ــ وخاصة بين الطبقات العاملة ــ فى انخفاض مستمر ، والاقتصاد فى انكماش دائم (١) .

---

(١) البرتغال فى أفريقية . جيمس دفى . ترجمة جاد طه .

ومن أجل تنفيذ برنامج التعمير الاقتصادى اتجه سالازار الى العمل على استمرار السيادة البرتغالية بأن يعطى معنى دستوريا لنظرية الأمة الواحدة ، ففى عام ١٩٥١ حدث تغيير شكلى بأن أدمج قانون المستعمرات الذى كان ساريا منذ سنة ١٩٣١ فى الدستور البرتغـــالى . واعتبرت المستعمرات أراضى برتغالية . وفيما عدا ذلك لم يحدث أى تغيير !

وهى تشبه السياسة الاستعمارية الأسبانية حيث نظر الاسبانيون الى مستعمراتهم فى أفريقية كولايات أسبانية لا كمستعمرات ، كما تشبه السياسة الاستعمارية الفرنسية السابقة التى اعتبرت الجزائر ارضــا فرنسية !

ولما كانت القوة الشرائية منخفضة فى مستعمراتها الأفريقية اذ تحتوى على ٦ مليون نسمة فى موزمبيق و ٥ مليون نسمة فى أنجولا لجـــأت الحكومة البرتغالية فى ترويج منتجاتها الى طريقة عجيبة ، ففى النبيذ مثلا لجأت الى اصدار القرارات بمنع المشروبات المحلية المماثلة بحجة أن مشروبات لشبونة أقل ضررا من مشروبات المستعمرات !

أما القطن فيستورد من أفريقية بعد حلجه . وكان الانتاج ينحصر فى الملابس الرخيصة التى تصدر ثانية الى المستعمرات الأفريقية . وكذلك الحال بصدد المنتجات الأخرى كالســكر والخضروات والزيوت وسائر المنتجات الاستوائية ، وشبه الاستوائية .

وقد ظل سالازار فى الحكم منذ سنة ١٩٢٧ حتى الآن . ولم تشهد البرتغال حاكما قاسيا مثل سالازار .. فهو ديكتاتور ، متكبر ، متيبس الفكر والمبادىء . فلا حرية ولا ديموقراطية ولا عدالة اجتماعية .. بل سلطة مطلقة له ولأتباعه وكانت نتيجة ذلك أن جثم الفقر والجهل والمرض على صدر الشعب البرتغالى ، وحال هذا النوع من الحكم بينه وبين الحياة الحرة الكريمة التى تتناسب مع أفكار العصر . وهو الذى كان سببا فى تفكك الشعب عامة ، والأسرة خاصة .

أما السلطة فمركزة فى أيدى قلة من الطغاة الذين رفعهم سالازار الى الحكم . وأما الثروة فقد أصبحت فى أيدى قلة من الرأسماليين الأجانب، ومعهم أقلية من المغامرين الوطنيين الذين صارت كل آمالهم فى الغنى والشهرة بأية وسيلة على حساب أغلبية الشعب . ولهذا تفشت البطالة بين أكثر من ٥٠ ٪ من القوى العاملة .

وبعد أن انتهت الحرب الماضية انتعش أمل الشعب فى منحه قسطا من الحرية والرخاء .. ولكن سرعان ما خاب أمله حين أيدت بريطانيا وأمريكا سالازار خاصة بعد أن انضم الى الأمم المتحدة ، وحلف شمال الأطلنطى !

وعقلية سالازار عقلية استعمارية عتيقة كما أسلفنا . فهو لا يزال يحلم بالامبراطورية البرتغالية ويعتقد أن أنجولا وموزمبيق جزء من الوطن البرتغالى الأم .

لهذا لم يكن مستطاعا ــ والحالة هذه ــ تحقيق الوحدة القومية ، أو تطوير المستعمرات البرتغالية فى ظل حكومة سالازار التى تناهض ذوى الآراء الحرة ، والمثقفين ، وأصحاب المهن وتبطش بكل الحركات الوطنية التحررية ، وتفتك بالشعب .

وفى عام ١٨٣٦ صدر مرسوم فى البرتغال بالغاء الرق ، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية ، بعد أن اشتدت فى العالم كله الدعوة الى هــذا الالغاء . وفى عام ١٨٤٢ وقعت الدولتان اتفاقية أعلنتا فيها أن تجارة الرقيق تعتبر قرصنة . وفى سنة ١٨٥٨ تقرر الغاء جميع أشكال الرق خلال عشرين عاما .

غير أن الرق وان الغى فى المستعمرات البرتغالية بالنصوص القانونية فانه ظل قائما فى صور أخــرى ، منها صورة الســخرة ، والتمييز العنصرى (١) .

ففى عام ١٨٧٥ صدر قانون يرغم الأفريقى على التعاقد للعمل لمدة عامين مع مولاه السابق ولأجل تأكيد هذا الرق الجديد صدر عام ١٨٧٨ تشريع آخر يجعل من سلطة الموظف البرتغالى فى المنطقة أن يعتبر كل أفريقى لا يعمل بمقتضى القانون الأول .. عاطلا !

وقامت حجة البرتغاليين فى هذا النظام الجــديد على أن الافريقى لا يصبح متحضرا الا عن طريق العمل ، وأن اجباره على ذلك جــزء من رسالتهم التمدينية !

وقد دافع المندوب البرتغالى عن هذه السياسة عام ١٨٩٥ فى المؤتمر السادس للجمعية الجغرافية الدولية ، فقال :

---

(١) نهاية الاستعمار . محمد هنالى . ص ١٥٤ .

« اننا نسمع اليوم الناس يتحدثون عن العمل الاجبارى ، كما نسمع بالمثل كلمة « الرق » التى كثيرا ما استخدمت لاستغلال ذوى القلوب الطيبة فى أوروبا . وعندى أن الزنجى لن يشتغل أبدا عن رضاء ذاتى . والوسيلة الوحيدة لارغامه على العمل هى أن تجعله يدفع ثمنا غاليـــا لاشباع ضروريات الحياة القليلة التى يحتاج اليها . وهذا كان هـــدف سياسة البرتغال الاقتصادية فى أفريقية » .

وتقول البرتغال أيضا فى معرض دفاعها عن تلك السياسة :

« ان المرسوم الصـــادر فى عام ١٩٢٦ قرر ان السخرة لا تستخدم الا للمصلحة العامة ، وأن يؤدى عنها أجر . كما نص قانون سنة ١٩٣٠ الخاص بتنظيم شئون المستعمرات — على أن نظام العمل بالتعاقد يقوم على أساس الحرية الفردية ، وحق الوطنى فى الحصول على أجر عـــادل ومعونة مجزية ، والا تتدخل السلطات العامة الا لأغراض التفتيش » .

غير أن العبرة ليست بالنصوص المكتوبة ، وانما بالتطبيق ، والروح السائدة فى هذا التطبيق .

١ — ينص القانون فى حالة السخرة على عدم أداء الأجر عن الأعمال التى يعود نفعها على الأفريقيين مباشرة . وهذا مبدأ عجيب فى القرن العشرين ، اذ المفروض أن تلك الأعمال من صميم واجبات الحكومة ، وهى تحصل الرسوم والضرائب وكافة الأموال الأميرية اللازمة لها . وقد اسىء — بطبيعة الحال — استخدام ذلك النص لسلب الأفريقيين أجورهم ، وحرمانهم من ثمرات مجهودهم الشاق المضنى ! .

٢ — يرسل الافراد الذين لا تميل اليهم السلطات ، لسبب او لآخر ، الى « ساوتوميه » أو « برنسيب » للعمـــل فى مزارع قصب الســـكر بأساليب لا تختلف عن أسوأ مظاهر العبودية .

٣ — المفروض طبقا للتشريعات أن يحصل العامل بالاختيار أو بالتعاقد على الأجر العادل ، ولكنه لا يعطى فى الحقيقة الا الأجر الذى يكاد يمسك رمقه . والغذاء الذى يقدم اليه من أحط الأنواع . والمأوى لا يختلف عن حظائر الحيوانات . والخدمات الطبية تكاد لا يكون لها وجود .

٤ — والمفروض كذلك أن يتعاقد الأفريقى فى حرية تامة . ولكن الذى يحدث فعلا أن صاحب العمل — سواء أكان فردا أم شركة — يتقدم بطلب الى السلطات يتضمن عدد الأيدى العاملة اللازمة . ويحال

الطلب الى المأمور المختص . وهنا يتسع المجال للرشوة ، اذ يعمد المأمور الى جمع أكبر عدد ممكن من العمال لتزداد مكاسبه .

٥ ــ كانت الحالة فى ظل الرق أقل سوءا من الحالة الحاضرة . فقد كان مالك العبد حريصا على أن يظل العبد حيا أطول مدة ممكنة بسبب ارتفاع ثمنه . أما فى ظل هذا القانون فصاحب المزرعة يدفع أجرا زهيدا له . وما عليه اذا مات العامل من سوء المعاملة ، أو سوء التغذية أو نقص الرعاية الطبية ، الا أن يطلب غيره !

٦ ــ لا يراعى أصحاب الأعمال والموظفون الشروط الخاصة باعفاء الصغار من العمل ، وانما يجرى استخدامهم على نطاق واسع ، وخارج مناطقهم بعيدا عن أهليهم ، وخاصة فى مزارع الشاى فى نياسا ، ومزارع البن فى أنجولا .

٧ ــ وعلى الخادم الافريقى لدى أسرة اوروبية أن يحمل « تصريحا » يوضح مركزه . وعلى مخدومه التوقيع فى الدفتر كل يوم . فاذا نسى الاخير أن يفعل ، أو تعمد أن لا يفعل ، ذلك فان السلطة تقبض على الافريقى وتحلق له رأسه ، ويرسل للعمل فى الطرق أو يلقى به فى السجون !

ونعرض هذا النظام للنقد الشديد على أساس أنه يؤدى الى استنفاد القوة البشرية فى المستعمرات البرتغالية . ولذلك يلاحظ أن الكثيرين من العمال الأفريقيين يهربون سرا الى المستعمرات المجاورة رغم ما فيها من سياسة التمييز العنصرى والعزل العنصرى ، كما فى جمهورية جنوب أفريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، ولكنهم يفضلونها على بلادهم !

قال سالازار فى احدى المناسبات :

« ان البرتغال كانت سباقة فى ميدان كشف أفريقية . وليس لدى البرتغال أية نية فى التخلى عن مسئولياتها . وهى تدرك أنها صاحبة رسالة مقدسة أمرها الله بالقيام بها لهداية الكافرين (!!) سواء أكانوا فى دولة الهند ، أو فى غابات الكونغو ، أو فى هضاب أنجولا . ولن تتخلى عن هذه الرسالة مهما يفعل الآخرون » .

وهذه الفلسفة الاستعمارية العنصرية تقوم على الأسس الآتية ، كما صورها جورج اميل ممن يقومون على شئون الدعاية الاستعمارية والعنصرية فى البرتغال :

١ ـ العنصر الجغرافى : ومؤداه امتداد رقعة البرتغال الصغيرة على أرض شاسعة عبر قارات ثلاث ، وتأكيد الحقيقة القائلة بأن البرتغال هى الدولة الاستعمارية الثالثة فى العالم !!

٢ ـ العنصر التاريخى : وفيه تكمن النظرية العنصرية التى تزعم أن البرتغال هو الشعب المختار لتمدين الغير على حد قول سالازار . ويقول جورج اميل أن ذلك « ترديد لملحمة أبطالنا من الملاحين المحاربين الذين دفعتهم الحوافز المقدسة فحملوا سيادتنا وايماننا الى أقاصى العالم . ويشمل هذا العنصر البطولى أنبل المشاعر التى نعرض بها رسالتنا كشعب مختار » .

٣ ـ العنصر المادى : وهو أن تجنى البرتغال ثمرات المشاق والجهود المضنية ، الضاربة جذورها فى أعماق التاريخ والتى بذلتها فى كشف مجاهل القارة النائمة ولسلب ونهب كنوزها قبل أن تطأها أقدام المغيرين البيض الآخرين .

ويقول عنه « جورج اميل » : « انه حصيلة جهودنا ومتاعب مبعوثينا بحيث أتيح لنا أن نأخذ من البلاد القاصية ثرواتها المخبوءة ، ونؤسس مراكز للأنتاج والربح فى بلاد بعيدة جدا » .

٤ ـ العنصر الوطنى : وهو النعرة الكاذبة التى حدت بحاكم أنجولا أن يقول متفاخرا :

« أقسم اننا نحن البرتغاليين سوف ننفذ واجبنا كوطنيين مهما كانت الضرورة ، ومهما كانت الصعوبة ، فى التضحية . اننا نعرف كيف نموت ، ونستشهد من أجل أراضى (١) البرتغال التى نرى أن تكون وأن تظل دائما برتغالية » .

ويقول جورج اميل عن ذلك « استلهم الشعور الوطنى ـ كما جرى على ذلك لقرون عدة ـ ما كتبه كاموس فى لوسيداس .. استلهم رمز الوحدة الأدبية للأمبراطورية التى تغنى بارتيادها وفتوحاتها فى سبيل الحضارة فى أبيات من الشعر الباقى على مر الزمن » .

ومعنى هذا أن المجتمع البرتغالى الأمبراطورى الكبير يجب أن تترابط أجزاؤه من النواحى الثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وأن يخضع

---

(١) يقصد مستعمرات البرتغال .

للسلطة المركزية فى لشبونة التى يجلس على قمتها السفاح الأكبر سالازار. وبعبارة أخرى : دولة واحدة ، ودين واحد ، وجيش واحد .

ويدل على حقيقة وجود هذا الاحساس الخيالى ما جاء فى افتتاحية جـريدة « العالم البرتغالى » من أنه « بدون المستعمرات البرتغالية فى أفريقية سوف تكون شعبا صغيرا (١) » .

ويقول وزير المستعمرات :

« كثيرا ما يقال اننا نتغنى بتاريخنا . بل يقول البعض اننا نحتمى فى الماضى لنعوض تفاهة الحاضر . وبرغم ذلك فاننا فى البرتغال نشعر الآن اننا ورثة تقاليد عظيمة جدا حتى أنه يحق لجيل اليوم أن يستحضر الماضى لا كذكرى ميته وانما كمصدر للألهام للمستقبل !!

وقد حرصت حكومة سالازار على غرس هذه السياسة الاستعمارية، والفلسفة العنصرية فى عقول أفراد الشعب البرتغالى ، المغلوب على أمره، وبخاصة فى صفوف الشباب لألهاب خيالهم الساذج ، ولحملهم على الهجرة الى المستعمرات . ولم يهتم المثقفون بهذه الدعاية المسمومة فى أول الأمر لجهلهم حقائق الأحوال فى المستعمرات . ولكن تكفل الفقر فى البرتغال بعد ذلك باقناع البرتغاليين بما كانوا يرفضونه . فقد كان دخل الفرد فى البرتغال من ٧٠ الى ٨٠ جنيه فى السنة ، وهو أقل دخل فى أوروبا .

وبدأت هجرات البرتغاليين تفد على مستعمرات البرتغال فى أفريقية جماعات جماعات ، كالجراد بعد أن كانت تستورد منها الرقيق الى مزارعها . وقد كان لهذه الهجرات أثرها على هذه المستعمرات . ومن ثم أصبحت مدنها جميعا تعج بالبيض وسط بحر من جمهور أسـود كالليل ، وأصبحت أحياء البيض معاقل تحمل الطابع البرتغالى . وقد نجحت حكومة سالازار فى هذه الناحية ، وان كانت قد عملت بمـرور الزمن على تجميد الحدود الفاصلة بين عالم البيض وعالم السود .

وهكذا أصبح عامل اللون « مركب تفوق » لدى البرتغالى الدخيل .. و « مركب نقص » لدى الأفريقى الأصيل .. وبدأت السياسة العنصرية السالازارية المتحجرة .

وظل سالازار يحلم بالامبراطورية رغم المصاعب الجمة فى المستعمرات،

---

(١) نهاية الاستعمار البرتغالى المصدر السابق . ص ٦٥ .

والهجوم العالمى على سياسته الخرقاء فيها . وقد تحدث فى مايو ١٩٥٤ عن المشكلة الأفريقية عامة فقال :

« الحقيقة الواقعة تقول ان أفريقية على فوهة بركان حتى فيما يجاور الحدود (١) البرتغالية ولكن لماذا تندلع النار فى أفريقية ؟ .. ليس لنا أن نتخيل أن ذلك يرجع الى نار كامنة فى الداخل ، وأعنى حركة التاريخ الحتمية التى تدفع السكان الى التمرد والصراع والاستقلال . ان أفريقية تحترق لأن النيران أشعلت فيها من الخارج » ..

أما الرئيس أفريكو توماس فقد قال فى نوفمبر ١٩٦٠ :

« ان وجودنا فى أفريقية ليس كوجود الآخرين . ولسوف نواصل دائما سياستنا فى الضم والاستيعاب » .

أما الدكتور كاسترو فرنانديز ، رئيس الاتحاد القومى للحزب الحاكم فقد قالها دون مواربة او حياء :

« ان البرتغال فى أفريقية .. ولسوف تظل فى أفريقية » .

العنصرية فى آنجولا :

تقع أنجولا بين نهرى الكونغو وكونين . ويحدها من الشمال والشمال الشرقى الكونغو (ليوبولدفيل) ، ومن الجنوب جنوب غرب افريقيا ، ومن الشرق زامبيا . وهى تطل من الناحية الغربية على المحيط الأطلنطى بساحل طوله حوالى ١٠٠٠ ميل ، وان لم تتوافر فيه الظروف الملائمة لأنشاء الموانى الطبيعية الجيدة .

ويتكون الأقليم من سهل ساحلى يتراوح عرضه بين ٣٠ ، ١٠٠ ميل . وتمتد موازية لهذا الاقليم هضاب مرتفعة تتجه من الشمال الى الجنوب يتجاوز أعلاها ٧٥٠٠ قدم ، فى حين يتراوح الارتفاع فيها جميعها بين ٤٠٠٠ و ٦٠٠٠ قدم . ويخفف هذا الارتفاع من درجة الحرارة الشديدة ، ولذلك تصلح تلك المناطق لأقامة الاوروبيين . وتهبط الهضاب فى الشمال الشرقى مكونة جزءا من منابع مجموعة نهر الكونغو ، فى حين تقع الأجزاء المنخفضة فى الجنوب الشرقى فى نهار زمبيزى وبحيرات بتشوانا لاند الشمالية .

---

(١) يقصد المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا .

والنبات الطبيعي غزير في الشمال . وتغطي الغابات المدارية مساحات كبيرة من المرتفعات ، في حين توجد الأشجار في الهضاب . وتنتشر أعشاب السافانا في الجنوب والشرق . وتربة البلاد خصبة بوجه عام . ونظرا لتنوع المناخ يمكن زراعة مختلف أنواع نبات المناطق المدارية والمعتدلة .

وبالرغم من أن أنجولا قطر متسع فانها قليلة السكان ، اذ تبلغ كثافة سكانها ٢٨ر١ شخصا في الميل المربع . ويبلغ مجموع السكان فيها نحو ٥ مليون نسمة ، منهم ٢٠٠ ألف أوروبي استوطنوا هناك منذ عهد قريب . والقبائل الرئيسية هي البانتو والبالوندا في الشرق ، واوفامبو في الجنوب ، ومبوندو والباكونجو في أقصى الشمال .

وتوجد في أنجولا مدن كبيرة كثيرة ، والعاصمة « لواندا » هي أكبرها اذ يزيد عدد سكانها على ٢٢٥ ألف نسمة ٣٥ ألفا من البيض ، وبنجويلا التي يزيد عدد سكانها على ١٩ ألفا ، وهما تقعان على المحيط ، ولوبيتو التي يزيد عدد سكانها على ٣٢ ألفا . ولواندا العاصمة من أجمل مدن أفريقية ، وهي ذات مناخ استوائي .

وتبلغ مساحة أنجولا حوالي ١٫٢٥٠٫٠٠٠ كيلو مربع ، أي قدر مساحة البرتغال التي تستعمرها ١٤ مرة .

وتمثل الزراعة الحرفة الأساسية للسكان الأصليين في أنجولا . وهي تقوم على مجرد أشباع الحاجات الأولية للأهالي ، كالاذرة والدخان الى جانب البطاطا .

أما الزراعة الحديثة فيمارسها الأوربيون ، وهي تمتاز بوجود الوحدات الزراعية الكبيرة والمتوسطة التي منحت للشركات والأفراد ، وازدياد استخدام الأساليب الفنية الحديثة تدريجيا — وان كان الاعتماد الأكبر على العمل اليدوي والعمال الأفريقيين بوجه خاص اذ أنهم أقل كلفة من استخدام الآلات الميكانيكية — والتركيز على انتاج المحصولات التجارية والصناعية وأهمها البن والقطن وقصب السكر . ويكون البن ٤٥٪ من صادرات أنجولا . ولكن هذا المحصول نقص منذ سنة ١٩٦١ بسبب الثورة الوطنية . وصناعة السكر من الصناعات ذات الأهمية الكبرى لاقتصاد أنجولا والبرتغال معا . وكذلك حرفة تربية الحيوان وأهمها الماشية والخنازير . وقد ترتب على وجود هذه الحرفة أن أصبحت أنجولا تصدر مقادير كبيرة من الجلود .

ومن أهم المعادن فى أنجولا الماس ، ولكنه يحتل المركز الثانى فى أهميته بعد تجارة البن . كما يتوافر فيها خام الحديد ، والمنجنيز . أما النحاس فلا يزال قليلا .

وأعظم عمل فى السنوات الأخيرة كان اكتشاف البترول عام ١٩٥٥ على مقربة من لواندا .

وقد لاحظ سالازار فى عام ١٩٤٣ أن الأراضى الغنية الشاسعة والتى يقل فيها عدد السكان هى المكمل الطبيعى للزراعة ، والصناعة فى الوطن الأم (البرتغال) بالاضافة الى أنها سوف تستوعب الفائض من السكان . لذلك وضعت حكومته مشروعات التنمية والتوطين . ولكن جهودها فى هذا السبيل لم تكن منسقة أو منظمة . كما أن مناخ أنجولا كان غير مشجع للكثيرين على هذه الهجرة . ومع ذلك فانها اجتذبت أكثر من غيرها من المستعمرات البرتغالية الأخرى نسبيا بسبب وفرة فرص العمل والعيش فيها .

ولقد عانت أنجولا العبء الأكبر من مساوىء الاستعمار البرتغالى ومفاسده ، فكانت البلد الذى استنزف البرتغاليون موارده البشرية فى عهد تجارة الرقيق .

لذلك لا عجب أن أصبحت أنجولا على درجة كبيرة من التخلف الاقتصادى بالقياس الى غيرها من البلاد الأفريقية الأخرى التى كانت تابعة للدول الاستعمارية مثل أفريقيا الوسطى ، والكونغو وكينيا ، وغانا وغيرها . وهذه الظاهرة ترجع الى عدة اعتبارات منها تخلف البرتغال ذاتها اقتصاديا ، وعدم اقبال أهلها على الاستيطان ، وقلة رأس المال البرتغالى المستثمر فى المستعمرات ، وعجز حكومة سالازار عن تشجيع رءوس الأموال الأجنبية ، وسوء الادارة .. الخ .

والحق أن التفرقة العنصرية التى يمارسها البرتغاليون فى أنجولا — وفى غيرها — تؤكد أنهم أحفاد قراصنة ، لا مجرد استعماريين كغيرهم .

وأهم مظاهر هذه التفرقة العنصرية هى :

١ — ان الافريقيين محرومون من تحمل أية مسئولية فى ادارة بلادهم . واذا وقعت احدى الجرائم البسيطة فى قرية من قراهم ظلت بلا تحقيق أو عقاب حتى يحضر رجل أبيض أو قسيس محلى . واذا كانت الجريمة خطيرة تولى الفصل فيها المسئول البرتغالى .

والسلطة العليا فى المستعمرات — منذ قانون سنة ١٩٣٠ — يمثلها حاكم عام ، يعينه مجلس الوزراء بناء على توصية وزير شئون ما وراء البحار لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

ويعاون الحاكم العام مجلس تشريعى ذو سلطة استشارية محدودة ، وأغلبية منتخبة من غير الأفريقيين . أما الباقون فيعينهم الحاكم العام .

وجهاز الحكم فى المستعمرات احتكار للبرتغاليين وحدهم . أما أبناء البلاد فعبارة عن جيش الأيدى العاملة لخدمة المصالح البرتغالية .

ومن يعين من الأهالى الوطنيين فى الجهاز الحكومى يكونون فى العادة عيونا للادارة البرتغالية . ولذلك ينظر اليهم مواطنوهم بعين الريبة ، ويعتبرونهم مجرد أدوات فى يد المستعمرين . وهكذا ، ومن خلال هذا النظام الادارى الصارم ، تمتد سلطة الحكومة البرتغالية ماشرة من وزارة المستعمرات فى لشبونة الى قلب المستعمرات ذاتها ، التى أصبحت منذ سنة ١٩٥١ تسمى «أقاليم ما وراء البحار» ورفع عنها اسم «المستعمرات» .

٢ — لا يسمح لغير الأفريقيين بالتمتع بأى حقوق مدنية . وتحول الأفريقى الى برتغالى مسألة صعبة لأنها تتطلب اجادة اللغة البرتغالية ، واستيعاب العادات والتقاليد البرتغالية . وهذا كله مستحيل بفضل العقبات التى تضعها الادارة البرتغالية . فالتعليم مثلا كله حكومى ، ولا يقبل فيه الا أبناء البيض فقط دون أبناء الوطنيين أصحاب البلاد الأصليين .

٣ — الافريقيون بحكم القانون ممنوعون من دخول المبانى العامة ، والفنادق . ويسمح للافريقى بالسفر بالدرجة الثانية ، وتناول الطعام فى بعض المحال العامة بشرط أن يرتدى ملابس أوروبية نظيفة اذا كان رجلا . أما السيدة فيشترط أن ترتدى فستانا ، وأن تكون سافرة .. وفى كل محطة أوتوبيس .. وفى كل محطة سكة حديد .. وفى كل مطار .. وفى البنوك .. وفى المحال العامة .. وفى حلبات السباق .. وفى الملاعب والشواطىء .. وحتى فى المطاعم نجد أماكن مخصصة للبيض وأخرى للسود .. وفى كل مكان تجد اللافتات وعليها عبارة « للأوروبيين فقط » أو « للسود فقط » أو « ممنوع دخول السود والكلاب » !!

وكتبت السيدة / جويندولن م . كارتر الأستاذة الأمريكية فى كتابها « الاستقلال لأفريقيا » الذى وضعته بعد عدة رحلات الى أفريقيا (١) .

---

(١) نهاية الاستعمار البرتغالى . المصدر السابق . ص ٨٨ .

« لقد مضى بعض الوقت قبل ان ادرك طبيعة الاحساس الغريب الذى أحسست به ، وأنا فى قاعة الطعام بفندق لواندا المريح . كان الطعام شهيا والخدمة ممتازة . وأخيرا تبينت لماذا لم أكن أحس بأننى فى أفريقية . لم أر وجها اسود واحدا . حتى أوانى الطعام التى وضعت أمامى حملها خادم أبيض . ولم أحس من قبل بأننى فى منطقة أوروبية ، معزولة عن القارة مثلما أحسست بذلك فى هذا المكان من أنجولا البرتغالية . ولم يكن فى الفندق الذى نزلت فيه أى أفريقى . وحتى الخدم والبوابين كانوا من البرتغاليين . وفى المنطقة المنبسطة القريبة من لواندا توجد مزارع برتغالية صغيرة بها منازل بيضاء أنيقة تحيط بها أشجار الفاكهة ، الى جانب مزارع النخيل وقصب السكر الشاسعة . وشاهدت أعمال البناء تجرى على قدم وساق فوق الهضبة . وفى « سيلا » بوجه خاص قد دفع الأفريقيون دفعا الى ما وراء الجبال الجرانيتية التى ترتفع فوق السهل الأجرد فى الوقت الذى شيدت فيه المساكن الجبلية فى نظام هندسى بديع ، وأعدت لسكنى المستوطنين الجدد البيض » .

٤ ــ نقص الخدمات الطبية والخدمات العامة الأخرى فى الأحياء المخصصة للسود ، وكذلك قصور التغذية . الأمر الذى أدى الى هبوط معدل المواليد ، وارتفاع نسبة وفيات الأطفال ، ومخاطر العمل التى بلغت نسبة وفيات العمال منها حوالى ٤٠ ٪ .

٥ ــ تجنيد الأفراد للعمل . وجاء بالتقرير (١) الذى وضعه الكابتن هنريك جلفاو أن ١٢ ٪ من العمال رفضوا لأسباب صحية ، وأن ١٠ ٪ هربوا من العمل أو مرضوا أو لم يمكن الاعتماد عليهم لأسباب أخرى ، وتم الالتجاء الى العنف لتعويض النقص ، وأن ٣٣ ٪ من القادرين على العمل لا يعملون . الأمر الذى يدل على أنه لا يعفى العامل من السخرة الا الموت ! لذلك فهو يقرر أن النظام القائم هناك أكثر من الرق . وجاء بالتقرير أيضا أن المستوطنين كانوا يتوجهون الى ادارة شئون الوطنيين

---

(١) أوفدت الحكومة البرتغالية الكابتن هنريك جلفاو ، وكان يعمل مفتشا عاما فى المستعمرات ونائبا عن أنجولا فى البرلمان ، الى مستعمراتها فى افريقيا عام ١٩٤٧ ليضع لها تقريرا عن أحوالها . وقد سافر جلفاو فعلا الى أنجولا ورفع تقريره الأول الى الجمعية الوطنية ، وعلى أثر رفعه لهذا التقرير قام سالازار بسجنه . ولكنه استطاع الهرب عا ١٩٥٩ وظل مختفيا حتى عام ١٩٦١ . وقد أخفت الحكومة التقرير الى أن حصلت جريدة الأوبزوفر على صورة منه فنشرته فى عددها الصادر فى ٢٩ يناير ١٩٦١ .

طالبين العدد اللازم من العمال وكأنهم سلع . وباستمرار هذا الأسلوب، واساءة استخدامه ، تعود المستوطنون على فكرة التزام الحكومة بتدبير العمال لهم . ويصح القول بأنه يسود هناك اعتراف ضمنى بهذا الالتزام من قبل الحكومة حيث انها تمارس فعلا عملية توريد العمال ، وتقوم فى سبيل ذلك بأعمال وحشية كسجن المجندين للعمل ، وغير ذلك من الأعمال التى لا تتفق بأى حال مع نصوص القانون والانسانية والحضارة.

ومؤدى نظام السخرة أو تجنيد العمال أن العامل لا يستطيع اختيار صاحب العمل الذى يؤدى له أفضل الأجور ، وانما يرغم على العمل لدى الشخص الذى تعينه السلطات حيث يحصل على الحد الأدنى من الأجر الذى ينص عليه القانون .. وكثيرا ما يحشدون كما تحشد الحيوانات للعمل فى مزارع أنجولا لدى المستوطنين حيث يموتون بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ ، ٣٠٪ من كثرة الارهاق ، والضعف .

وتجند الحكومة أيضا العمال للقيام بخدماتها . وغالبا تلجأ الى استخدام النساء والأطفال والعجزة لأنه لا تتوافر لديها عادة الاعتمادات المالية لتشغيل الرجال أو الأصحاء . وأحيانا ترغمهم على العمل بدون أجر أو غذاء فى الطرق ، والمزارع الحكومية . وكان يشتد الطلب على العمال فى أقاليم نائية جدا فلا يؤدى لهم أجرهم الا بعد تنفيذ الأعمال بشهور طوال .

وكان الوطنيون الذكور فيما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين عرضة لهذا العمل الاجبارى سواء لدى صاحب عمل من البيض ، أو فى الخدمات العامة . ولكى يعفى الأفريقى منه عليه أن يثبت (أولا) انه يعمل بنفسه فى مهنة أو تجارة أو صناعة (ثانيا) أنه سبق أن أدى هذه الخدمة الاجبارية للدولة أو لمقاول خاص لمدة ستة شهور على الأقل بصفة مستمرة (ثالثا) أو أن يكون فلاحا أوفى بكل الشروط التى حددتها تشريعات المزارعين .. الخ .

ويقول الكابتن جلفاو عن معاملة أصحاب الأعمال أنفسهم للعمال (١) :

١ – انهم يقاومون بكل الطرق الممكنة سياسة الأجور العادلة .

٢ – يسيئون معاملة العمال بكل وسيلة ، اذ ما تزال العقوبات البدنية ، وأساليب العنف الجثمانى قائمة . كما تسود الفكرة القائلة بأن الوطنى مجرد « حيوان » لحمل الأثقال .

---

(١) فى تقريره المشار اليه آنفا .

٣ — الاصرار على أداء كل شيء بوساطة العمل اليدوى .

٤ — نقل العمال من جهة الى أخرى دون مراعاة التغييرات فى البيئة المناخيــة .

٥ — عدم العناية بتوفير المساكن الصحية اللائقة .

٦ — ان روح الابادة ما تزال متغلغلة فى نفوس أصحاب الأعمال .

ويختتم الكابتن جلفاو تقريره بالعبارات الخطيرة التالية :

« انى أتحمل مسئولية اثبات صحة كل ما أقول . انكم لا تستطيعون توجيه النقد الى الا لأنى لم أذكر الحقيقة كلها ، أو بالأحرى لأنى لم أصف جميع وجوه المشكلة ، ولكن هذا يتطلب مجلدات كبيرة ويستغرق ساعات كثيرة » ويضيف الى ذلك أن هذه الحقائق « لا يمكن ادراكها تماما عن طريق التقارير أو الاحصائيات الرسمية لأن الأرقام أو الألفاظ صماء ساكنة .. انها لا تصرخ ولا تتحدث عن الألم الذى يعذب الأفريقيين .. ولا الدماء الغزيرة التى تسيل منهم ، وانما يتطلب الأمر أن يتوجه المرء ليشاهد الأشياء بنفسه ، وأن يشجع الذين يريدون أن يروها بدلا من أن نوصد فى وجوههم الأبواب » .

العنصرية فى موزمبيق :

ان موزمبيق تحدها من الغرب محمية «سوازيلاند» وجمهورية جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية وزامبيا (روديسيا الشمالية) وملاوى ، (نياسالاند) . وتحدها من الشمال جمهورية تانزانيا (تنجانيقا وزنجبار) . ويحدها من الشرق المحيط الهادى ، بطول ١٤٣٠ ميلا ، فى مواجهة عدة جزر أهمها وأكبرها جزيرة مدغشقر . وتقوم طائفة من الموانى الطبيعية الجيدة على الساحل .

وتبلغ مساحة المستعمرة ٧٨٣٣٠ كيلو مربع ، ويقدر عــدد سكانها بنحو ٦ مليون نسمة منهم ٥٠ ألف من الأوروبيين . وتوجد فى مناطق كثيرة منها الغابات بجوار الأنهار . وفى السلاسل الجبلية فى الشمال تنتشر أشجار النخيل ، وجوز الهند . ويزرع الأهالى عــددا من المحصولات التجارية مثل قصب السكر ، والقطن ، والفواكه وأهمها الموز .

وتعتبر موزمبيق مثل أنجولا تماما فى درجة تخلفها الاقتصــادى بالقياس الى غيرها من البلاد الأفريقية التى كانت تابعة للدول الاستعمارية ،

اذ تقوم حياة السكان الوطنيين على الزراعة البدائية وحـدها كما هى الحـال فى انجولا .

أما الشركات الأجنبية فتحتكر ثروة موزمبيق ، وتمتلك مساحات واسعة من أرضها نتيجة اتفاقيات قديمة أبرمت بوسائل الاحتيال والغش والنصب .

واحصائيات سنة ١٩٦٠ عن صادرات موزمبيق هى :

١١٢ ألف طن صادرات من السكر .
٤٥ ألف طن صادرات من القطن .
٤٥ ألف طن صادرات من الذرة .
٩ كيلو جرام من الذهب .
٤ آلاف طن من البوكسيت .
مليون رأس من الماشية .
٩٩ ألف من الأغنام .
٣٨٥ ألف من الماعز .
٩٠ ألف من الخنزير .

ومن أهم الشركات الاحتكارية فى الاقليم « شركة موزمبيق » وهى شركة برتغالية ، ويعتبر أساس نشأتها منح امتياز الكشف عن الثروة المعدنية على طول نهرى بوزى وبنجوى ، ومن أهم شروط الامتياز :

١ ــ استغلال ادارة مساحة تربو على ٦٢٠٠٠ ميل مربع .
٢ ــ مدة الامتياز خمسون سنة .
٣ ــ تعطى الحكومة ١٠٪ من الأسهم ، كما تحصل على ٧٫٥٪ من صافى الأرباح . ومقابل ذلك تمتنع الحكومة عن جباية الضرائب فى المنطقة مدة الامتياز .
٤ ــ تضمن الحكومة احتكار التجارة والتعدين والصـيد وجمع الضرائب وانشـاء الطرق والموانى وخطوط المواصـلات ، والمصارف ، والبريد . وهكذا أصبحت الشركة حكومة داخل حكومة .

كما أن هناك « شركة نياسا » البريطانية ، و « شركة زمبيزيا » التى يتبع كبار مساهميها جنوب أفريقيا ، وألمانيا ، وانجلترا ، والبرتغال .

وقد كانت موزمبيق العمود الفقرى لصناعة التعدين فى جنوب أفريقيا وروديسيا بما كانت تمدهما به من العمال المجندين طبقا لنظام السخرة .

وتتفق موزمبيق وأنجولا فى سائر النظم الادارية والاجتماعية والتمييز العنصرى .

* * *

ولو اننا عقدنا مقارنة بين وضع السود فى المستعمرات البرتغالية ووضعهم فى الولايات المتحدة مثلا لوجدنا أن الطائفة الأولى أسوأ حالا بكثير من الطائفة الثانية الذين ما يزال هناك بارقة أمل أمامهم حيث تعمل الحكومة ، والمحكمة العليا لتخفيف حدة العنصرية ، وتتدخل بالفعل وبالقوانين لهذا الغرض . كما يسمح فى كثير من الأحيان لهم بالتعبير عن شعورهم فرادى وجماعات للمطالبة بحقوقهم فى المساواة التامة بينهم وبين البيض . أما فى المستعمرات البرتغالية فعلى العكس تماما حيث تمعن الحكومة الاستبدادية فى سياستها الغاشمة ، وتضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه المقاومة ، او حتى مجرد الاحتجاج !

وهى تمارس هذا التمييز العنصرى المتزايد فى مستعمراتها بقوة القانون ، وبقوة السلاح معا .

فالسود — فضلا عن عدم تمتعهم بالحقوق المدنية كما سلف — لا يستطيعون التنقل بحرية من مكان الى مكان حتى فى داخل المناطق المخصصة لهم .. الا بتصريحات خاصة للمرور ، قد تزيد بالنسبة للشخص الواحد فى بعض الحالات الى ثمانية أو تسعة تصريحات .. حتى النساء السوداوات بدات السلطات البرتغالية تجبرهن على حمل هذه التصريحات .

وفى كل عام يلقى البوليس القبض على أكثر من نصف مليون افريقى لمخالفتهم « نظام تصريحات المرور » .. وأكثر من ٥٠٪ من القضايا التى تنظرها المحاكم من هذه المخالفات .

وليس فى الدنيا كلها دولة تطبق مثل هذه النظم البربرية ، أو تعزل رعاياها بسبب اللون هذا العزل الهمجى ، أو تجعل المستوطنين الغرباء وهم أقلية ضئيلة ، يستأثرون بـ ٧٨٪ من مساحة الأرض الصالحة للزراعة بينما تترك للأغلبية الساحقة من أهل البلاد الأصليين ١٣٪ من الباقى .

وليس فى الدنيا كلها بلد يتساقط سكانه كالذباب من الجوع فى الوقت الذى تفيض فيه ثروات البلد عن حاجة السكان كما هى الحال فى المستعمرات البرتغالية .

ومن هنا نجد أن سياسة البرتغال فى مستعمراتها الافريقية منافية لجميع المبادىء الانسانية والاتفاقات الدولية . وليس أدل على ذلك من عدم انضمامها بالأمس الى اتفاقية الغاء السخرة التى أعدها مكتب العمل الدولى التابع لعصبة الأمم ، وعدم سماحها اليوم بدخول لجان دولية من هيئة الأمم المتحدة للتحرى والاستقصاء فى مستعمراتها ، بل وغلق الباب فى هذه المستعمرات أمام جميع الزائرين المعروفين بمشاعرهم الانسانية !

وقد وصف « ندابانينجى » هذه السياسة فى كتابه « القومية الافريقية » بقوله :

« يظن البرتغاليون أن الله ارتكب خطأ بأن جعل الأفريقى أفريقيا ، وأن سياستهم فى الأدماج جهد يبذل لتصحيح هذا الخطأ !! » (١) .

---

(1) Ndabaningi Sithale - African Nationalism.

الفصل
الثالث : العنصرية فى جمهورية جنوب افريقية

تاريخ استعمار جنوب افريقية :

اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٧٨ . غير أن علاقة الأوروبيين بسكان هذه المنطقة لم تبدأ الا منذ سنة ١٦٠١ عندما بدأت سفن شركة الهند الشرقيـة الانجليزية فى التوقف فى « الكاب » . وفى سنة ١٦٢٠ حاولت سفينتان بريطانيتان رفع العلم البريطانى عليها ؛ ولكنهما فشلتا . وفى سنة ١٦٥٢ تمكن « جان فان ريبيك » وأتباعه من احتلال هذه المنطقة لحساب شركة الهند الشرقية الهولندية ، وتمكنوا من بناء قلعة فيها ، ومزرعة صغيرة ، ومحطة تجارية حتى تستطيع سفنهم من التوقف ، والحصول على التموين فى رحلتها الطويلة من هولندا الى جزر الهند الشرقية الهولندية (اندونيسيا الآن) .

وفى هذه المرحلة لم يتوغل الهولنديون فى الداخل حتى لا يكونوا بعيدين عن البحر ، وخشية حدوث اضطرابات بينهم وبين السكان الأصليين .
ولكن بالتدريج بدأ المزيد من المهاجرين الهولنديين يفدون الى المنطقة والى المناطق الأخرى المجاورة بقصد القيام بالرعى والزراعة مع خضوعهم لحكم شركة الهند الشرقية الهولندية التى لم يكن يهمها من تلك المناطق شيئا سوى التجارة ، والحصول على المزيد من الربح . وقد أطلق على أخلاط الهولنديين المهاجرين اسم (البور Baers) . أى الزراع .

ولم يجد البور الأرض هناك خالية اذ كانت مسكونة بعناصر البوشمن، والهتنتوت السكان الأصليين ، الذين قاوموا الأغارة على أراضيهم مقاومة ضعيفة تتناسب مع ضعفهم السياسى والحربى حتى انتهى الأمر بابادة البوشمن ، وخضوع الهتنتوت ، والتحول الى رقيق للهولنديين .
وكان لنقص النساء الهولنديات المهاجرات الى منطقة الكاب اثره فى اتخاذ المهاجرين نساء من الهتنتوت ، مما أوجد سلالة مختلطة أطلق عليها اسم « الملونين Colourcd » .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه الهولنديون يحتلون منطقة الكاب فى الجنوب كانت بعض قبائل البانتو تزحف من الشمال نحو الجنوب الشرقى لتستقر فى المنطقة التى أطلق عليها « فاسكوداجا ما » اسم « ناتال » .

فالمنطقة اذن كان يسكنها الأفريقيون من قديم ولم تكن خالية من السكان كما أدعى الأوربيون .

ولما سيطرت الثورة الفرنسية على هولندا ، وطردت أسرة أورانج المالكة ، وكونت جمهورية بتافيا قام بعض الهولنديين باعلان الجمهورية فى الكاب مما دفع انجلترا الى احتلال بعض المستعمرات الهولندية ، ومنها (الكاب) ذاتها ، ورفع العلم البريطانى عليها سنة ١٧٩٥ .

وبعد ثمانى سنوات تنازلت بريطانيا بموجب معاهدة « أمين Amcins عن معظم ما أخذته من هولندا ومنها الكاب . ولكنها عادت واحتلتها ثانية عام ١٨٠٦ بحجة حماية هذه المنطقة من حروب نابليون .

وفى مؤتمر فينا ، المنعقد سنة ١٨١٤ ، ضمت مستعمرة الكاب رسميا الى انجلترا بعد أن تنازلت عنها هولندا نهائيا لبريطانيا فى مقابل ستة ملايين من الجنيهات .

وهكذا أصبح على البور ، الذين ولدوا وتربوا كطبقة حاكمة ارستقراطية ـ أن يخضعوا لحكم بريطانيا التى أرسلت المبشرين الى هناك ، ورفعت شعار .. حسن المعاملة للأفريقيين ، وخاصة بعد الغاء الرقيق ، وألقت اللوم كله فى ذلك على الهولنديين .

وقد بدأت هجرات البور نحو الشمال تاركين أراضيهم بمنطقة الكاب لأفواج جديدة من المهاجرين الأنجليز ، وضغطوا فى الشمال على الأفريقيين، وانشأوا ولاية أورنج الحرة ثم جمهورية الترنسفال .

ولكن انجلترا بعد أن رأت الذهب والماس يتدفق فى هاتين الجمهوريتين اشتبكت مع البور فى حروب عنيفة انتصر فيها البوير أولا (١٨٨٠ ــ ١٨٨١) ثم انتصرت انجلترا بعد ذلك (١٨٩٩ ــ ١٩٠٢) . ثم انضمت الولايات الأربعة : الكاب ، وناتال ، والترنسفال ، والأورنج .

وفى سنة ١٩١٠ قام اتحاد جنوب أفريقيا من هذه الولايات الأربع ، ودخلت ضمن الدومنيون البريطانى ، ثم ضمن مجموعة الكومونولث الذى طردت منه سنة ١٩٦١ على أثر تجمع الرأى العام ضدها لممارستها التمييز العنصرى .

اقتصاديات الأقليم :

جمهورية جنوب أفريقية تتكون من هضبة مرتفعة تتخللها أودية أنهار ، وسهولها الساحلية ضيقة . وتكاد تكون الهضبة مستوية فى كثير من أجزائها .

وتبلغ مساحة الاقليم ١٫٢٥٠٫٠٠٠ كيلو متر ، ٦٥٪ منها تصلح للمراعى اكثر مما تصلح للزراعة . وتقدر مساحة الأرض الزراعية ١٦ مليون فدان يزرع منها ٩ مليون فدان أذره ، و ٤ مليون فدان قمحا وشوفان ، ونصف مليون فدان قصب سكر . كما يزرع الطباق والقطن . وتغطى الغابات ٤ مليون فدان أخرى . وقد ترتب على وفرة المراعى أن أصبحت المنطقة تصدر أصوافا بما قيمته ٢٥ مليون جنيها .

ويبلغ عدد الماشية ١٢ مليون رأس منها ٧ مليون يمتلكها البيض وحدهم الذين لا يزيد عددهم عن ٣½ مليون شخص بينما يمتلك ٥ مليون رأس باقى السكان ومجموع السكان حوالى ١٥ مليون شخص منهم ٤٧٥٫٠٠٠ من الملونين و ٣٢٨٫٠٠٠ من الأسيويين (الهنود) .

وتعد الثروة المعدنية أكبر اقتصاديات اتحـــاد جنوب أفريقية . فالذهب أكثر من نصف الانتاج العالمى ، وتتركز مناجمه فى ترنسفال وتنتج ما قيمته حوالى ٣٥٠ مليون جنيه . كما يوجد البلاتين فى نفس المنطقة ويبلغ ٤١٪ من مجموع الانتاج العالمى ، وهو أكبر انتاج فى أى دولة فى العالم . ويبلغ الماس أيضا ١٦٪ والحـــديد ١٧٪ من الانتاج العالمى . ويوجد بها أيضا النحاس ، والأنتيمون ، والفحم ، والفضة ، والمنجنيز بكميات وفيرة . وقد بلغ انتاجها من الفحم وحده ما قيمته ٢٥ مليون جنيه . كما باعت من اليورانيوم للولايات المتحدة عام ١٩٦٢ ما قيمته ٥٠ مليون جنيه .

ويرى الجيولوجيون أن هذا المستوى الضخم من الانتاج سيظل ربع قرن آخر .

وتزيد استثمارات بريطانيا هناك عن ١٠٠٠ مليون جنيه ، ويصل حجم التجارة بينهما حوالى ٣٠٠ مليون جنيه .

وتبلغ استثمارات الولايات المتحدة حتى نهاية عام ١٩٦٢ حــوالى ٥٣٠ مليون دولار ، ويبلغ حجم التجارة بينهما ٥٠٠ مليون دولار .

التفرقة العنصرية :

تمارس فى اتحاد جنوب أفريقية جميع صور التمييز العنصرى الذى تزداد حدته يوما بعد يوم لأصرار الحكومة على اقتراف هذه الجريمة مهما كان الثمن الذى تدفعه لها ، الى حد أن صرح وزير العدل فيها ـ عقب قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للامم المتحدة بطردها من جميع المنظمات الدولية ـ بأن « حكومة جنوب أفريقيا مصرة على موقفها من سياسة التمييز العنصرى ، وأن حالة الطوارىء التى أعلنتها الحكومة ستستمر على العناصر المعارضة لهذه السياسة ، وحتى لا يستطيع أفريقى أن يرفع راسه فى وجه أسياده البيض » !!

وقد قاسى « غاندى » من التمييز العنصرى عندما سافر الى جنوب أفريقية لمحاولة ايجاد تسوية لمشاكل الهنود فى الاقليم ، اذ منع من الركوب فى عربات الدرجة الأولى ، كما لم تسمح له فنادق الدرجة الأولى بالمبيت فيها . وكذلك طرد من المحكمة ، وقبض عليه لتواجده خارج مسكنه بعد التاسعة بدون تصريح (١) !!

والأفكار الرئيسية التى بنى عليها مجتمع جنوب أفريقية هى أفكار البور مع بعض الاختلاط بالهجنوت Huguenots ، وقليل من الألمان وكل هؤلاء المستوطنين قد أتوا من المجتمعات البروتستنتية الأوروبية فى القرن السابع عشر . ولذلك فأفكارهم الاجتماعية والسياسية والدينية هى من نتاج حركة الأصلاح الدينى ، والمعارضة الشديدة للمذهب الكاثوليكى . وقد بنيت آراؤهم الدينية ـ التى اثرت فى نظرتهم الاجتماعية ـ على قصص العهد القديم (التوراه) اكثر من العهد الجديد (الانجيل) (٢) .

ولذلك كان يرى البيض فى جنوب أفريقية أنه « مادام الله قد أوجد خلافا فى الشكل بين البيض والسود فانكار هذا الاختلاف من الأمور الشاذة . وقد حاولوا تأييد ذلك من قصص العهد القديم ، وهم يعتقدون من واجبهم حيال الانسانية والحضارة الاجتماعية أن يحتفظوا بالاختلاف بين ذرية حام وسام ويافث (ابناء نوح ، عليه السلام) ..

---

(١) دفاع عن الزنوج بقلم أحمد محمد عطية . ص ٧٩ .

(٢) التفرقة العنصرية فى أفريقية ـ د . فؤاد الصقار . ١٠٧ .

والواقع أن البور فى الوقت الحاضر لم تتغير نظرتهم عما كان عليه آباؤهم وأجدادهم منذ ثلاثة قرون . فهم مقتنعون تمام الاقتناع ، عن ثقة وايمان ، بأنهم شعب مختار ، يحمل رسالة ، ويعمل على نشرها فى هذه المناطق المتأخرة .

وساعدت الكنائس بطريق مباشر أحيانا ـ وبطريق غير مباشر فى كثير من الأحيان على تقوية هذا الاعتقاد لدى البيض بتقسيم السكان الى بيض مسيحيين وسود غيرمسيحيين . وقد زاد التعاون بين الكنيسة والبيض فى الحروب ضد القبائل الافريقية عندما أعطت الكنيسة للبيض تأييدا صليبيا لتبرير جميع الجرائم التى يرتكبونها فى حق السود ، لأنهم ـ فى نظرها ـ كانوا « أداة الله ويده لتسدمير النظم الافريقية الوثنية » !

وكان للرقيق أيضا أثره فى نشوء فكرة التمييز العنصرى . فقد استرق هؤلاء المهاجرون الأوائل سكان المنطقة ، كما جلبوا الكثير من الرقيق من غرب أفريقية ومن جزر آسيا للقيام بجميع الأعمال الشاقة ، والخدمات المنزلية للمستوطنين . وبالرغم من الغاء الرق فانه قد ترك أثرا اجتماعيا عميقا فى مجتمع جنوب أفريقية .

وهكذا ارتبطت السيادة باللون الأبيض ، والعبودية باللون الأسود .

ويدل تاريخ القرون الثلاثة الماضية على قوة سياسة التمييز العنصرى فى مجتمع جنوب أفريقية . ذلك التاريخ المملوء بالحروب العنيفة المستمرة. حروب بين القبائل ، بعضها البعض . وحروب بين الأوروبيين والافريقيين . وحروب بين المستعمرين . وحروب بين الانجليز والبور . الأمر الذى روى أرض جنوب أفريقيا بالدماء وأنبت فيها الحقد ، والكراهية ، والثأر .

ان سياسة التمييز العنصرى فى مجتمع جنوب أفريقيا من وضع البريطانيين الذين كانوا يتظاهرون بمعارضتهم لها . فقد كان اللورد ملنر ـ الذى عرفناه فى مصر ـ مندوبا ساميا فى جنوب أفريقية بين سنتى ١٨٩٧ ، ١٩٠٥ . وكانت سياسته الخاصة بالأجناس سياسة استعمارية بحتة ، اذ قال صراحة « ان على الجنس البريطانى . رسالة خاصة فى العالم » . وكان ضد اختلاط الجنس ، زاعما أن المساواة السياسية غير ممكنة ، وان على البيض أن يسودوا لارتفاع مستواهم

فوق السود بدرجات عديدة ، لا يتجاوزها السود الا بعد عدة قرون .. وقد لا يجتازونها على الاطلاق (١) !

وفى سنة ١٩٤٨ انتخب الدكتور مالان رئيسا للوزارة فعمّق من التفرقة العنصرية كسياسة وطنية فى كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة فى مجتمع جنوب أفريقية .

وفى سنة ١٩٥٤ ، جاءت المرحلة الثالثة لسياسة التمييز العنصرى حين استقال الدكتور مالان وخلفه المستر ستريدوم الذى ضاعف من شدة هذه السياسة ، وقننوتها وأعقبه بعد قليل الدكتور فرفورد الأكثر تعصبا من سابقه ، والذى أعلن بعد تعيينه بمدة قصيرة طرده لممثلى السود من المجلسين : وهم ثلاثة من البيض فى مجلس العموم ، وثلاثة آخرون من البيض أيضا فى مجلس الشيوخ ـ وقد عزا ذلك الى أن وضعهم يدعوهم الى التعبير عن آراء الأفريقيين ، رغم أنهم من البيض . ولم يكن الدكتور فرفورد يطيق حتى ذلك !! ...

مظاهر التمييز العنصرى :

ان البناء السياسى لجمهورية جنوب أفريقيا ، وهو البرلمان ، يطوى فى أعماقه هذا الحاجز اللونى ، اذ أن قانون جنوب أفريقية الذى صدر سنة ١٩٠٩ ينص فى المادتين ٢٦ ، ٤٤ منه على أن عضو البرلمان بمجلسيه يجب أن يكون رعية بريطانية ، وينحدر من سلالة اوروبية . وقد تناول تشريع لاحق العدد الصغير من الناخبين غير الأوروبيين الذين يقيدون فى الجدول العام للانتخاب . ويقتصر تمثيل هؤلاء الناخبين فى المجلسين النيابيين على عدد صغير محدد من الأوروبيين .

كما أن غير الأوروبيين محرومون بحكم القانون والعرف من تولى منصب الحاكم العام ، ومن عضوية مجلس الوزراء ، ومن كافة المراكز المرموقة فى الخدمة العامة .

ويذهب الحرمان الى أبعد من هذا . فلم يحدث أن عين افريقى فى منصب قاضى المقاطعة أو حاكمها الادارى ، أو فى أى منصب مساعد حتى فى المناطق الأفريقية الخالصة (٢) .

---

(١) L, M. Thompson, The Unifieation of South Africa

(٢) الحرية المدنية فى جنوب أفريقية . تأليف : ادجار هـ . بروكس و ج . ب ماكولى ، ترجمة محمود أحمد حسين . ص ٨١ .

وقد أصدر الجنرال سمسطس - باعتباره وزير الدفاع - أثناء الحرب العالمية الثانية أمرا ينص على انه « حيث يوجد فرقة عسكرية مختلطة من الأوروبيين فلحامل اكبر رتبة من الأوربيين أن يتولى القيادة حتى ولو وجد من غير الأوروبيين من هو اعلى رتبة منه . فمثلا يتقدم الجندى الأوروبى على الجاويش غير الأوروبى . وبقدر المستطاع لا تضع الدولة غير الأوروبى فى منصب له نفوذ على أى أوروبى . واذا نشأ مثل هذا الوضع فانه يعتبر وضعا شاذا يتعين تصفيته بأقصى سرعة » !

وان سيلا من التشريعات العنصرية يتدفق من برلمان جنوب أفريقيا مكتسحا كرامة الافريقيين من السود والملونين على السواء .

من هذه التشريعات « قانون قيد السكان » الذى ينص على أن كل شخص فى جنـــوب أفريقية يجب ان يقيـــد اما كأبيض واما كملون واما كوطنى .

كما أن كل ملون يرتب حسب السلالة او القبيلة التى ينتمى اليهـــا (قانون رقم ٣٠ لعام ١٩٥٠ مادة خامسة) .

ويستحيل ان يتخلص شخص ما أو أحد ابنائه من التصنيف الذى وضع فيه .

وبقرار تحريم التزاوج المختلط منع الزواج بين الأوروبيين وغـــير الأوروبيين . وكل زواج من هذا القبيل باطل ، والموثق الذى يعقده عرضة لتوقيع الغرامة (المادتان ١ ، ٢ من القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٩) .

ويحرم قانون البغاء المعدل الاختلاط الجنسى غير المشروع - حتى لو كان عن تراض - بين الأوروبيين وغير الأوروبيين . واذا حدث هذا الاختلاط المحرم ونتج عنه مواود فانه يعتبر ملونا (القـــانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٠) . اما الاحتمال الوحيد فى أن يدون المولود غير الشرعى لامرأة بيضاء من رجل غير أوروبى فى سجل البيض فهو عندما :

١ - تكون السلطات غير متيقنة من أن الأب غير أوروبى .
٢ - ويكون الطفل أوروبيا فى طلعته !

وعلى أساس هذا التمييز العنصرى حددت حقوق وواجبات كل مواطن أوروبى أو غير أوروبى .

فقد خصصت فى المحكمة العليا غرفة لمحام هندى ليلبس فيها الروب . ومن العجيب أن هذا المحامى يدخل من نفس الباب مع زملائه البيض ،

ويجلس معهم فى قاعة الجلسة . وللأبيض مكان يدلى منه بشهادته فى المحكمة غير المكان المخصص للأسود .

وتقضى قوانين المصانع باعـــداد غرف استراحة ، ودورات مياه للأوروبيين منفصلة عما يعد منها لغير الأوروبيين . وهذا ما يطبق على مكاتب العمل ، والمساكن .

وقد خصصت سكة الحديد عربات من الدرجة الأولى والثانية لغير الأوروبيين كما خصصت لهم غرف انتظار منفصلة أيضا .

وسرى هذا التمييز العنصرى نفسه فى سيارات الركوب العامة ، وفى الترام وكافة وسائل النقل .

وتبدو سياسة التمييز العنصرى كذلك فى الخدمات الاجتماعية ، وخاصة المعاشات والمنح . فالحد الأعلى لمعاش التقاعد ١١٤ جنيه سنويا للأوروبيين و ٤٩ جنيه للملون و ٤٣ جنيه للهندى و ١٢ جنيه للأفريقى الذى يعيش فى مدينة كبيرة و ٩ جنيهات لمن يعيش فى مدينة صغيرة و ٦ جنيهات لمن يعيش فى الريف . أما المنح فلا تعطى الا للأوروبيين كمنح البطالة ، او المساعدات الاجتماعية للأسر الفقيرة ، بحجة أن الميزانية لا تسمح بذلك .

وهناك قانون « مناطق الفئات » الذى يحدد مناطق التملك للأفراد على أساس من الجنس وحده ، ويحرم عليهم التملك فى بقية أجـزاء المدينة . كما يجيز ارغامهم على أن يعيشوا فى مناطق معينة لا يتجاوزونها الى غيرها ، أو ارغامهم على التخلى عن مهن مارسوها قانونيا فى هـذه المناطق بما يتبعها من شهرة ليزاولوها من جديد فى مناطق أخرى . وقد يحرم المرء من أن يعيش فى منزل بناه بنفسه قبل صدور هذا القانون . وقد يصبح الابن محروما من أن يرث متاعا اقتناه أبوه بطريقة شرعية . وان السلطة التى خولت للحاكم العام أو للوزير بناء على هذا القانون تمارس على اساس تقارير يرفعها مجلس ادارة مناطق الفئات الذى يعتبر بمثابة محكمة ادارية لا يمكن استئناف أحكامها أمام أية جهـــة قضائية أخرى .

ويهدف قانون (١) مقاومة الشيوعية فى الظاهر الى الحد من نشر المذاهب الخطرة . غير أن الوسائل التى اتخذها تناقض ذلك تماما .

(١) القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٥٠ المعدل فى عام ١٩٥١ .

فقد أعطى للحاكم العام أمر تحديد ما اذا كان الفرد شيوعيا أم غير شيوعى. كما أن العقوبات التى توقع عليه هى أيضا مسألة ادارية خالصة . وقد عرف هذا القانون الشيوعى بأنه « الشخص الذى يعلن أنه شيوعى ، أو من يعتبره الحاكم العام كذلك » . واذا جردنا هذه العبارة من زخرفها اللفظى ، ونفذنا الى معناها الصحيح فانها تصبح : « ان الشيوعى هو الشخص الذى يعتبره الحاكم العام شيوعيا » . أو هو بصريح العبارة « الشخص الذى يريد الحاكم أن ينكل به » ... ولتوضيح ذلك نقول أنه من الجائز أن يعتبر الحاكم الشخص الذى يهاجم التمييز العنصرى ، أو ذاك الذى يطالب بالمساواة العنصرية أو ما شابه ذلك .. شيوعيا !

والقانون رقم ٦٤ لسنة ١٩٥٦ يحظر ايقاف تنفيذ أى أمر ادارى ولو بحكم من المحاكم ، وخاصة اذا كان الأجراء متعلقا بالأفريقيين . كما صدر القانونان ٧٩ و ٢٨٣ لسنة ١٩٥٧ بعدم جواز الغاء أى اجراء قانونى من شأنه أن يوقف أو يرجىء تنفيذ بعض الأوامر الادارية كالأوامر الصادرة بجلاء أو رحيل أو طرد أو عزل أو منع الوطنيين من أحياء أو أماكن معينة ولو رفع عنها استئناف أو التماس اعادة نظر . بل ان القانون يشتط لدرجة الغاء ايقاف التنفيذ الذى صدر بالفعل . صحيح أن للمحاكم فى النهاية أن تقرر بطلان الأمر ، أو تحكم بالتعويض عنه ، ولكن بعد أن يكون الافريقى قد أجبر على الرحيل من المنطقة !

وان قانون الأمن العام (١) ليشل البرلمان والمحاكم ، ويوقف سلطاتها فى ظروف خاصة ، ويضعها فى يد الحاكم العام لمدة غير محدودة .

* * *

ان حق الفرد فى حرية التنقل داخل بلاده هو من الحقوق المدنية الطبيعية فى أى بلد من بلاد العالم الا فى جمهورية جنوب أفريقيا التى تتسم بالشذوذ فى كل شىء !

فالقوانين التى تقيد من حرية انتقال الهنود داخل أقاليم جنوب افريقية أساسها قوانين الهجرة الى الولايات قبل تكوين الاتحاد . فقد كانت هذه الولايات دولا لكل منها كيانها المستقل ، وصاحبة الحق فى تنظيم وتحريم الدخول فى أراضيها . ولكن الاحتفاظ بهذه القيود حتى الآن بنى على أساس التفرقة العنصرية لا القوانين السابقة .. بعد مضى

---

(١) القانون رقم ٣ لسنة ١٩٥٣ .

أكثر من نصف قرن على تكوين الاتحاد ، لا زلت ترى أفرادا ولدوا ونشأوا فى البلاد لعدة أجيال يعاملون وكأنهم مهاجرون تخضع انتقالاتهم — بعيدا عن منطقة سكنهم — للرقابة الحكومية (١) .

وان القيود المفروضة على حرية انتقال الأفريقيين فى جنوب أفريقية لها جذورها أيضا فى التدابير التى اتخذها المستعمون الأوائل لتوطيد سلطانهم ، ولتأمين بقاء شعوب هذه المنطقة من العالم متخلفة فقد فرضت التدابير لابقاء الأفريقيين فى المعازل الوطنية والمزارع بعيدا عن المناطق الحضرية التى يسكنها الأوروبيون الا اولئك الذين يعملون كخدم أو مستخدمين فى تلك المناطق . وان هذه الصورة البشعة من الاستعباد راسخة بقوة التشريع كقانون « المناطق الحضرية » الموحد الصادر عام ١٩٤٥ ، وقانون مناطق الفئات سالفى الذكر . وبمقتضى القانون الأخير عندما يسمح للافريقى باختراق المناطق الحضرية ، المحرمة عليه ، للعمل اليدوى الذى يسخر فيه كخادم أو مزارع أو مستخدم ، لا يكتسب حق الاقامة الدائمة فى مكان العمل ، بل يبقى فيه على أساس أنه منح حق اقامة موقوته يعود بعدها الى المعزل الوطنى . بل أن تغيير الأفريقى لمسكنه فى داخل منطقته — أو معزله — ليس عملية سهلة ، اذ لابد من موافقة رسمية للانتقال الى الموطن الجديد . أما الرحيل الى منطقة أخرى فهو أمر مستحيل .. وبعامة فان انتقال الأفريقى داخل الاتحاد — مهما كانت أسبابه — يحتاج الى اجراءات معقدة وتأشيرات رسمية عسيرة المنال . والمجال الوحيد الباقى له هو امكانية التنقل فى داخل الحدود المحيطة بمحل اقامته الحالى .. وبتعبير أدق داخل جدران مسكنه !

أما الرعايا الأوروبيون فلهم أن يتنقلوا بدون قيد أو شرط ، والى أى مكان ما عدا المعازل الوطنية ، فان ذلك يتطلب تصريحا من السلطات .

هذا فضلا عن أن الحرية الشخصية — حتى فى داخل الحدود المسموح بها — تخضع لسلطات مطلقة تصدر من الوزير أو من ينتدبه الوزير لهذا الغرض حيث يستطيع الوزير ، أو هذا المندوب ، وبلا محاكمة من أى نوع .. أن يقيد حرية أى شخص فى الانتقال من مكان الى آخر ، أو أن يمنعه من حضور اجتماعات ، أن يقصيه من منطقة الى منطقة ،

---

(١) الحرية المدنية فى جنوب أفريقية — المصدر السابق . ص ٩٦ .

أو يحرمه من مغادرة الاتحاد وكل هذه العقوبات المؤلمة لا تستند غالبا الى أى سبب ، أو جريمة .. بل ولا تستند الى أى قانون . وهى حينئذ تطبق عليها عقوبات الجرائم السياسية .

وطبقا للقانون رقم ٦٧ لسنة ١٩٥١ ، المعدل بالقـــانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٥٧ ، يتحتم على كل أفريقى جاوز الستة عشر عاما أن يحمل بطاقة شخصية ــ بعد الغاء جوازات المرور ــ يبين فيها اسم الافريقى ، ومحل اقامته ، ومكان عمله .. الخ . وقد كان القانون يستعمل كلمــة « الرجل الوطنى » ثم عدل لاستعمال كلمة « وطنى » فقط حتى تشمل النساء أيضا رغم احتجاجهن ، وخاصة فى المدن الصـــغرى . وتمثل مخالفات المرور ، بتطبيق هذا القانون ، نسبة كبيرة من القضايا فى المحاكم .

وهناك مشروع يرسل بمقتضاه الأفريقيون المحبوسون لمدد قصيرة الى العمل بالمزارع .

ولقد اتسع نطاق القوانين التى تجيز فرض قيود ادارية على الحريات الشخصية :

١ ــ ففى سنة ١٩٥٠ صدر قانون مقاومة الشـــيوعية الذى منح وزير العدل سلطة اقصاء أى شخص عن منطقته اذا اقتنع ، أو قرر أن هذا الشخص يدافع عن .. أو يدعو .. أو يشجع على تحقيق أى غرض من أغراض الشيوعية ، او يقـــوم بعمل .. او يمتنع عن عمل يساعد على تحقيق هذا الغرض، أو أن ذلك الشخص من منطقة يظن أن فيها من يفعل ذلك . واذا وضعنا فى اعتبارنا أن مدلول كلمة « شيوعية » واسع المدى ، وان أى فعل أو الامتناع يمكن أن يؤخـــذ أو يفسر حسب الأهواء والأغراض الذاتية .. اذا وضعنا فى اعتبارنا كل ذلك لأدركنا مدى التهديد الخطير للحرية الشخصية الذى يتمثل فى هذا القانون .

٢ ــ وفى عام ١٩٥٢ صدر قانون الشرائع الوطنية الذى يبيح للحاكم العام ان يأمر باقصاء فرد أو قبيلة بأسرها عن محل الاقامة الدائم الى أى مكان آخر أو منطقة أخرى وعدم العودة بعد فترة محدودة ، أو لفترة غير محدودة على الاطلاق . وعصيان الشخص المطلوب اقصاؤه يترتب عليه القبض عليه ، وترحيله

بدون محاكمة باعتبار أن أمر الحاكم العام واجب النفاذ ، ولا يجوز وقف تنفيذه من أية سلطة أخرى ، على أساس أن هذا « النفى الادارى » يقتضيه الصالح العام .

٣ ــ وفى سنة ١٩٥٥ صدر قانون يحرم على أى فرد مغادرة الاتحاد الا بموجب تصريح أو جواز سفر باسم الاتحاد ، وهو عسير المنال ، مع أن هذا التصريح أو الجواز يسبب لحامليه متاعب لا حد لها فى كل البلاد التى تنفر من اسم الاتحاد ، والصورة الكريمة التى يدل عليها فى ذهن كل من يسمع هذا الاسم فى كل أرجاء العالم .

٤ ــ كما صدر قانون آخر سنة ١٩٥٥ يحرم الاجتماعات ، ويعطى للوزير سلطة النفى الادارى لكل شخص يرى أنه يروج مشاعر العداء ضد الأوروبيين فى الاتحاد .

ويمكننا أن نتصور بسهولة ان اى مطالبة عادية للاصلاح أو لتحسين الأحوال يمكن أن تفسر على أنها أعمال عدائية ضد الأوروبيين لأن الاخيرين هم المكلفون بهذا الاصلاح ، والاوصياء عليه فى نظر الاتحاد .

٥ ــ وفى سنة ١٩٥٦ صدر قانون المنـــاطق الحضرية الذى يعطى لمأمور المنطقة ، أو مفوض الشئون الوطنية ، أن يقصى أى أفريقى عن المناطق الحضرية أو ارساله الى المزارع بحجة أنه مشاغب ، أو عاطل ، .. والنفى اما دائم أو مؤقت . وقد استغل هذا القانون باستمرار ضـــد الافريقيين الذين يزعجون السلطات لتحسين وسائل النقل ، أو الذين يعارضون فى حمل نسائهم البطاقات الشخصية .. الخ .

هذا فضلا أن القانون يعطى مجالس المدن سلطة هـــدم المسكن الذى يقيم فيه ذلك الشخص واسرته حتى لا يبقى له من اثر فى المنطقة ، وكأنه وباء .

٦ ــ وفى سنة ١٩٥٦ صدر قانون آخر يسمح للحاكم العام ــ بدون محاكمة أو تحقيق ــ بالقبض على الأفريقيين ، واعتقالهم فى أى وقت متى اقتضى الصالح العام ذلك .

وليس حظ الفرد بأحسن من حظ الصحافة . فاذا ذهب أحد الصحفيين فى التعبير عن رأيه مذهبا لا ترتاح له الحكومة فمأواه السجون بتهمة الترويج للشيوعية ..

نعم ان عددا من المصلحين الأحرار ، ذوى المراكز الكبيرة ، يجاهرون بآرائهم ، ويستطيعون أن يقفوا على أقدامهم الى حد ما .. ولكن هل تستطيع الشخصيات الأقل مكانة أن تفعل هذا ؟ .. مستحيل .. فالتعليق السياسى ممنوع علنا .. اذ أن كل تعليق يمكن أن تعتبره الحكومة ترويجا للشيوعية .

وفى عام ١٩٥٢ قامت فى الاتحاد حركة مقاومة سلبية ضد التمييز العنصرى بقيادة الأفريقيين والهنود ، واشترك فيها قليل من الأوروبيين، وقد واجهت الحكومة هذه المعارضة بتعديل القانون الجنائى سنة ١٩٥٣ ، وفرض عقوبات أكبر على الاحتجاج ضد قوانين البلاد .

ويجوز فرض العقوبات القاسية ــ كالجلد بالسياط ــ حتى للمخالفة الأولى ... بل حتى للمخالفات البسيطة .. بصرف النظر عن نوايا الكاتب، واتجاهاته .

ولا عجب اذا تسبب هذا القانون فى تكميم الصحافة ، والغاء رسالتها الحقيقية .

* * *

وبالنسبة الى العمالة بصفة عامة ، فقد فرضت القيود الآتية على غير الأوروبيين :

١ ــ قيود على التمرن والتلمذة الصناعية من شأنها حرمان غير الأوروبيين ، وخاصة الافريقيين .

٢ ــ حفظ المراكز العليا فى صناعة المناجم للأوروبيين وحدهم حيث يتمتعون بأكبر الأجور .

٣ ــ التدخل فى حرية الحركة النقابية للعمال بحيث يمنع تكوين النقابات المختلفة على غير الأوروبيين وخاصة الافريقيين .

٤ ــ منع الافريقيين من ممارسة الوسائل القانونية للصلح والتحكيم والتوفيق(١) .

---

(١) قانون التوفيق الصناعى لعام ١٩٥٦ . قسم ٤٥ و ٤٨ و ٥١ .

٥ ــ ان الاضراب ــ كوسيلة للاحتجاج أو للمطالبة بتحسين الأجور وأحوال العمل مسموح به للأوروبيين فقـــط . أما بالنسبة لغيرهم فيعتبر جريمة عقوبتهـا الغـــرامة التى لا تزيد على ٥٠٠ جنيه والسجن لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات ، أو بالعقوبتين معا . وتطبق نفس العقوبة على كل من يحرض أو يعطف على حركة الاضراب (١) .

٦ ــ لا يسمح فى مناطق العمل لغير الأوروبيين باقامة مساكن للعمال المشتغلين فى الصناعة . ولذلك يأوى العمال غير الأوروبيين ــ الذين يسخرون فى تلك الأعمال ــ الى حظائر قذرة ، فى أماكن بعيدة عن مناطق العمل ، ولا يتمتعون بأية رعاية صـحية ، أو خدمة اجتماعية .

٧ ــ حرمان العمال الملونين والافريقيين من الانتفاع بنظام التأمينات الاجتماعية .

٨ ــ لا يرقى أى افريقى أو ملون الى أى منصب رئيسى فى أعمال الخدمة المدنية ، على أن معظمهم ــ اذا استخدموا ــ يقومون بالخدمات الأقل أجرا ، والأكثر مشقة وجهـــدا كخـــدم أو سعاة (٢) .

وقد أشار الى كل هذه المظاهر الصارخة من التمييز العنصرى وغيرها تقرير مكتب العمل الدولى بجنيف الصادر فى عام ١٩٦٤ .

وللحد من تعليم الوطنيين وضـــعت عراقيل فى طريق فتح مدارس خاصة بهم ، كما منعوا من الالتحاق بمعظم المدارس الحكومية العمالية وخاصة الجامعات . وحتى فى هذه المدارس والجامعـــات لا يعيشون فى نفس الأماكن التى يعيش فيها البيض . كما أنهم محرومون من النشاط الاجتماعى والرياضى . وخطة التعليم العادى المسموح به لهم ترتكز على حماية النظام القبلى ، والابقاء على الفروق القبلية واللغوية . أى على اساس التفرقة العنصرية البحتة . فالتعليم فى المدارس الابتدائيـــة للأفريقيين مختلف عن المدارس الأخرى التى يتعلم فيها أبناء البيض . وبالتالى يكون التعليم بمعناه الحقيقى لا وجود له .

---

(١) قانون التوفيق الصناعى لعام ١٩٥٦ قسم ٧٩ .

(٢) قانون التوفيق الصـــناعى لعـــام ١٩٥٦ قسم ٧٧ (عدل هـــذا القانون فى عام ١٩٥٩) .

ان القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٥٣ أوجب على كل المدارس الوطنية آن تسجل ولو كانت قائمة قبل صدوره ، وأن يكون تسجيلها حقا مطلقا لوزير الشئون الوطنية الذى يرفض التسجيل فى معظم الحالات . وقد جعل القانون عقوبة الابقاء على مدرسة غير مسجلة السجن او الغرامة .

وبناء على هذا القانون رفض تسجيل عدد من المدارس الكبرى ، العظيمة الشهرة ، والتى سجلت نجاحا رائعا .. وكان من بينها مدرسة عريقة ، يزيد عمرها على مائة سنة .

ان فلسفة التعليم الجديدة فى جنوب أفريقيا لا تشعر الافريقى أنه يتعلم ليكون حرا فى دولة حرة ، وانما يتعلم ليكون صالحا لأى وضع تريده له الدولة . فهى فلسفة عنصرية خالصة .

* * *

وحكومة جنوب أفريقيا تحبط دائما الاختلاط الاجتماعى الحر المنتظم بين البيض وغير البيض . بل وقد يعتبر المسئولون مثل هذا الاختلاط كاتجاهات شيوعية أو غير مرغوب فيها بحجة خطرها على الأمن العام . فمثلا تعود شرطة الأمن والمباحث أن يدونوا أسماء أو أرقام سيارات أولئك الذين يعقدون أو يحضرون تلك الاجتماعات العادية ، حتى رجال الدين منهم .

* * *

وصفوة القول أن الأفريقيين فى جنوب أفريقيا لا يتمتعون بحكم القانون ، ولا بأية حماية مدنية أو اجتماعية أو انسانية .. بل ليس لهم أى حق قبل الدولة ، وليس لهم أقل حرية مدنية . وان ادارة شئون الوطنيين التى تمارس هذه السياسة العنصرية هى — الى حد كبير — استبداد منظم بقوة القانون والعرف أيضا ، وليس هناك أى سلطان ، أو رقابة على نشاطها ، وقراراتها . وان الاستبداد الرسمى ، المنبعث من هذه الادارة وغيرها ، يزداد باطراد ، ويحل محل الحقوق الشرعية ، والطبيعية للأفريقى ، صاحب البلاد الأصلى .

* * *

حتى الحرية الدينية لم تسلم من هذا الاعتداء المنظم . فعلى أثر تطبيق قانون « المناطق الوطنية » أصبحت ممارسة الوطنيين للشعائر الدينية ، سواء فى داخل مناطقهم أو خارجها ، خاضعة للسلطان المطلق

الممنوح لوزير الشئون الوطنية . وهو يستطيع بحكم هـــذه السلطة المطلقة ــ أن يمنع الافريقيين من اقامة الشعائر مع الأوروبيين ، جنبا الى جنب .. أو يسحب الترخيص باقامة كنيسة جديدة فى الأحيـــاء الوطنية .. أو يفرض على أبناء طائفة معينة ، أو جنس ما من الملونين أن يقيموا شعائرهم فى كنيسة خاصة .. أو غير تلك القيود التى أصبحت طابع الحياة كلها فى جنوب أفريقيا .

وقد وقع د . ج . هـ . كلايتون ، رئيس أساقفة الانجليكان السابق لمدينة الكاب ، خطابا فى ٦ مارس ١٩٥٧ علق فيه على هـــذه السياسة الدينية : « نحن نعترف بخطورة عصيان قوانين البلاد ، ونؤمن بأن الله امرنا بطاعة أولى الأمر منا . ولكننا أمرنا أيضا بأن نعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . واذن فهناك ما هو لله وليس لقيصر . ونحن نؤمن بأن ما ورد فى الفقرة (٢٩ جـ) هو ضمن ما لله » (١) . ولكن هل كل ما جعله رئيس اساقفة الانجلكان لقيصر ، هو لقيصر فعلا ؟. وأين ما للافريقيين ؟؟.

كذلك فقد صدر بيان من رئيس الطائفة الميثودية ورؤساء الأقسام فيها ، وهم يمثلون ما يربو على مليون نفس جاء فيه :

« نحب أن نؤكد أن الميثوديين يحترمون القانون . ولكن اذا وضعنا هذا القانون فى موضع نختار فيه بين طاعة الحكومة وطاعة الله فنحن نكرر أن اختيارنا واضح . وعلينا أن نطيع الله لا الانسان » .

وكتب اتحاد العمدانيين يقول :

« نحن لا نوافق على أن أداء العبادة يحتاج لأذن من سلطات الدولة ».

وجاء فى بيان لكبير أساقفة الطائفة الرومانية الكاثوليكية ما يلى :

« نرى أن القانون يتضمن زعما للحكومة بأن تحكم عبادة الفرد ، واقامته الشعائر الدينية . ونحن لا نقبل مثل هذا الزعم » .

وربما كان أقوى احتجاج على هذا القانون ذلك البيان الذى صـــدر

---

(١) ان المادة (٢٩ جـ) لقانون الشرائع الوطنية المعدل عام ١٩٥٧ تنص على أنه « لا يجوز لأى شخص أن يقوم بادارة كنيسة أو مستشفى أو ناد أو أية منشأة أو مكان للترفيه ــ لم يكن قائما قبل أول يناير ١٩٣٨ ويقبل الوطنيين أو يسمح لهم بحضوره ــ فى مكان يقع داخل المنطقة الحضرية أو فى القرية الوطنية ، كذلك لا يجوز لأى شخص ان يعقد أو يسمح بعقد اجتماع أو جلسة ويقبل فيها الوطنيين أو يسمح لهم بحضورها فى الأمكنة المذكورة الا بموافقة الوزير » .

من مجلس الطوائف الهولنـــدية التى قبلت مقترحات الوزير الأساسية بالتحفظات الآتية : —

١ — أن تعاليم المسيح منبثقة من الله للبشرية جميعا ، ولا تقبل قيدا على انسان ما .

٢ — ان تحديد كيف وأين ولمن تنشر هذه التعاليم هو من حق الكنيسة وحدها .

٣ — أن واجب الدولة كخادم للاله هو السماح للكنيسة بالقيـــام بالدعوة الالهية ، واحترام سيادة الكنيسة فى مجالها الخاص .

* * *

ونختتم هذا الفصل بفقرات من خطاب للجنرال سمطس ، الرئيس السابق لوزراء الاتحاد ، تفوح منها رائحة النازية ، فقد قال :

« ان اشتراك الفرد فى المجهود الحكومى الشاق يبدو لى أساسيا فى كل تقدم صحيح .. وهناك إنحلال فى المبادىء القومية يأكل مقومات الحياة فى الحكومات الحرة ... واليوم نرى انحطاطا فى مسئولية الفرد ، وفى نصيبه فى الحكم » .

الفصل
الرابع : العنصرية فى جنوب غرب أفريقية

الجغرافية الطبيعية للإقليم :

تقع جنوب غرب أفريقية فى شمال غرب اتحاد جنوب أفريقية ، بين خطى عرض ١٧ الى ٢٩ جنوبا ، من نهر كونينى الى نهر الأورنج ، ويمر فى منتصفها مدار السرطان . وتبلغ مساحتها ٨٢٤ كيلو تقريبا . وعاصمتها هى مدينة « وندهوك » . ومعظم أجزائها قليلة المطر . والمنطقة الشمالية غير ملائمة للرعى ، وتنتشر فيها الملاريا . وتتركز الحيوانات فى الوسط .

واذا استثنينا المنطقة الشمالية ، والجزء الشرقى (صحراء كلها رى) فاننا نجد اقليمين مهمين ، أولهما الهضبة الداخلية ، وهى أفضل مناطق الرعى ، وتتمتع بمناخ صحى ومياه باطنية وغيره ، ويعيش فيهما الأوروبيون . وثانيهما منطقة ثامب على الساحل ، وفيه أحسن الموانى الطبيعية حيث المياه الهادئة ، والرصيف القارى عميق .

وتوجد أغنى رواسب الماس فى الجنوب قرب الساحل ، اذ كان المستخرج منه سنة ١٩٤٩ يبلغ ٢٨٠ر٠٠٠ إقيراط ، وفى سنة ١٩٥٥ يبلغ ٥٨٦ر٠٠٠ قيراط ، وقدر مجموع انتاج سنة ١٩٦٠ بحوالى ٤٠ مليون جنيه ، صدر منه ما قيمته ١٥ مليون جنيه .

ويوجد أيضا الحديد ، والمنجنيز ، والفحم والبترول . وبلغت قيمة جميع المعادن المصدرة سنة ١٩٦٠ حوالى ٢٤ مليون جنيه .

كما يوجد من الماشية ٣ مليون رأس من الأغنام ، و ١٦٣ ألف من الماشية .

وهى تنتج من القمح ١٢ ألف طن . كما تنتج الذرة ، والبطاطس .

ويبلغ عدد سكان الاقليم حوالى ٤٥٨ ألفا من السكان منهم حوالى ٤٩ ألفا من الأوروبيين . أما الباقى فمن القبائل الأفريقية ومن الملونين .

الاستعمار الألماني والبريطاني :

وقد كانت جنوب غرب أفريقيا مستعمرة ألمانية قبل الحرب العالمية الأولى حيث تمكنت ألمانيا من ضمها في سنة ١٨٩٠ ، سيطرت على اقتصادياتها ، من الأغنام والرعى فانحدر السكان الأصليون الذين لم يهاجروا من البلاد الى حرفة الصيد ، نظرا للحكم الألماني القاسي .

وفي سنة ١٩١٤ ، حين نشبت الحرب العالمية الأولى ، قامت القوات البريطانية من جنوب أفريقيا باحتلال الأقليم وبسطت نفوذها عليه وطردت منه الألمان .

وبعد تكوين عصبة الأمم أعطيت جنوب أفريقية حق الانتداب على جنوب غرب أفريقية لتقوم بادارتها بالنيابة عن الحكومة البريطانية مع مراعاة روح وميثاق عصبة الأمم .

وأصبح الانتداب وصاية وفي ظل الأمم المتحدة . وأخذت حكومة جنوب أفريقية في تشجيع الهجرة البيضاء لتكون منهم الطبقة الحاكمة ، التي منحتها أجود الأراضي الصالحة للزراعة والرعى بعد أن طردت منها أصحابها الشرعيين من الأفريقيين والملونين .

سيطرة اتحاد جنوب أفريقية :

لم تعترف حكومة جنوب أفريقية بسلطة الهيئة الدولية ، لرغبتها في ضم جنوب غرب افريقية اليها . وقد حاول الجنرال سمطس ، حينما كان رئيسا لحكومة الاتحاد ، ضم جنوب أفريقية فعلا الى هذا الاتحاد ، ولكن هيئة الأمم المتحدة رفضت .

وجاء بعده الدكتور مالان الذى رفض ارسال تقارير الى الأمم المتحدة، وأعلن تمهيدا للضم تخصيص ستة مقاعد في الجمعية الوطنية ، وأربعة مقاعد في مجلس الشيوخ ، لجنوب غرب أفريقية ينتخبون من البيض ، اذ حرم الافريقيون والملونون من حق التصويت ، طبقا للقانون الخاص بشئون جنوب غرب أفريقية الصادر سنة ١٩٤٩ . وقد تم أول انتخاب في سنة ١٩٥٠ الذى كسب فيه الحزب الوطني ، برئاسة الدكتور مالان ، جميع المقاعد ، وكذلك في انتخاب سنة ١٩٥٣ ، مما يدل على أن البيض هناك من غلاة المستعمرين ، ومن أشد سياسة التمييز العنصري .

وكانت الخطوة الثانية في سياسة الضم حين أعلن الدكتور مالان في سنة ١٩٥٣ أنه ليس على استعداد للاعتراف بسلطة مجلس الوصاية

على هذه المنطقة ، وانما هو على استعداد فقط لعقد معاهدة مع بريطانيا وفرنسا والأمم المتحدة للاعتراف بالوضع الراهن .

أما الخطوة الأخيرة فقد كانت فى اصدار قانون تنظيم شئون الوطنيين هناك فى ابريل ١٩٥٤ ، الذى نقلت بموجبه ادارة شئون الوطنيين فى جنوب غرب افريقية الى ادارة شئون الوطنيين فى الاتحاد ذاته . كما نقلت أيضا شئون أراضى الوطنيين .

ولا تزال حكومة اتحاد جنوب أفريقية تسيطر على الأقليم سيطرة كاملة ، دون اعتراف منها بأى سلطة أو اشراف لهيئة الأمم المتحدة عليها ، ورغم عدم اعتراف هذه الهيئة بالوضع كله .

وقد سبق أن عرض الأمر فى سنة ١٩٥٠ على محكمة العدل الدولية فأصدرت قرارها بأن جنوب غرب أفريقية ما يزال تحت الوصاية الدولية ، وأن اتحاد جنوب افريقية ليس من سلطته أن يغير من هذا المركز الدولى . ولكن حكومة الاتحاد لم تعبأ بهذا القرار .

وفى سنة ١٩٥٧ شكلت الأمم المتحدة لجنة للمساعى الحميدة للوصول الى اتفاق دولى فى هذا الشأن . وقد وضعت هذه اللجنة عدة حلول عملية تتسم بالمرونة ، والتساهل ، الا أن حكومة الاتحاد لم تقبل أيا منها . الأمر الذى جعل العلاقة بين حكومة الاتحاد والامم المتحدة سيئة . ومما جعلها أكثر سوءا ازدياد معارضة جميع الدول ، والرأى العام العالمى ، لسياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها بدون حياء ، أو مداراه . وقد انتهى الأمر بطرد الاتحاد من المنظمة الدولية كما سبق .

مظاهر التفرقة العنصرية :

يمكن أن نأخذ صورة عن التفرقة العنصرية فى جنوب غرب أفريقية من تقرير مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة . فقد لاحظ المجلس ما يأتى : —

١ — ليس هناك أى تساو فى الحقوق والواجبات المدنية بين السكان الأصليين والأوروبيين .

٢ — ليس للسكان الأصليين أى تمثيل نيابى ، بل هم محرومون من الانتخابات .

٣ — قصر الوظائف على البيض

٤ ــ لا ينفق على الوطنيين سوى ١٠٪ من الميزانية بالرغم من أنهم يكونون ٩٠٪ من السكان .

٥ ــ زجت حكومة جنوب أفريقية الآلاف منهم فى السجون والمعتقلات بدون محاكمة .

كما طردت آلافا أخرى من البلاد أو اضطرتهم اضطرارا الى الهجرة بحجة أنهم مجرمون . وقد لاحظ مجلس الوصاية أن زيادة نسبة من ألصقت بهم تهمة الاجرام ظاهرة شاذة .

٦ ــ ان التعليم متأخر للغاية . وحجة حكومة الاتحاد فى ذلك أنه لا يتوفر لديها الأمكانيات الخاصة بالتعليم الثانوى والمهنى والعالى .

وتشبه مشكلة الأرض فى جنوب غرب أفريقية مشكلتها فى اتحـــاد جنوب أفريقية . فالافريقيون وهم حوالى ٩٠٪ من السكان لا يمتلكون أكثر من ٢٢٪ من مساحة الأرض ، معظمها من المناطق غير الصالحة للانتاج . وقد بدأت مشكلة الأرض منذ الاستعمار الألمانى الذى بنى سياسته على أساس امتلاك الأراضى بعد أن عقد سلسلة من المعاهدات الصورية مع زعماء الأفريقيين يبيعون بمقتضاها بعض أراضيهم الى الحكومة الألمانية . وبناء على هذه المعاهدات امتلكت الحكومة الألمانية معظم المناطق الصالحة للزراعة لمنحها للمستوطنين الألمان .

وقد صدر أمر امبراطورى ألمانى فى سنة ١٨٩٨ ثم فى سنة ١٩٠٣ بتكوين معازل للأفريقيين ، واعطاء الدولة الحق فى انتزاع الأراضى التى يمتلكها الأفريقيون حتى يمكن ايجـــاد أرض لاســـتقرار المهاجرين الأوروبيين .

وقد اتبعت حكومة جنوب أفريقيا نفس هذه السياسة ، وزادت عليها ما تتبعه فى بلادها من التفرقة العنصرية . فضلا عن منح أفـــراد القبيلة الواحدة عدة أراض متباعدة بقصد تشتيت القبائل ، والقضـــاء عليها جمـــلة .

ويمكن القول أن التفرقة العنصرية التى تمارس فى جنوب أفريقية تطبق تطبيقا كاملا فى جنوب غرب أفريقية بكل ما فيها من ظلم .

فى البلاد الا أن المساحة التى تركت للأفريقيين ينتشر فيها ذباب تسى تسى .

وقد أصبح فى تنجانيقا شركات أجنبية تمتلك مساحات واسعة من الأرض تستغل بعضها لزراعة الفول السودانى ، أو المحاصيل الأخرى . كما أصبح فيها عدد كبير من الأوربيين الذين أثروا على حساب الوطنيين مثل « الرويد هيتشكوك » ملك الكتان الذى يملك مزارع شاسعة ، « وجون وليامسون » ملك الماس الذى بلغ ربحه الصافى خلال عشرة الأعوام الأخيرة اثنى عشر مليون جنيه استرلينى !

زنجبار :

تقع جزيرة زنجبار جنوب خط الاستواء ، وعلى بعد ٢٥ ميلا من الساحل الشرقى لأفريقيا ، ومساحتها ٦٤٠ ميل مربع . ويبلغ عدد سكانها ٣١٥ ألفا منهم ٢٤٠ ألفا من الأفريقيين ، و ٥٠ ألفا من العرب ، و ١٧ ألفا من الهنود .

والقرنفل أهم انتاج الجزيرة ، ويقدر بنحو ٥٧٪ من انتاج العالم وتقطر جذوره وتصدر على هيئة زيت . كما تصدر الأخشاب والكاكاو . كما أن بها نحو ٥٠ مليون شجرة جوز هند . ويزرع بها أيضا الأرز والبرتقال والليمون .

وقد حظيت زنجبار ــ كغيرها من الأقاليم الأفريقية ــ باهتمام العرب الذين نشروا فيها راية الاسلام ، ووحدوا قبائلها ، بين القرنين الثالثعشر والخامس عشر وفى نهاية القرن الثامن عشر طرد سكان زنجبار البرتغاليين الغزاة بمساعدة عرب عمان من الشيعة النازحين اليها والى الساحل الشرقى ، وتوطدت الصلات الاقتصادية والثقافية بين الساحل الشرقى والعالم الاسلامى كما توطد حكم أمراء عمان ولحق بهم فى القرن التالى بعض المستعمرين السينيين من مقاطعة شيراز الفارسية . وهكذا حل التجار العرب شيئا فشيئا محل التجار الأغريق واليهود .

وكان أهم أمراء عمان فى زنزبار السلطان سعيد الذى حكم بين سنتى ١٨٠٦ ، ١٩٥٦ ، وأدخل فيها زراعة القرنفل .

وفى سنة ١٨٢٢ دخل الجزيرة الجميلة الوادعة عنصر جديد اذ تظاهر الانجليز بمحاربة الرقيق لوضع أقدامهم فى القارة الأفريقية الغنية بخاماتها البشرية وبموادها الأولية . وفى عام ١٨٤٠ تأسست أول قنصلية

بريطانية فى زنجبار . وفى سنة ١٨٤٥ عقدوا معاهدة مع السلطان ليحدوا من ممارسة رعيته لتجارة الرقيق . وتوفى هذا السلطان عام ١٨٦١ ، وتولى أولاده الحكم .

وبدأ المبشرون الأمريكيون يتكاثرون .

واستطاعت بريطانيا بخططها الاستعمارية أن تربط بين التجار العرب وتجارة الرقيق، وأعطت للأفريقيين صورة مشوهة جعلت للعرب فيها الدور الرئيسى زورا وبهتانا .

ولقد استمر حكم الأغلبية العربية فى زنجبار الى أن بدأ صراع الدول الاستعمارية فى القارة ، وفتح الطريق الى ذلك الملك ليوبولد الثانى ، ملك بلجيكا ، سنة ١٨٧٠ . وتلت الحملات البلجيكية حملة ألمانية . ودخلت انجلترا الميدان فتغلغل نفوذها فى زنجبار سنة ١٨٩٠ ، وأعلنتها محمية بموجب معاهدة « هليجولاند » التى عقدت بين ألمانيا وانجلترا ، وحدت من سلطات السلطان .

وفى سنة ١٩٠٢ تولى العرش السلطان السيد على ، ولم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وازدادت العناصر الأجنبية نفوذا فى عهده لحداثة سنه حتى أصبحت زنجبار مستعمرة فى سنة ١٩١٣ ، وانتقلت شئون ادارتها الى وزارة المستعمرات ، وعين القنصل مقيما عاما .

ولما احتج السلطان تراجعت بريطانيا وشكلت مجلسا تشريعيا يرأسه السلطان ، ويمارس فيه المقيم السلطة الفعلية .

ومن اكبر أخطاء بريطانيا انها لم تضم الى هذا المجلس حتى عام ١٩٤٧ أى عضو أفريقى . وأغلب الظن أن هذا التصرف كان مقصودا لأيغار صدور الوطنيين ضد العرب الحاكمين ، وعلى رأسهم السلطان نفسه ، وهو عربى .

ونجحت السياسية البريطانية فى التفرقة بين العرب والأفريقيين ، وخلقت هناك نوعا مغايرا من التمييز العنصرى . اذ أنه مع بداية اليقظة الأفريقية العامة بدأت العناصر السياسية فى زنجبار تمارس نشاطها على أساس عنصرى . وهكذا انقسم السكان الى عرب وأفريقيين .

وحين تأسس حزب زنجبار الوطنى ، بقيادة القوميين العرب ، الذى يمثل الأغلبية ، قاطع الأفريقيون الانتخابات متأثرين بالدعاية

البريطانية التى اتهمت الحزب بالشيوعية كما اتهمت العرب من قبل بأنهم باعوا آباءهم وأجدادهم فى سوق النخاسة ! .

ولعب الاستعمار لعبته بتكوين عدة أحزاب . وأصبحت زنجبار بركانا سياسيا يغلى بشتى العناصر والآراء المتضاربة . وبدأ الصراع العنصرى الجديد ضد العرب فقاطع الأفريقيون متاجر العرب ، وقام الملاك بطرد الأفريقيين من المزارع التى يضعون اليد عليها .

وعندما حان وقت انتخابات يونيو سنة ١٩٦١ سقط ٦٨ قتيلا منهم ٦٤ من العرب بسبب اعتداء الحزب الشيرازى على حزب زنجبار الوطنى واتهامه زورا بتزييف الانتخابات .

وقد أرادت انجلترا — وهى سبب الفرقة والانقسام العنصرى — أن تقوم بدور حمامة السلام فدعت الفريقين الى مؤتمر مصالحة فى لندن عام ١٩٦٢ ، واشترك فى المؤتمر أعضاء المجلس التشريعى فى كينيا .

وقبل أن تتم المصالحة ، والاستقرار حدث الانقلاب الدامى فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ الذى راح ضحيته المئات من العرب الأبرياء . وتكررت المجزرة مرة أخرى .

ومن الغريب أن يتصارع رفاق معركة التحرير بهذا الشكل المروع ، وذلك بسبب كثرة ما ألقاه الانجليز من بترول على النار !

والأغرب من ذلك أن يمارس الأفريقيون فى زنجبار وتنجانيقا هذه التفرقة العنصرية حتى بعد أن اتحدتا تحت اسم « جمهورية تانزانيا » !

الفصل
العاشر : العنصرية فى أوغندة

تقع أوغندة فى شرق أفريقيا . وتحدها كينيا من الشرق ، والسودان من الشمال ، والكونغو من الغرب ، وتنزانيا من الجنوب .

وهى دولة داخلية لا تطل على بحار مفتوحة ، أو محيطات ، ولابد ان تعبر تجارتها كينيا للوصول الى المحيط الهندى .

وحدود أوغندة كبقية الوحــدات السياسية فى افريقيا خططتها القوى الاستعمارية ولمصلحتها دون أى اعتبار للظــروف الطبيعية ، أو التاريخية ، أو الجغرافية . وحتى الحرب العالمية الأولى لم تكن هناك حدود معروفة لأوغندة . فقد كانت نمولى وغندوكرو وهى من السودان ، تابعة لأوغندة ، ثم اعيدتا اليه بعد ضم منطقة (لادو) الواقعة غرب نيل البرت الى أوغندة .

ومساحة اوغندة ٩٤ ألف ميل مربع تغطى المياه حوالى ١٤ الف ميل مربع منها ، اذ أن أوغندة تقع فى أحضان مجموعة من البحيرات يصل ارتفاعها الى آلاف من الأقدام فوق سطح البحر . فبحيرة فكتوريا فى ركنها الجنوبى الشرقى ، وبحيرتها ألبرت وادوار على حدودها الغربية . وبحيرة كيوجا فى وسطها . وتجرى فيها روافد النيل وأرضها خصبة ومناخها معتدل لارتفاعها .

وقد تنبأ تشرشل الزعيم البريطانى ، عام ١٩٠٧ بأهمية أوغنــدة فقال : « ان أوغندة بلاد حية . انها عظيمة الأهمية ، واعتقد انها ستصبح يوما ما أهم وأكثر أقاليم شرق ووسط أفريقية كلها ، وأوفرها رخاء . وانى أنصح بتركيز الجهود حول أوغندة ، وسترون النتـائج السريعة المثمرة » وقد كان ! .

ذلك أنه يزرع حاليا من القطن فى أوغندة ١١/٢ مليون فدان . كما ينتج حوالى ٩٨ ألف طن من البن ، وهو والقطن أهم سلع التصدير ، كما يزرع

الشاى ، والطباق ، والذرة والفول السودانى ، والقصب ، والسيسل . والغابات هناك أشجارها صلبة والثروة السمكية لها أهميتها . وبها من الماشية حوالى ٤٧٠ الف رأس .

وتقدر الأرض المزروعة بحوالى ٨ مليون فدان . وعدد سكانها حوالى ٦½ مليون نسمة منهم ٨٠ الف من الهنود ، و ٤٠٠٠ من العرب ، ١٠,٠٠٠ من الأوربيين .

أما المعادن فقد أصبح النحاس أهم انتاج معدنى منذ سنة ١٩٥٦ . وقد صدر منه سنة ١٩٦١ بمقدار ٣ مليون جنيه .

قد انشىء فيها سد أوين عام ١٩٥٤ ، الذى ينتج قوى كهربائية مقدارها ١٥٠ ألف كيلوات / ساعة لا تحتاج منها أوغندة الا القليل ، وتستغله فى مصانع الشاى ، والبن والنسيج ، والبيرة ، والزيوت ، وصهر النحاس . وهى تبيع الكهرباء منه الى كينيا ، وقد ساهمت ج.ع.م فى نفقات السد بحوالى ٤ مليون جنيه . وهو يرفع مستوى بحيرة فيكتوريا حوالى ٤ أقدام فوق أعلى منسوب حالى لها ، وكانت تعتبر أوغندة احدى المناطق البريطانية فى شرق افريقية . وقد بذلت ــ فى بعض فترات استعمارها ــ محاولات لربطها بكينيا وتنجانيقا ، ولكن هذه المحاولات فشلت ، وان ربطت بكينيا بسكة حديدية مما جعل اتجاهها الجغرافى نحو المحيط الهندى . كما أن مشاكلها وادارتها تختلف ، عنها فى الدولتين الأخريين .

وقد بدأ الاستعمار البريطانى فيها منذ سنة ١٨٨٨ حين أخذ التجار الأجانب فى الوصول اليها ، وتكونت شركة شرق أفريقيةالامبراطورية التى عقدت معاهدات تجارية مع زعماء القبائل على نمط اتفاقيات شركة جنوب أفريقية البريطانية فى وسط افريقية .

وكما يحدث دائما تدعى بريطانيا ان القبائل تضطهد الجمعيات التبشرية وتذبح المسيحيين ، كما تدعى أن من حقها أن تتدخل لايقاف هذا الصراع الدموى ، وترسل جيوشها بالفعل لتتمكن الشركة من ترسيخ أقدامها ، والسيطرة على البلاد ، وطرد أهل البلاد الأصليين بحجة انهم معتدون على البيض رسل الحضارة ، والمبشرين رسل السلام !.

وبعد قليل رات الشركة أن تكاليف سيطرتها على البلاد تفوق أرباحها. ولذلك تخلت للحكومة البريطانية عن مستويات هذه الادارة سنة ١٨٩٣،

واعلنت الحماية على البلاد فى العام التالى ، واستمرت الاضطرابات حتى أعلن استقلالها فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ كجمهورية فى نطاق دول الكومونولث البريطانى .

* * *

وكانت الجمعية التشريعية لأوغندة تتكون من ٦٢ عضوا منهم ٣٢ تعينهم الحكومة من الوزراء والموظفين السابقين و ١٦ من غيرهم . ثم هناك ٣٠ عضوا منتخبا منهم ١٨ أفريقى . ومعنى ذلك أن الأفريقيين الذين تبلغ نسبتهم حوالى ٩٩٪ من السكان لا يمثلهم سوى ٢٩٪ من أعضاء الجمعية التشريعية . وكذلك مجلس الوزراء الذى يرأسه الحاكم، والمكون من ١٣ وزيرا أغلبهم من الأوربيين .

* * *

وبالرغم من ضآلة عدد الأوربيين ، وقلة مساحة الأرض التى يمتلكونها نسبيا الا أن نظام توزيع الأرض ، وامتلاكها وتأجيرها يسبب مشكلة رئيسية فى البلاد . فقد نظر منذ البداية الى أوغندة على أنها منطقة صالحة للاستقرار الأوربى . وبالفعل انتزعت من أيدى الأفريقيين جميع الأراضى الصالحة لهذا الفرض ، ووزعت على الأسر الأوروبية التى رأت فى فترة ما أن تنضم بما تمتلك من أرض ، وما يوزع عليها منها مستقبلا ، الى مستعمرة كينيا ، وذلك فى سنة ١٩٠٢ .

وحدث أول تدخل كبير من جانب الحكومة البريطانية فى مشكلة الأرض عندما عقدت اتفاقية سنة ١٩٠٠ التى نصت على أن أى قطعة أرض بين ساحل البحر والكونغو ملك للحكومة البريطانية على أساس أنها هدية من الكاباكا « الملك » . كما عقدت بعد ذلك اتفاقيات مماثلة مع زعماء القبائل .

وفى سنة ١٩٠٣ انتهزت الحكومة قوانين الطوارىء واعلنت سيطرتها على جميع الأراضى ، وتغير اسمها من أرض التاج الى « الأراضى العامة » . كما صدر سنة ١٩١٠ قانون يمهد الطريق لمنح الأوربيين الكثير من الأراضى ، ويعطى الحكومة الحق فى انتزاع أى أرض من الأفريقيين لبيعها لمن تشاء من الأوربيين الذين ينقلبون فى هذه الحالة الى ملاك ، ويصبح الملاك الأفريقيون مجرد مستأجرين ، أو عمال أجراء لدى الملاك الأوربيين الجدد اذا شاء هؤلاء !!! .

واذا كانت الأراضى تبلغ مساحتها فى اوغندة ـ باستثناء البحيرات والمستنقعات ٨٠ الف ميل مربع فقد اصبح غير الأفريقيين يمتلكون منها نحو ١٧٣١ الف ميل مربع .

* * *

وكثرة عدد الهنود نسبيا تسبب فى أوغندة مشكلة رئيسية أخرى من المشاكل العنصرية . اذ يبلغ عددهم ثمانية أمثال الأوربيين، ويسيطرون على ٩٠٪ من التجارة فى البلاد . كما أن هناك كثيرا من الهنود يعملون فى السكة الحديد ، وفى المشروعات الصناعية .

وللهنود تعليمهم الخاص ، وممثلوهم فى المجلس التشريعى ، ومجتمعهم الذاتى المتميز . وبمعنى آخر أن الهنود مجتمع منفصل ـ بكل مميزاته وخصائصه ـ تماما عن الأفريقيين . بل ان لهم نفوذا ، ومكانة يفوقان ما للأفريقيين أصحاب البلاد ، والأغلبية الساحقة فيها . ولكى نعطى فكرة عن ذلك يكفى أن نعلم أن ٤٥٪ من سكان كمبالا ـ العاصمة ـ من الهنود .

ويهتم الهنود بزراعة وتصنيع قصب السكر ، وزراعة وحلج القطن . وهم يصدرون نصف ما تصدره أوغندة من القطن الى الهند .

لذلك قام صراع عنيف بين الهنود والأفريقيين الذين اعتبروا احتكار الهنود لهذه القطاعات من الزراعة والصناعة تمييزا عنصريا أتى مع الاستعمار البريطانى ، وبتشجعه .

وتبلغ كثافة السكان فى أوغندة حوالى ٢٠٠ شخص فى الميل المربع الواحد ، وقد تزيد عن ذلك فى بعض المناطق ، مما جعل عددا كبيرا من السكان لا يمتلكون أية أراض ، ويعملون كمزارعين ، أو أجراء ، أو عمالا فى الخدمات والصناعات لقاء أجر زهيد جدا . وقد شكلت سنة ١٩٤٩ لجنة لبحث هذه المشكلة تبين منها أن أجر العامل الأفريقى فى السكة الحديدية لا يزيد عن ٥٥٪ من أجر زميله العامل الهندى . كما انهم لا يتمتعون بأى عناية صحية ، أو رعاية فنية تزيد من مهارتهم لتؤهلهم لتولى الأعمال ذات الأجور المرتفعة نسبيا . وتزيد حالة العمال الزراعيين عن ذلك سوءا .

* * *

وفى سنة ١٩٥٤ افتتحت ملكة بريطانيا خزان شـــلال اوين . كما اكتشف النحاس الذى اخذ فى تعدينه محليا مما طور اقتصاديات أوغندة، ورفع مستوى معيشتها . وفى نفس الوقت زاد من حدة المشاكل العنصرية فيها لأنه ضاعف من هجرة الأجانب الذين اجتذبتهم الصناعة على نمط ما حدث فى روديسيا الشمالية .

وكما سبق فقد استقلت أوغندة فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ مع دخولها عضواً فى دول الكومونولث البريطانى .

ان شعب أوغندة له ثقافة وتاريخ . وهو فى ذلك يشبه شعوب غرب أفريقية . لذلك كانت نزعة القومية فيه منبعثة من الداخل .

ولقد برز عنصر القومية الأفريقية فى أوغنـــدة من نداء تقدم به الدكتور ب . ن . كونونكا ، نائب يوجنـــدا فى ١٩٥٥/١/٢٤ — أى قبل الاستقلال قال فيه أن أفضل سبيل لمقاومة اتجاهات بريطانيا نحو ربط كينيا وأوغندة وتنجانيقا فى اتحاد من اتحاداتها الزائفة هو ربط أوغندة مع دولتى النيل العظيمتين : مصر والسودان (١) .

---

(١) أفريقية وراء الصحراء . المصدر السابق . ص ٥٣ .

الفصل
الحادى عشر : العنصرية فى غرب افريقيــة

تعتبر منطقة غرب افريقية من اكثر المناطق فى جنـــوب الصحراء الكبرى اتصالا بالعالم الخارجى . فطرق القوافل عبر الصحراء جعلت تجارة هذه المنطقة تتجه منذ قديم الزمن نحو الشمال .

وهكذا ظهرت فيها مدن عامرة ، وأسواق تجارية نامية ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية كانت تتقدم بمقاييس عصرها . مما وفر لها ثراء لا تجد له نظيرا فى كثير من أنحاء أفريقية السوداء . فضلا عن أن ذلك الاتصال كان سببا فى انتشار الاسلام ، كما ساعد الاسلام بدوره على تدعيم هذه الروابط .

ومنطقة غرب افريقية كانت أولى المناطق التى وصلت اليها طلائع الملاحين الاوربيين فى القرن الخامس عشر ، اذ بدأ البرتغاليون فى اتخاذ نقط تجارية وعسكرية على ساحل غرب أفريقية عام ١٤٧١ ، ولكن لم يحدث توغل فى الداخل قبل القرن التاسع عشر .

وكانت تجارة الرقيق أهم تجارة هذه المنطقة والمصدر الرئيسى للرقيق فى العالم لمدة أربع قرون ، وقد قدر ما يصدر منه سنويا حوالى ١٠٠ ألف نســـمة .

وبعد أن تحرر الرقيق ، وعادوا من انجلترا وامريكا الى المنـــاطق الساحلية فى سيراليون وليبريا كانوا طائفة جديدة متميزة تمـــاما عن النظام القبلى الذى كان سائدا فى المنطقة وخاصة فى الأجزاء الداخلية . وهكذا أصبحت هناك فروق واضحة بين سكان الساحل وسكان الداخل، لا تزال موجودة حتى الآن ، وقد تصل الى حد اثارة عوامل الحقد والعداء والحـــروب .

اما العلاقة بين الأوربيين والأفريقيين فقد ظلت مبنية على أساس النظرة الاستعمارية وأساليبها التقليدية والمستخدمة .

وقلة المستوطنين البيض ترجع الى البيئة الطبيعية حيث ترتفع درجة الحرارة ودرجة الرطوبة ، مما يساعد على نمو الغابات الكثيفة الضخمة ، والنباتات المتسلقة بما يتخللها من ظلام ، ووحشة ، وحشرات، ومستنقعات ، وما تسببه من أمراض متوطنة كالملاريا ، والحمى الصفراء، ومرض النوم ؛ وصعوبة المواصلات ، وقلة الماشية ، وندرة الطرق الصالحة .

ومع ذلك فقد امكن للانسان أن يتغلب على بعض صعوبات الطبيعة فأنشأ فى بعض الأماكن مزارع واسعة للكاكاو والمطاط وقصب السكر ، كما أنشأ موانى التصدير ، ومد طرق السكة الحديدية ، مما ساهم فى أهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية .

* * *

وبالرغم من أن هذا الاقليم تنتظمه وحدة جغرافية فقد قسمه الاستعمار كعادته ــ الى عدة وحدات سياسية صغيرة متجاهلا النواحى الجغرافية والاقتصادية ، والتاريخية ، والقبلية . وسيطرت بريطانيا وفرنسا على معظم اجزائه . وبعد استقلال تلك البلاد تمسك زعماؤها بحدودها السياسية برغم ما فيها من مشكلات .

وقد حاولت مالى والسنغال تكوين اتحاد فيدرالى بينهما ، وللأسف حل هذا الاتحاد بسبب اختلاف وجهة نظر زعماء كل من الدولتين ، كما حاولت غانا تكوين اتحادات أخرى فى هذه المنطقة ، وبدأت المحاولة بالفعل مع غينيا ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح أيضا سوى من الناحية النظرية وغلبتها الاتجاهات القومية . وبعد أن حصلت الدول المتكلمة بالانجليزية على استقلالها انضمت الى « الكومنولث البريطانى » .

التفرقة العنصرية فى سيراليون :

فى أواخر القرن الثامن عشر أنشأت بريطانيا مستعمرة سيراليون التى حاول البريطانيون أن يتخذوا منها منطقة ايواء للأرقاء . ثم نقلوا اليها ايضا بعض الرقيق من زنوج أمريكا الذين حاربوا فى صفهم فى حروب الاستقلال الأمريكية ، ووفد اليها أيضا من زنوج جمايكا .

وأصبح يطلق على هؤلاء الزنوج الوافدين اسم « الكريول » وقد افسحوا المجال لسيطرة الشركات الاستعمارية ، فأنشأت لهم بريطانيا منذ قرن جامعة « فرنون » التى لها صلة بجامعة « درهام » البريطانية .

ولم تتوافر للافريقيين الأصليين هذه الظروف الثقافية والاقتصادية وقد نسى ـ أو تناسى ـ الكريول أنهم من نفس الجنس الأفريقى ، وانهم من نسل الرقيق الذى شحن على البواخر الاوربية منذ قرون الى العالم الجديد فأقاموا حاجزا عنصريا رغم أن الجنس واحد ، واللون واحد ، والدين واحد .

ومع تطور الوعى الافريقى ، وعلو الموجة التحريرية ، فكرت بريطانيا فى تطوير حكمها الادارى والسياسى ، واعطاء الأغلبية فى المجلس التشريعى للأغلبية الافريقية . ولم يكن من السهل على الكريول قبول هذه الفكرة حتى أن أحد زعمائهم وهو الدكتور « بانكول برايت » صرح فى مؤتمر صحفى عقده فى لندن بقوله « نحن الكريول لا نستطيع أن نقبل أغلبية من سكان الداخل فى المجلس التشريعى . وليس من المعقول ان يتحكم أفراد المحمية فى الكريول . فهؤلاء ـ الكريول ـ رعية بريطانيا ، ومسيحيون . ومن المستحيل أن يستوى المسيحيون والوثنيون الذين لازالوا يأكلون لحوم البشر »(١) .

ومضى دكتور برايت الى قبره حاملا معه جرثومة هذه العنصرية السوداء ، وجاءت من بعده اجيال تعمل فى جبهة واحدة ضد المستعمرين الخبثاء ، ولصالح الوطن الأم . وجاء هذا بعد تطور طويل يمكن ارجاع بذوره الى الحرب العالمية الأولى ، ثم الحرب العالمية الثانية . وقد أصبحت سيراليون جمهورية مستقلة داخل نطاق الكومنولث البريطانى فى ابريل ١٩٦١ . وهى تتلقى مساعدات عديدة من بريطانيا وامريكا ، وتملأها الشركات الاحتكارية الأجنبية ، كما أن بها العديد من الأحزاب المتصارعة . ويزرع بها الأرز والموز والطباق والكاكاو كما أن بها معادن كالماس والحديد والألمنيوم .

التفرقة العنصرية فى ليبريا :

وشاهدت ليبريا أيضا فى مراحل تطورها لونا من الوان العنصرية . فقد نشأت كثمرة من ثمار « جمعية الاستعمار الامريكية » التى يرجع تاريخها الى عام ١٨١٧ ، ولا زالت قائمة حتى الآن ، والتى قامت هى

---

(١) انظر مقال : الوان من التفرقة العنصرية . د . عبد العزيز كامل . مجلة نهضة أفريقية . مارس ١٩٦١ . ص ٩ .

وغيرها ، بقصد اسكان الزنوج الأمريكيين المحررين ، كما فعلت بريطانيا فى سيراليون سنة ١٨٢٠ .

وقد حدث أول استيطان لهؤلاء الزنوج الأمريكيين الوافدين سنة ١٨٢٢ . وتتابع وصول الوفود السوداء الى الجزيرة . وظلت جمعية الاستعمار الأمريكية ترعى شئون هؤلاء المستوطنين حتى عام ١٨٤٧ عندما أصبحت ليبريا دولة حرة ، شعارها « حب الحرية جاء بنا الى هنا » .

وقامت مشكلة العنصرية فى ليبريا ــ منذ قدوم أول فوج من الزنوج الأمريكيين كما حدث فى سيراليون ، ولنفس الأسباب . وأصبح الزنجى فى ليبريا أمريكيا . كما أصبح الزنجى فى سيراليون انجليزيا . كل منهم يتكلم بلغته الجديدة ، وبعقليته الجديدة ، ولا يعترف أنه من نسل وجنس اخوانه السود الذين يسكنون معه الوطن الأم .

ومن أهم الشركات الأجنبية فى ليبريا « شركة فايرستون » للمطاط التى تملك مزارع واسعة من المطاط ، تبلغ مساحتها نحو مليون فدان . وكان المطاط يمثل نحو ٩٧٪ من صادرات ليبريا ، ثم هبط أخيرا الى نحو ٦٦٪ للتوسع فى استخراج خامات النحاس ، وبعض الصادرات الأخرى مثل قصب السكر ، والأخشاب ، والبن ، والحديد . ويعتبر خام الحديد هو المعدن الرئيسى الذى تنتجه ليبيريا ، وتحتكر استخراجه شركة Liberia Mining من منطقة بوميهيلز الأمريكية . وتعتبر المنطقة التى تستخرج منها الشركة الحديد من أغنى مناطق الحديد فى العالم حيث تصدر منه ما قيمته ٣٣ مليون دولار . وهناك منجم آخر فى جبال نيمبا يقدر ما به من خام الحديد بنحو ٢٠٠ مليون طن . وتستغل هذا المنجم شركة امريكية سويدية .

وتحتل الولايات المتحدة المقام الأول فى اقتصاديات ليبريا حيث تحتكر شركاتها ومؤسساتها معظم فروع الاقتصاد القومى فيها . كما ان معظم المساعدات الخارجية تتلقاها منها فقد تلقت قبلا عام ١٩٦٢ معونة قدرها ١٠٫٦٠٠٫٠٠٠ دولار وقرضا قدره نحو ٥ مليون دولار . كما تلقت عام ١٩٦٣ قرضا آخر قدره ٢٤ مليون دولار لتمويل مشروع لانشاء خزان ومحطتى توليد كهرباء(١) . وقد كان للتوسع الزراعى أثره فى اشتداد

---

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . ص ٤٣٣ .

الطاب على الايدى العاملة الرخيصة . وهذا العامل كانت له آثاره فى ليبريا خاصة وفى غرب أفريقية عامة .

ومن الجهات التى اشتدت فيها الحاجة الى الأيدى العاملة الرخيصة الافريقية « جزيرة فردينانده‍وبو » التى تقع فى خليج غانة ، وتخضع للحكم الأسبانى .

واخذ المندوبون الذين يعملون لحساب الأسبان فى جمع الأيدى العاملة من ليبريا لترحيلهم جماعات الى الجزيرة تحت ظروف سيئة للغاية ، تصل الى درجة الرق القديم . فقد كانوا يصطادون الشبان الأفريقيين لارسالهم الى فرناندو بو .

وقد تكونت لجنة تحقيق فى هذه الفظائع التى ارتكبها مسئولون رسميون فى ايبريا نشرت تقريرها عام ١٩٣١ تبين منه أن على رأسهم « مستريانسى » الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب « نائب رئيس الجمهورية » .

ويذكر « هولمان جيمسون » فى دراسة له أجراها سنة ١٩٦٠ عن هذه الفضيحة الدولية الانسانية فى العصر الحديث قصيدة كانت ترثى بها نساء قبيلة فى ليبريا رجالهن الذين يقعون فى براثن الأسبان عن طريق عصابة المسئولين الرسميين الذين كان يتزعمهم نائب رئيس الجمهورية « مستريانسى » :

كنا هنا عندما جاءت المتاعب الى شعبنا
من اجل هذا جاء يانسى الى أرضنا
قبض على أزواجنا واخواتنا
وأرسلهم الى « فردينادوبو »
وهناك ماتوا
وهناك ماتوا
أخبرنا
يانسى .. لماذا ؟
يانسى .. لماذا ؟
ليس لنساء « واديبو »(١) أزواج ؟
يانسى .. لماذا ؟

---

(١) اسم القبيلة التى كانت تنشد نساؤها هذه المرثية الحزينة .

ليس لنساء « واديبو » أخوة ؟
يانسى .. لماذا ؟
مات الأمهات والآباء والأبنـــاء
وهم ينتظرون الغائبين !!
يانسى .. لماذا ؟

ولكن نمو الوعى الأفريقى جعـــل الافريقيين الأصليين والوافدين يحاربون تحت علم واحد حتى حصلت ليبريا على استقلالها . بل كانت أول دولة أفريقية سوداء تحصل على هذا الاستقلال منذ عام ١٨٤٧ . وقد جاء فى البند الرابع من وثيقة عقد الاستقلال :

« نحن شعب جمهورية ليبريا . كنا أصلا من سكان الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية » .

وقد اقترحت جريدة « لاجوس ويكلى ريكورد » النيجرية تعـديل هذا النص كالآتى :

« نحن شعب ليبريا ، الذى يتكون من المواطنين الأصليين لهـــذا القطر ، وأبناء الأفريقيين الذين اخذوا أسرى الى نصف الكرة الغربى » وهذا التعديل هو الأقرب الى الحقيقة والواقع !

وجمهورية ليبريا تقع شمال خط الاستواء بنحو ١٢ درجة وتحدها من الشمال سيراليون ، ومن الشمال الشرقى غينيا ، ومن الشرق ساحل العاج ، ومن الجنوب والغرب المحيط الأطلنطى ، وطول ساحلها ٦٠٠ ميل . وساحلها سهلى ضيق ، يتدرج فى الارتفاع نحو الداخل .

ومناخها شبه استوائى فى الجنوب ، وسودانى فى الشمال . فالحرارة شديدة ، والرطوبة عالية ، والأمطار غزيرة .

وهى تنتج الموز والذرة والأرز والكاكاو والبن . أما ثروتها الحيوانية فقليلة . واستغلال كل هذه الثروات فى ايدى الشركات الأجنبية الاحتكارية كما تقـــدم .

ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢½ مليون نسمة ، ومساحتها نحو ٤٣ ألف ميل مربع . ويبلغ عدد الزنوج الأمريكيين بها ٨٪ من السكان .

وقد أبرمت ليبريا عام ١٩٦١ معاهدة مع اسرائيل التى تقدم لهـا مساعدات مالية تحت اسم المساهمة فى التقدم مع انها تأخذ من ليبريا اكثر مما تعطى .

١ ـ ذلك أن اسرائيل تقوم فى ليبريا ببناء فندق كبير ، والقصر الجمهورى ، ووزارة الخزانة ، والغرفة التجـــارية ، ومبنى البلدية ، ومصلحة الاستعلامات . وهى تتقاضى فى هـــذه المشروعات مبالغ طائلة تفوق المساعدات المالية التى تعطيها لها .

٢ ـ كما اتفقت اسرائيل وشركة مايرونيك للاستيراد والتصدير على تمويل وارداتها من اسرائيل بما قيمته ١٠ مليون دولار (١) .

---

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . ص ٤٣٣ .

الفصل
الثاني عشر : العنصرية فى الكونغو (ليوبولدفيــل)

ان اقليم الكونغو على شكل حوض منخفض تحيط به المرتفعات التى تصل من ٦٠٠ الى ١٥٠٠ قدم . وله ساحل على الأطلنطى بطول ٢٥ ميلا .

واهم ظاهرة فى الكونغو هى نهــــر الكونغو بروافده الكثيرة وغاباته الكثيفة . ويسود الاقليم المناخ الاستوائى بحرارته ورطوبته وأمطــاره الغزيرة .

ومساحة الكونغو ٣٤٤٠٠٠ر٢ كيلومتر مربع ، وهى توازى مساحة بلجيكا ــ التى كانت تستعمره ــ ٨٠ مرة . ويزرع به النخيل ، والقطن ، والموز ، والذرة ، والكسافا وهو اهم غذاء للسكان .

وقد منحت الشركات مساحات واسعة لزراعة الغلات التجــارية كالمطاط والبن والكاكاو .

وتوجد به ثروة هائلة ووفيرة ومتنوعة من المعادن الهامة ــ كالماس والذهب واليورانيوم والقصدير والزنك والكوبالت والمنجنيز والفحم . فمناجم كاتنجا وحدها أكبر من مساحة بلجيكا بأسرها . واتحاد مناجم كاتنجا يسيطر على ٧٠٪ من ثروة الكونغو وحدها . وهذا الاتحاد من أكبر شركات التعدين فى العالم .

وهذه الثروة الضخمة لا تستفيد منها سوى الشركات الاحتكارية الأجنبية . بل انها جذبت الأفريقيين انفسهم فهجروا الزراعة للأشتغال فى المناجم وشركات التعدين حتى أنهم يعانون دائما مجاعات طاحنة ، ويستوردون معظم ما يحتاجونه من أغذية ولحوم من الخارج .

وفى الكونغو قوى مائية هائلة يمكن أن تستخدم فى توليد الكهرباء .

ولكنه قليل السكان بالنسبة لمساحته ، اذ لا يزيد عدد سكانه عن ٥ر١٣ مليون نسمة بينما تبلغ مساحته مساحة الهند .

وقد حكمت بلجيكا هذا القطر حكما قاسيا ، سيئا للغاية . وقد اعتبر ليوبولد الثانى الكونغو ملكا خاصا له . وفى ١٩٠٨ اضطر تحت ضغط الرأى العام — أن يتنازل عن ملكيته للحكومة البلجيكية التى استمرت فى ادارته حتى حصل على استقلاله فى سنة ١٩٦٠ ، بزعامة باتريس لومومبا الذى دفع حياته ثمنا لهذا الاستقلال .

وقد بنيت السياسة الاستعمارية البلجيكية فى الكونغو على ما يسمى « الحكم الأبوى الموجه » التى تشبه سياسة البرتغال فى مستعمراتها .

وقد اعتقد البلجيكيون فى ذلك أنهم واقعيون ، وأن الفرنسيين والانجليز خياليون أو نظريون فى أفكارهم التى تقوم على تطوير الأفريقيين نحو الحكم الذاتى ، واشتراكهم فى المجالس التشريعية المركزية أو الأقليمية . وتنطوى نظرية البلجيكيين فى الحكم على منح التطور الاقتصادى الأولوية فى الاهتمام .

ورغم ما فى الكونغو من امكانيات اقتصادية لا تتوفر فى أقطار أفريقية كثيرة الا أن الحكومة البلجيكية أقامت الحواجز العنصرية بين الأوربيين وسكان البلاد فى كل المرافق ، والوظائف . كما أن المدن كانت تنقسم الى أحياء أفريقية وأخرى أوربية . كما اتخذت اجراءات مختلفة تحد من حرية الأغلبية الأفريقية ، كحمل البطاقات الشخصية المرفق بها ايصالات الضرائب . فضلا عن تحريم انتقالهم من جهة الى أخرى الا باذن من الجهات المختصة .

والأحياء الوطنية محرومة تماما من أية مرفق أو رعاية صحية أو اجتماعية . وتتلخص فلسفة الاستعمار البلجيكى ، ان جاز هذا التعبير ، فى أن « الرعاية الأبوية » التى تكفلها الحكومة لشعب الكونغو تتوقف على درجة نضجه . والذى يحدد هذه الدرجة هى الحكومة البلجيكية وحدها !

وتهتف أبواق الدعاية البلجيكية الاستعمارية مهللة لما حققته بلجيكا للكونغو من تقدم . وتزعم هذه الأبواق المأجورة أن الحكومة تحمى الزنوج من الشركات الاحتكارية .

ولكن الحقيقة على عكس ذلك تماما .

اذ تفرض الحكومة ضرائب كثيرة وكبيرة على الشركات يدفع منها الزنوج ١٠٪ كضرائب مباشرة ، ويدفعون الباقى كضرائب غير مباشرة .

وتفرض أجهزة الأمن رقابة صارمة على أحياء الوطنيين الأفريقيين، فتمنع تجولهم بعد الساعة السابعة مساء الا بأذن خاص .

وتحدد الدولة ، فيما تحدد من قيود على الوطنيين ، الأجور التى يتقاضونها ، والمستوى الاجتماعى الذى يعيشون فيه .

وهى وأن أباحت منذ وقت قريب — تحت ضغط القوى القومية — تكوين اتحادات للعمال السود ، ولكن ليست لهذه الاتحادات أى تأثير أو نفوذ ، بل ولا تعدو أن تكون هيئات شكلية بحتة . وأبلغ دليل على ذلك ما رواه احد رجال الأعمال الأمريكيين فى الكونغو :

« انه أمر غريب لم أستطع كيف أتصوره . هل هى قبضة حديدية فى قفاز من قطيفة ؟. لقد كان لدى أحد رؤساء العمال الزنوج . وكان رجلا ذكيا وطموحا . وقد سألنى حول اتحادات العمال فى الولايات المتحدة . ولما كنت أعلم أن التشريع فى الكونغو لا يحرم على العمال الزنوج تكوين اتحادات خاصة بهم فقد أجبته على أسئلته .

« وفجأة تخلف عن العمل . ومضيت أسـأل عنه ، ولكنى لم أتلق اجابة شافية . وبعد بضعة أيام أبلغتنى السلطات انه قد ترك المدينة برمتها . ولما حاولت أن اعرف أين ذهب نصحنى المسئولون أن لا أحاول البحث عنه ، بل وانسى الموضوع كله .

«ولم أستطع ان أصدق هذا الذى يحدث فى بلد يلزم فيه كل شخص من الزنوج أن يحمل أوراقه الشخصية ، وأن يبلغ السلطات عندما ينتقل من حى الى حى آخر ، أيا كانت المهمة التى ينتقل بسببها ، وأيا كانت المدة التى يقضيها ، وحيث لا يستطيع أحد منهم أن يتحرك الا بعـد أن يخطر المسئولين عن شخصيته ، وغرضه ، ومهنته ، واسم والدته أيضا . »

ومن حيث الثروة المعدنية يعتبر الكونغو أغنى بلاد العالم . وتمثل الكونغو احدى الركائز الاقتصادية والاستراتيجية الهامة فى أفريقية . وعليها تتوقف امكانية تنفيذ أى مخطط سياسى فى القارة ، تحرريا كان أو استعماريا . ولذا يعتبرها الغرب احدى القواعد الحيوية التى يتحتم عليه ابقاءها تحت نفوذه المباشر تأمينا لأهدافه الاستراتيجية ، ومصالحه الاقتصادية ، واستثماراته الضخمة فيها . وعليه يقدم الغرب لهـا جميع أنواع المساعدات . وتأتى الولايات المتحدة فى مقدمة دول الغرب

التى تمد الكونغو بكل أنواع المساعدات وتليها بلجيكا فألمانيا الغربية وفرنسا فايطاليا ثم أسبانيا فالبرتغال .

وتكون الاحتكارات البلجيكية ٩٠٪ من الاستثمارات الأجنبية الموجودة فى الكونغو حيث تمثل هناك فى ثلاث شركات هى :

١ ـ المؤسسة البلجيكية العامة .

٢ ـ بنك بروكسل .

٣ ـ شركة زيوت الكونغو البلجيكى (١) .

---

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . ص ٤٣٣ .

الفصل
الثالث عشر : العنصرية في المغرب العربي قبل استقلاله

تختلف سياسة فرنسا العنصرية حسب ظروف كل مستعمرة . فحيث يصعب استيطان الفرنسيين أو الأوربيين عامة تخف نسبيا وطأة التفرقة العنصرية . وحيثما يسهل ذلك ، ويزداد يحدث العكس تماما كما في الجزائر خاصة . وان كان هدف فرنسا في الحالين هو « فرنسة » الوطنيين ، ومحو لغتهم وتقاليدهم الأصلية ، وجعلهم يشعرون أنهم فرنسيون ، تابعون للوطن الأم (فرنسا) حتى يسهل لها استغلالهم ، واستنزاف ثرواتهم ، واضعاف قوميتهم أسوة بما كانت — ولا تزال — تتبعه البرتغال في مستعمراتها . تلك السياسة التي قام الدليل القاطع على افلاسها .

لذلك كانت فرنسا تعارض دائما وبشدة التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يطالب به الأفريقيون على أساس أن هذا التقدم سيعمل أن عاجلا أو آجلا على انفصال المستعمرات عن الكيان الفرنسي .

وبالرغم من اختفاء الحاجز اللوني في المستعمرات الفرنسية فان المساواة الحقيقية في مستوى المعيشة ، والتعليم ، والحقوق السياسية ، والأجور والمستوى الاقتصادي غير موجودة بالمرة .

التمييز العنصري في الجزائر

كانت الحالة الاقتصادية في الجزائر قبل الحملة الفرنسية عام ١٨٣٠ مزدهرة ، اذ كانت تحتل مكانة مرموقة في حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة خاصة ، وفي المحيط الدولي بصفة عامة لخصوبة أرضها ، وتنوع محاصيلها ، الى جانب جهازها الصناعي الضخم من معاصر للزيوت، ومصانع للنسيج والعطور ، ومعادنها الوفيرة كالنحاس والملح والمرمر ، وتجارتها البحرية الواسعة حتى اعتبر البحر الأبيض المتوسط « بحيرة

جزائرية » وبالجملة كانت الموارد الاقتصادية فى الجزائر تفيض عن حاجة السكان ، وتعود عليهم بالرخاء والسعة .

وكان الجزائريون يحرصون على بقاء الأرض فى أيديهم فيقفونها على اولادهم وذراريهم . ومن ثمة انتشر نظام الأوقاف . والى جانب الوقف كان فى الجزائر نظام آخر من الملكية يسمى « نظام العشور » .

والى جانب هذين النظامين كان نظام الملكية الفردية قائما .

وتنص المادة الخامسة من اتفاقية التسليم التىوقعها الجنرال بورمون وداى الجزائر على احترام الملكية العقارية . غير أن القائد لم يلبث أن نقض العهد كما هو الشأن فى كل الاتفاقيات التى تعقد بين القوى والضعيف .

وقد بدأت عملية طرد أصحاب الأراضى الشرعيين منها غداة توقيع الاتفاقية . وكان أول اجراء قام به القائد العام ان وقع مرسوما يقضى بمصادرة املاك الأتراك الجزائريين . ثم أصدر مرسوما آخر بالاستيلاء على الأراضى الموقوفة على المساجد والخيرات .

وقد حوت محاضر اللجنة الملكية التى أوفدت الى الجزائر عام ١٨٣٢ وصفا دقيقا للعمليات الوحشية ، والتفرقة العنصرية التى قامت بها فرنسا ، نقتطف منه النبذة القصيرة التالية :

« بين يوم وليلة أصبحت مدينة الجزائر مسرحا للصفقات المريبة والغش والتدليس . فما كان على الانسان ، لكى يصبح مالكا ، الا أن يشى بأخيه ويلصق به تهمة معارضة الاحتلال فيصبح فى اليوم التالى مالكا لأرضه بقوة الجيش الفرنسى ! فهل ذهبنا الى هذه البلاد لتوطيد دعائم الحضارة ؟ أم لاهدار الحقوق ؟ ومن عساهم أن يكونوا هؤلاء المستوطنون الفرنسيون ؟ أليسوا دخلاء على أهل البلاد ؟ .. انهم لا يفلحون الأرض ، ولا يزرعون ، ولا يجنون ثمرا ، ولا يحترفون صناعة. ومع ذلك منحتهم سلطات الاحتلال سند الملكية لأراض لم يروها بأعينهم، فأصبحوا أصحابها وسادتها . هل ذهب شبابنا الى الجزائر ليحموا طغمة من الأشرار سارت فى أعقاب الجيش لتنعم بالغنائم والأسلاب ؟ » .

ثم توالت بعد ذلك المراسيم التى تلغى حقوق مئات الألوف من الملاك بجرة قلم . فصدر مرسوم فى أول مارس عام ١٨٣٣ يقضى بنزع ملكية كل أرض لم يقدم صاحبها مستندات ملكيته لها خلال فترة معينة

قصيرة . ولما كان نظام الملكية من قبل قائما على أساس التوارث لم تكن ثمة مستندات ، وبالتالى عجز الكثير من اثبات ملكيتهم ، فنزعت بذلك ملكية مليونى هكتار .

ثم كان عهد الامبراطورية الثانية التى أوفدت حكومتها لجنة الى الجزائر لتنظيم عمليات السطو على أملاك الجزائريين ، فقررت هذه اللجنة ـ فيما قررت ـ ألا يبقى لصاحب الأرض من أرضه الا الجزء المزروع منها . كما اعتبرت من أراضى العشور كل قطعة لم يكن صاحبها مالكا لها ثلاثين سنة على الأقل .

وقد توالت عمليات السطو على أراضى الأوقاف ، والعشور ، والأراضى المملوكة . ثم صدرت بعد ذلك قوانين لحماية « الأمر الواقع » .

وقد ذكر ديمونتيس (١) أن توزيع الأراضى فى الجزائر حسب احصاء عام ١٩١٧ كان على الوجه التالى : ـ

أملاك الدولة	بنسبة ٥ر٤٤
أملاك الوطنيين	بنسبة ٤ر٤٤
أملاك الأوروبيين	بنسبة ١ر١١

ثم تغيرت النسبة بعد ذلك لصالح الأوروبيين وللسلطات الاستعمارية فى البلاد على حساب الوطنيين .

هذا الى أن الاستعمار كان يحابى الأوروبيين على حساب أهل البلاد فيمدهم بالمعونة الفنية ، وبالآلات الزراعية ، والمبيدات الحشرية مما يزيد فى انتاج أراضيهم . وقد بدأ وصول المستوطنين الفرنسيين فى عام ١٨٣٢ من اللاجئين الفارين من منطقة الراين الذين أقاموا فى معسكرات الجيش، ومنحوا قطعا من الأراضى الجيدة . وتشير آخر الاحصاءات التى قام بها الفرنسيون قبل الثورة ، أى عام ١٩٥٤ ، الى أن عدد السكان فى البلاد كان ٠٠٠ر٥٢٨ر٩ منهم ٠٠٠ر٤٨٦ر٨ من الجزائريين ، والباقون من المستوطنين الأوروبيين . ورغم ذلك فان هذه الأقلية البيضاء تمتلك ٠٠٠ر٨٧٥ر٦ دونم من الأراضى الصالحة للزراعة التى تبلغ مساحتها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ دونم ، وهى لا تتعدى مساحتها ١ر٣٪ من مجموع مساحة البلاد . وكانت فرنسا تعمل دائما على زيادة عدد الأوروبيين

---

(١) فى مؤلفه . اقتصاديات الجزائر .

هناك بتشجيع هجرة المغامرين والهاربين من العدالة حتى تقوى الجالية الأجنبية وتزداد منعة ورخاء بينما يزداد الوطنيون فقرا بزيادة التناسل.

وان الطبقة الوسطى هى شبه معدومة عند الجزائريين ، وأن كانت موجودة بين المستوطنين الفرنسيين فلقد كان معدل دخل الفرد فى البلاد نحو عشرين جنيها فى السنة بسبب أن العامل الجزائرى يتقاضى خمس ما يتقاضاه العامل الفرنسى اذا أخذنا فى الاعتبار أن ٧٥٪ من الجزائريين يعيشون على القطاع الزراعى بينما يعيش الباقون على الأعمال اليومية الأخرى كالتجارة ، والقوة المسلحة ، والتعدين ، والصناعات اليدوية .

وبالرغم من اختفاء سياسة الحاجز اللونى ، أو التمييز العنصرى ، فى الجزائر من الناحية النظرية فانها كانت تمارس من الناحية العملية والرسمية على أوسع نطاق ، اذ كان اختلاط الوطنيين بالأوروبيين نادرا.

فهذه المشكلة ـ مشكلة التمييز العنصرى فى أفريقيا ـ ليست فى الواقع قاصرة على جمهورية جنوب أفريقيا وانما هى أكثر انتشارا ، واشد تعقيدا . وهى لم ترتبط بجمهورية جنوب أفريقيا الا لأنها اتخذت هناك صبغة رسمية ، وواجهت مقاومة دولية . وكذلك لوقوف جنوب أفريقيا موقف التحدى من الراى العام العالمى . كما أنها ليست قاصرة على التمييز بين البيض والسود فى أفريقيا ، بل بين الأوروبيين وغير الأوروبيين عامة سواء أكانوا بيضا أو سمرا . ولهذا سميت « سياسة عنصرية » .

والواقع أن سياسة التمييز العنصرى تمارس فى أفريقيا حيثما وجد الرجل الأوروبى ، واحتل مركزا متميزا فى المجتمع كما هو الحال فى كثير من بلدان شرق ووسط القارة قبل أن تستقل معظم دول هاتين المنطقتين. بل ان هذه السياسة لا تزال قائمة حتى الآن فى روديسيا الجنوبية ، والمستعمرات البرتغالية .

وتظهر التفرقة العنصرية فى أفريقية بين الأوروبيين ـ واو كانوا من حثالة القوم ـ وغير الأوروبيين ـ ولو كانوا سادة فى بلادهم ـ فى كل مواقف الحياة . كما أنها تنعكس فى كل النظم الاجتماعية ، وفى الحقوق والواجبات، وانماط السلوك . الا أنها تظهر بأقسى وأبشع صورها فى القيود الكثيرة التى تفرض على اصحاب البلاد خاصة فيما يتعلق بحق العمل، والأجور غير المتساوية والفرص غير المتكافئة فى العمل الواحد ، مما يترتب

عليه فى آخر الأمر تعيين مستوى اقتصادى محدد بدقة يكفل فى النهاية الفوارق الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين الأوربيين من ناحية والسلالات الأخرى من ناحية ثانية .

فالاتجاه السائد فى كل المناطق التى تمارس فيها التفرقة العنصرية ـ ومنها الجزائر ـ هو ربط الأهالى الوطنيين بقدر الامكان ، وبكل الوسائل ، بالزراعة بوجه عام ، والزراعة البدائية بوجه خاص سواء أكانوا ملاكا ، أو أجراء ، أو معدمين .

ويقتضى ذلك حصر الزراعة المتطورة ـ كما سلف ـ وكذلك الصناعة النامية فى أيدى الأوروبيين وحدهم ، والاعتماد على سواعد الوطنيين كعمال غير فنيين حتى فى الأعمال التى لا تحتاج الى مهارات خاصة .

ومن المعروف أن فرنسا عملت خلال احتلالها الطويل للجزائر على محو لغتها وعروبتها أى على فرنستها بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . بل عمدت الى سياسة الادماج الكلى منذ قيام الجمهورية الثالثة عام ١٨٧٠ . أى حوالى ٩٦ عاما . واذا تتبعنا التطور الثقافى خلال هذه الفترة للاحظنا ان البلاد قد تعاقبت عليها ثلاثة أجيال . الجيل الأول عاش بمعزل عن المستعمرين فاحتفظ بشخصيته ولغته العربية التقليدية . والجيل الثانى تأثر بوجود المستعمرين ، واختلط بهم ، ودرس لغتهم للحاجة اليها عند التعامل معهم دون أن يفقد شخصيته وروحه العربية . أما الجيل الثالث الذى ولد منذ أوائل هذا القرن فلم يكن أمامه سوى المدارس الحكومية التى تسير على نفس البرامج المتبعة فى فرنسا ، لا من حيث استخدام اللغة الفرنسية فحسب ، بل فى تدريس المواد القومية الفرنسية أيضا . وهذا الجيل الذى يكون اليوم معظم الشعب الجزائرى كادت تنقطع صلته بالثقافة العربية ، بل ان اللغة العربية اعتبرت قبل الاستقلال لغة أجنبية فى مدارس الجزائر كالأسبانية والانجليزية .

ولهذه المشكلة وجه آخر . ففى سنة حصول الجزائر على الاستقلال لم يكن هناك من المدارس ما يستوعب أكثر من ربع عدد الأطفال الذين فى سن التعليم . وهذا مما يزيد المشكلة تعقيدا .

وان الاتفاق الثقافى المعقود فى ايفيان عام ١٩٦٢ يعطى للثقافة الفرنسية امتيازات هائلة فى الجزائر . فالمادة الرابعة مثلا تنص على أن تنظيم الكليات بجامعة الجزائر يجب أن يراعى نفس توزيع الأقسام المتبع فى فرنسا . ومغزى ذلك الاستمرار فى الاعتماد على الأساتذة الفرنسيين .

ويتبين من ميزانية القطر الجزائرى أن مجموع ما يدفعه الأوروبيون من ضرائب مباشرة ـ مع أن عددهم لا يتجاوز المليون ـ أكثر مما يدفعه الجزائريون الذين يبلغ عددهم الآن حوالى ١١ مليون نسمة . الأمر الذى يدل على أن دخل القلة الأوروبية يزيد على دخل أهل البلاد جميعا .

ومن جهة أخرى يتبين أن الضرائب غير المباشرة التى يدفعها الوطنيون بحكم أغلبيتهم الساحقة أكثر من الضرائب المباشرة التى يدفع معظمها الأوروبيون كما سلف .

يضاف الى كل ذلك أن التجارة ، والصناعة ، والبنوك ، والمواصلات كلها فى أيدى الفرنسيين خاصة ، والأوروبيين عامة . أما الجزائريون فقد كانوا يكدحون ، ويشقون لكى يشتروا المنتجات الفرنسية بأغلى الأثمـــان .

ولقد خلق الاستعمار تمييزا عنصريا أو تفرقة عنصرية من نوع آخر لكى يقضى على وحدة البلاد . فقد زعم أن الأمة الجزائرية تتكون من عدة عناصر لا من عنصر واحد ، وهى : العنصر البربرى ، والعنصر الميزابى ، والعنصر الشاوى ، ثم العناصر العربية والتركية والزنجية . وهو زعم باطل لا يقوم عليه دليل ، وانما يفترى المستعمر الغاصب هذه الفــرية الخبيثة لغرض واحد هو « فرق تسد » . ذلك أن الاسلام قد وحد بين أهل الجزائر . وطبعهم على لسان واحد ، ودين واحد ، وقومية واحدة. وقد ازدادوا تماسكا ووحدة بفضل مظالم الاستعمار ، وبفضل الأحزاب الوطنية التى كانت تعمل على توثيق أسباب الأخوة القومية بين أبنــاء البلاد ، فانمحت كل أسباب الخصومات والتناحر القبلى .

وفى الوقت الذى كانت تشدد فيه سلطات الاســتعمار النكير على المسلمين بكل الوسائل لتعرقل نموهم الاقتصادى والاجتماعى ، واقامة شعائرهم كانت تشجع بكل ما أوتيت من قوة أولئك المهاجرين المغامرين من حثالة القوم . وقد صرح الكردينال لافيجرى عام ١٨٦٧ بقوله « يجب أن نجعل من الأمة الجزائرية مهدا لأمة مسيحية كريمــة ، وأن نربط مصير أفريقيا بحياة الشعوب المسيحية .. تلك هى رسالتنا » .

وقد ابتدعت العقلية الاستعمارية ما أسمته « نظام الاتحاد الفرنسى » أسوة بنظـــام « الممتلكات المستقلة » أو « الكومونولث » الذى أنشأته بريطانيـــا .

ومن الواضح أن الاتحاد الفرنسي المزعوم يضم شعوبا واقطارا متنافرة . فلا صلة هناك بين شعوب الهند الصينية والشعب الفرنسي . كما انه ليست هناك أواصر تربط شعوب شمال افريقيا بالشعب الفرنسي .

ولا ادل على سوء نية الاستعمار مما كتبه فى هذا الشأن ليون بوتبيان عن مؤتمر برازافيل الذى عقد عام ١٩٤٤ اوضع نواة ذلك الاتحاد المزيف ، اذ قال « ان المؤتمر قد نبذ كل فكرة تدعو الى الحكم الذاتى ، كما نبذ كل ما من شأنه أن يساعد على التطور والتقدم خارج نطاق الكتلة الفرنسية . اى الامبراطورية الفرنسية ، والفكرة الأساسية فى هذا النظام الجديد هى اخضاع الشعوب لفرنسا ، وادماج العناصر الأهلية فى العنصر الفرنسى » .

وعلى هذه الأسس العنصرية طالب المستوطنون الأوروبيون بامتيازات خرافية ، وعارضوا بشدة مبدأ المساواة مع العرب . كما عارضوا منح هؤلاء أية حقوق مدنية رغم ادعاء فرنسا المتكرر ان الجزائر أرض فرنسية!

وفى سنة ١٩٣٦ قدم ٢٥٠٠ جزائرى طلبات للحصول على الحقوق المدنية ، ولكن البرلمان الفرنسى رفض هذا الطلب بشدة متناهية على أساس أن السياسة العنصرية هى جزء من السياسة الفرنسية العليا .

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ يصل الى الجزائر من المهاجرين الأوروبيين — الذين شجعتهم فرنسا — حوالى ٤٦٠٠٠ ثم ١٤٠ الفا بعد فترة وجيزة .

كما أدت الأزمات المتتابعة فى فرنسا الى هجرة غير المسلمين من الأسبان ، والايطاليين واليونانيين ، والقبارصة ، والألمان ، والمارونيين ، والايرلنديين ، والهنود ، والصينيين .. الخ . وأعلنت فرنسا بأنها ترحب بالمهاجرين من جميع الجنسيات فى الجزائر بشرط الا يكونوا مسلمين .

وبعد أن هزمت فرنسا فى حربها مع ألمانيا فى الحرب العظمى الثانية عملت على زيادة تشجيع الفرنسيين على الهجرة الى الجزائر . وكانت خطة تهجير ، واستيطان الفرنسيين فى الجزائر خطة مدروسة بعناية . فقد كانت القرى تشيد ، ومشروعات الرى تقام قبل أن يصل اليها المهاجرون الفرنسيون . وقد بلغ عدد هذه القرى الجديدة فى الجزائر حوالى ٨٠٠ قرية يقطنها حوالى ٣٠٠ ألف .

وقد ترتب على تلك السياسة العنصرية خلخلة استيطانية من ثلاث شعب :

الأولى ــ هجرة الجزائريين من الريف الى المدن قدر عددهم بحوالى مليون جزائرى نتيجة طردهم من أراضيهم ، وغلق أبواب الرزق فى وجوههم ، أو محاولة استعبادهم فى المزارع الأوروبية بأقل الاجور مع انعدام الرعاية الصحية والاجتماعية .

الثانية ــ احلال الأوروبيين عامة ــ والفرنسيين خاصة ــ محلهم .

الثالثة ــ هجرة الكثير من الجزائريين من الجزائر ذاتها الى فرنسا . وقد قدر عددهم ٦٠٠ ألف جزائرى يعملون فى المناجم ، والموانى ، والسكك الحديدية .

الباب الثالث غروب العنصرية

الفصل الأول ـ ثورة الشعوب على التمييز العنصرى .

الفصل الثانى ـ المجهودات الدولية لمكافحة التمييز العنصرى .

الفصل
الأول : ثورة الشعوب على التفرقة العنصرية

بعد الحرب العالمية الثانية شعر الرجل الأبيض الذى يعيش فى أفريقية أن الأرض تميد تحت قدميه . وأصبح السؤال الذى يتردد على لسان كل رجل أبيض فى أفريقية سواء أكان حاكما أو مجرد مواطن عادى هو :

ماذا وراء هذا الاحساس القوى الدافق بالقومية بين الأفريقيين ؟

من القصور أن نقول ان الظلم ، والتفرقة العنصرية ، هما وحدهما السبب فى ذلك .

فالقومية الأفريقية — ككل الحركات التحريرية — ليست الا فروعا من شجرة ، تمتد جذورها فى أغوار التاريخ البعيد . وبغير هذا التفسير تصبح تلك القومية انتفاضة مفاجئة ، لا تلبث أن تخمد . ذلك أن الشواهد التاريخية تؤكد ان كل حركة تحريرية تسبقها دائما أفكار تمهد لها ، وتمدها بالقوة وتساعدها على الاستمرار . انها متصلة كالنهر الذى ينحدر من منبعه الى مصبه ، ولا يرى الرائى الا جزءا ضئيلا منه . وليس من شك فى أن الحرب العالمية الثانية ، لها أثر كبير فى اتساع حركة البعث التى امتد نطاقها فى كل شبر من افريقية . فقد أتاحت هذه الحرب فرصة مواتية للأفريقيين لأن يتصلوا بمختلف شعوب العالم فى ميادين القتال . لقد كانت الشرارة التى فجرت البارود الكامن فى صدور الشعوب المغلوبة على أمرها . لقد رأوا الأوربيين الذين كانوا يسمون انفسهم رسل الحضارة والسلام ، يذبح بعضهم بعضا فى قسوة ووحشية . وأدت الحرب الى تفاعل فكرى خطير .. وملأت أذهان الافريقيين بأفكار جديدة ثورية . . كان الحلفاء يكررون لشعوب المستعمرات انه ليس من العدالة أن تسيطر ألمانيا على غيرها من الشعوب ، ويطلبون منهم أن يحاربوا ، ويموتوا ، دفاعا عن حرية أوطانهم ، حتى لا يعيشوا تحت ظل ديكتاتورية هتلر وطغيانه . وهكذا مات من مات منهم وهو

يهتف بالحرية . وطالب من عاش منهم بهذه الحـــرية التى دفع ثمنها الملايين من شهدائهم .

وتصور لنا القصة التالية تصويرا واقعيا هذه الحقيقة التاريخية ، وهى محاورة جرت فى ميدان القتال بين ضابط بريطانى وزميله الضابط الأفريقى :

الضابط البريطانى	: الموت لهتلر .. ليسقط هذا الدكتاتور .
الضابط الأفريقى	: وما الاثم الذى ارتكبه هتلر حتى تطلب له الموت؟
الضابط البريطانى	: انه يريد أن يحكم العالم كله ، بما فيه بلادك وبلادى !
الضابط الأفريقى	: وما هو وجه الغرابة فى ذلك ؟
الضابط البريطانى	: انه ليس من العدل يا صديقى أن تفــرض دولة سيطرتها على دولة أخرى ، فان كل دولة يجب أن تحكم نفسها بنفسها ، لأن الدولة التى تقبل هذه السيطرة لا تستحق الحرية والحيـــاة ، والكرامة ! (١) .

وهكذا سمع الافريقى أن العدل يقضى بأن الألمانى يحكم المانيا، وأن الايطالى يحكم ايطاليا ، وأن الانجليزى أو الفرنسى أو الأمريكى أو البلجيكى وغيرهم يجب أن يحكم كل منهم بلاده وحدها .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد الجندى الأفريقى الى بلاده بهذه الأفكار الجديدة ، وبدأ يمارسها ، ويطبقها . لمـــاذا يحكمه الاوربيون ؟ يجب أن يرحلوا وان تستقل افريقية . ولذلك قامت الحركات الوطنية العنيفة فى معظم أجزاء افريقية بهذه الروح التى غذتها زعامات وطنية وعت تاريخ بلادها ، وأمجادها .

ومما زاد نمو هذه اليقظة استقلال دول عديدة فى أنحاء مختلفــة من العالم .. ففى سنة ١٩٤٦ حصلت الفلبين على اســـــتقلالها من الولايات المتحدة . كما استقلت الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، وبورما ، وسيلان سنة ١٩٤٨ . وفى الشرق العربى استقلت لبنان وسوريا . وفى سنة ١٩٥٠ استقلت أندونيسيا . وقال الدكتور نكروما عام ١٩٤٩ :

---

(١) القومية الافريقيـــة . ندا بانجى سيتهول . ترجمة عبد الواحد ابراهيم الأمبابى . ص ١١ .

دافعا قويا للدول الأفريقية الأخرى الى أن تكافح ، وتتنزع استقلالها بالعرق ، والدموع والدماء ! .

وفى جنوب أفريقية ــ التى قرر الحزب الوطنى الحاكم فيها انه يصر على سيطرة البيض على السود ــ ظهرت روح جديدة تهدف الى المطالبة بالحرية واستقلال الشعوب المغلوبة على أمرها . وفى يوليو عام ١٩٥٥ اجتمع مؤتمر من الشعب ، ضم حوالى ٣٠٠٠ شخص ، وأصدر وثيقة الحرية التالية :

« نحن شعب جنوب أفريقية نعلن للشعب الأفريقى كله ، وللعالم أجمع أن جنوب أفريقية وطن لكل من يعيش فيه . وليست هناك حكومة تستطيع أن تدعى لنفسها الحق فى السلطة دون أن تعتمد على ارادة الشعب . أن شعبنا قد حرم من حقه الطبيعى فى بلاده . كما حرم من الحرية ، والأمان بواسطة حكومة قامت على الظلم وعدم احترام مبدأ المساواة . وسيظل شعبنا محروما من تحقيق أى تقدم أو نجاح أو حرية حتى يستطيع أن يعيش فى أخوة يتمتع فى ظلها بحقه فى المساواة وتكافؤ الفرص . ان الدولة الديمقراطية ، التى تقوم على أساس من ارادة كل الشعوب ، هى التى تستطيع أن تضمن للجميع حقهم فى بلادهم دون تمييز بسبب اللون ، أو العنصر أو الجنس أو العقيدة . ولذا فاننا نحن شعب جنوب أفريقية نوافق على وثيقة الحرية هذه ، ولقد تعهدنا أن نكافح دون أن ندخر وسعا من جهد أو شجاعة حتى نحقق مجتمعا ديمقراطيا سليما » .

وقال المؤرخ الأمريكى الزنجى جورج جى :

« ان الحرب العالمية الأخيرة ، لم تعلم الشعوب المحتلة روح الاستقلال، لأن هذه الروح كانت موجودة فعلا . فقد احست هذه الشعوب منذ زمن طويل بظلم التبعية المريرة ، والتمييز الشائن . ولكن لم تكن لديهم وسائل الاعلان عما يحسون به ويعيشون فيه ، الى أن جاءت هذه الحرب فأبرزت تلك الصورة القاتمة بشكل أكثر وضوحا وعنفا وشدة ، ومنحتهم فرصة التعبير ، وأعطتهم وسيلة هذا التعبير .

« لقد حطمت الحرب الحواجز العالية التى كانت تستتر خلفها السيطرة الأوربية . كما كانت هذه الحرب جهازا فعالا عجل بالقضاء على

السيطرة النازية الدولية . وكان لها فى نفس الوقت أثر كبير فى دق ناقوس الموت للسيطرة الأوربية »(١) .

* * *

والآن ، يجب أن نسأل : ما هى العلاقة بين السياسة العنصرية وبين ظهور القومية الأفريقية أخيرا ؟.

وان الأجابة على هذا السؤال تكاد تكون معادلة رياضية :

١ ــ ان السياسة العنصرية خلقت طائفتين فى أفريقية : طائفة كانت تملك الأرض منذ قديم الزمن بما تحويه من أمجاد ، وذكريات ، وثروات ، وتقاليد . وأخرى وافدة تريد أن تنتزع من يدها هذا كله بالحيلة والغش والخديعة ... ثم بالحديد والنار .

٢ ــ سيطرة الوافدين الغاصبين على الأرض وكنوزها ... وأصحابها ... وطردهم لأصحابها ، وتسخيرهم ، وبيعهم فى سوق النخاسة . كل ذلك جعل الأولين حاكمين مالكين لكل شىء ... والأخيرين محكومين لا يملكون شيئا .

٣ ــ ان المظلوم لا يسكت على الضيم وان بدا أنه مستسلم للظلم ، راض بالواقع . فهو يجتر آلامه فى الخفاء ، ويعمل على التخلص والانتقام فى الظلام ... الى أن يحين موعد الفجر !

٤ ــ ان الحاكم الظالم لا يغفل عن فريسته أيضا ... وان بدا أنه غارق فى السلطة والترف ، والنعيم ... فله خبرته ، وأساليبه ، وادارته ، وأسلحته المادية والمعنوية .

٥ ــ ومن الصراع يتولد الاحتكاك ... ومن الاحتكاك تتولد الشرارات الأولى التى تندلع ثم تخبو ... ثم تندلع مرة أخرى لأن النفوس لا تقبل كما تقدم الاستسلام للظلم ، والمهانة ولو دفعت حياتها ثمنا للحرية ، والكرامة . وخاصة اذا كان لها تاريخ يذكى روحها ، وزعامات تبصرها ، وتهديها ، وتوجهها وتدافع عن حقوقها المهضومة ، وكرامتها المهددة .

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٢ .

على قيادتها لتتمكن البرتغال من استعمالها ضد الثوار الأفريقيين فى مستعمراتها .

ولانزال نذكر هدية « صفقة الأسلحة » التى منحتها ألمانيا الغربية سرا لاسرائيل ، مساهمة فى حربها ضد العرب .

تلك الهدية التى فضحها الرئيس جمال عبد الناصر اذ أدت الى قرار شبه اجماعى من الدول العربية بقطع علاقاتها مع ألمانيا الغربية . ولايزال الموقف كما هو حتى الآن رغم كل الجهود التى تبذلها ألمانيا لأعادة تلك العلاقات ، ولا تزال آثارها البعيدة تشكل الكثير من الحوادث فى العالم العربى والعالم الغربى .

ويحصل المستعمرون البرتغاليون على مساعدات عسكرية وسياسية قوية أيضا من حكومة فرانكو فى أسبانيا . وبمقتضى الاتفاق السرى المعقود فى « مدريد » فى يناير سنة ١٩٦٢ بين أسبانيا والبرتغال تعهد الطرفان بالعمل معا ضد « أية أعمال هدامة » سواء أكان ذلك فى القارة الأوربية أو فى « مقاطعات ما وراء البحار » التى يملكها الطرفان المتعاقدان !

وقد تكون اتحاد استعمارى عنصرى بين حكومات جنوب أفريقية ، والمستوطنين البيض فى روديسيا الجنوبية ، والادارة البرتغالية فى المستعمرات الأفريقية . وقد انشىء هذا الاتحاد بواسطة الولايات المتحدة، وبريطانيا بقصد انقاذ المستعمرات الأفريقية من « القومية السوداء » كما يسمونها ! . .

ويتلقى سالازار — بموجب هذا الاتفاق — مساعدات سخية من « فيرفورد » رئيس حكومة جنوب أفريقية ، اذ تقوم سلطات جنوب افريقية بتوريد الطعام والسلاح الى وحدات الجيش البرتغالى الذى يحارب الثوار فى انجولا وموزمبيق .

وتقوم الوحدات البرتغالية ، ووحدات من جنوب أفريقية ، وروديسيا الجنوبية بالتدريبات العسكرية المشتركة .

ويهدف الاستعماريون من وراء كل هذه الاتفاقيات ، والمساعدات ، الى حماية الأرباح الطائلة التى يجنونها من أسواق تلك المستعمرات ، أو البلاد المتحررة حديثا ولاتزال تمارس فيها وصمة التفرقة العنصرية. ففى انجولا وحدها أكثر من مائة مؤسسة أمريكية . فضلا عن ان كثيرا

من الشركات البرتغالية فى المستعمرات تدار فى الواقع بواسطة راسماليين أمريكيين وفرنسيين وبريطانيين وألمانيين .

كما أن الاحتكارات الأمريكية تسيطر على صناعة البترول فى أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية . كما اشترك رأس المال الأمريكى وراس المال البريطانى فى تأسيس الشركة التى احتكرت مناجم الماس فى أنجولا. ويمتد نفوذ تلك الشركة الى ٩٠٪ من أراضى أنجولا .

ويستحوذ رأس المال البريطانى على شركة السكة الحديد التى تسيطر على الخط الحديدى بين روديسيا وموزمبيق .

وتملك « شركة جنوب أفريقية البريطانية » غالبية أسهم شركة موزمبيق التى تدير الصناعات الأساسية فى كثير من المستعمرات والأقاليم الأفريقية .

ويستثمر رأس المال الفرنسى فى « شركة زامبيزى » التى تمتلك مزارع ضخمة للنخيل والشاى والقطن فى موزمبيق .

كما أن لها مصالح تجارية عديدة فى أنجولا وغينيا . وتمتلك شركة « بورو » أكبر مزارع جوز هند فى العالم .

ويتسلل راس المال الألمانى أيضا الى المستعمرات والأقاليم الأفريقية، وتحتل مركز القيادة فيه مؤسسة « كروب » . وتقوم الاحتكارات الالمانية بحفر المناجم وبناء الطرق فى أنجولا . ونصف الحديد المستخرج فى تلك المنطقة يشحن الى ألمانيا الغربية .

ولحلف الأطلنطى مصالح عسكرية فى المستعمرات الأفريقية حيث أقيمت قواعد ضخمة لاختبارات القذائف بعيدة المدى ، وتعزيز الجبهة الجنوبية للحلفاء .

ويمكن تقسيم المصالح الاستعمارية فى أفريقية الى ثلاث :

١ ـ مصالح اقتصادية
٢ ـ مصالح عسكرية
٣ ـ مصالح عنصرية

* * *

من اجل هذه الحقائق جميعا اشتعلت حروب التحرير ضد أصحاب « نظرية التمييز العنصرى » فى كل المستعمرات الأفريقية . ومنها ما نال

الفلاحين والعمال المضطهدين فى مزارع البن ، وأخذوا يشنون الهجمات المنظمة على تلك المزارع الخصبة الى انتزعها منهم البيض من قبل .

وقد زعم سالازار أن حرب العصابات فى أنجولا تساندها وتديرها جهات خارجية ، منها الشيوعية العالمية . ولكن الحقيقة أن هذه العصابات ، حتى العناصر الخارجية منها تتألف من أفريقيين أنجوليين بعضهم من الجماعات التى هربت قبل الثورة من الاضطهاد .

ويعتبر « اتحاد شعب أنجولا » أكبر التكتلات المعارضة للبرتغال فى المستعمرة . وقد بدىء فى انشائه عام ١٩٥٤ . وهو يضم حوالى ٥٠ ألفا من الأعضاء ، ويصدر صحيفة بأربع لغات ، ولا تتحكم فيه النزعات القبلية رغم أنه يتألف من عدة قبائل لأنه يرى لنفسه ، قبل كل شىء ، حزبا يعمل على تحرير أنجولا كلها . وقد ناشد الدول الأفريقية كلها أن تمد أنجولا بالعون ، والمساعدة حتى تطرح عن كاهلها الطغيان الذى طال أمده . وقد أصدر بيانا جاء فيه :

« أن أنجولا سوف تبنى دولة تدير شئون نفسها بنفسها ، وسوف تشكل حكومة ديموقراطية مسئولة وخاصة بها ، لادارة الشئون العامة من اقتصاد وتعليم وصحة ورفع مستوى المعيشة ، ومنع تدخل الأجنبى ، وسوف تبرز أنجولا على المسرح الدولى لتشارك فى شئون العالم ، وفى بناء أفريقية المتحدة تحقيقا للقرارات التى اتخذتها مؤتمرات الشعوب الأفريقية فى أكرا وتونس » (١) .

وهناك أيضا « الحركة الوطنية لتحرير أنجولا » وهى وان كانت أقل عددا ، الا أنها أكثر فاعلية فى ارهاب المستعمرين ، اذ استطاعت قواتها الفدائية فى منطقة « كابندا » أن تحرر مساحة كبيرة من أرض الوطن .

وفى أكتوبر ١٩٦٤ دارت المعارك بين البرتغاليين وقوات العصابات بجوار منطقة « بوكوازو » فقد البرتغاليون فى هذه المعركة وحدها ثمانين قتيلا من بينهم عشرة ضباط ، ودمرت خمس عشرة سيارة نقل ، وتم الاستيلاء على كمية كبيرة من الذخيرة والعتاد .

وهذه المنظمة أيضا لا تستند الى أسس قبلية ، وقد ظل مقرها فى « كوناكرى » عدة سنوات . ويعتبر رئيسها « ماريودى أندريد » ، الشاعر وخريج جامعة باريس ، هذه الحركة حزبا أفريقيا وطنيا صادقا .

---

(١) البرتغال فى أفريقية . المصدر السابق . ص ١٩٥ .

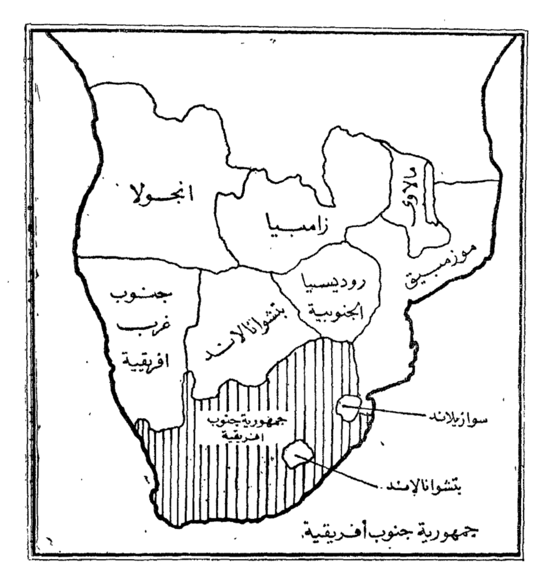
وقد نص برنامجها الذى نشر عام ١٩٦٢ على ضرورة المساواة بين الجماعات البشرية المختلفة وحق الحكم الذاتى للأقليات الوطنية ، والغاء القواعد العسكرية ، وتحريم نظام العمل الجبرى ، ووضع حد ادنى للأجور . أما من الناحية الاقتصادية فقد طالبت المنظمة بتوزيع الأراضى الشاسعة على الفلاحين الأفريقيين ، وتحويل أنجولا الى بلد صناعى حديث . وقد انضم الى هذه الحركة « حزب الاستقلال الأفريقى فى غينيا » . كما دعيت الى المشاركة فى جهودها الحركات المماثلة لها فى موزمبيق .

فاذا تحالفت كل هذه القوى ، وانضمت اليها كل المجموعات المناهضة لحكم سالازار فسوف تواجه حكومته معارضة تهز نظامها من أساسه ، وتقتلعه من جذوره . اذ أن مصير البرتغال فى أفريقية سيتحدد فى أنجولا. ولذلك تقدر حكومتها الدلالات السياسية والاستراتيجية لهذه الحرب . وبدا أنها قد عقدت العزم على أن تمضى فى عنادها ، ومقاومتها لهذه الثورة الوطنية بكل ما وسعها من قوة وجبروت فأقال سالازار وزير دفاعه ، وتولى القيادة بنفسه ، وطار آلاف من جنود المظلات الى انجولا ، وتبعهم جنود البحرية . هذا بالاضافة الى عصابات البيض فى داخل المستعمرة . وكان لجهود هذه العصابات أثرها فى زيادة التوتر العنصرى فى أنجولا . وتنظر الحكومة البرتغالية الى هذه الحرب على أنها حرب ابادة للأفريقيين ، ولا شىء سوى ذلك . ولذا فهى لا تكبح جماح أولئك البيض المناهضين للوطنيين ، كما أمطرت القرى بالقنابل ، وسوت القرى بالأرض ، وأعدمت الذكور وشتت شمل النساء والأطفال فهاموا على وجوههم فى الغابات .

ولا تخجل الحكومة من أن تفعل أى شىء .. بل ان صحفها تملأ أعمدتها بالبيانات الحربية المفعمة بالزهو والخيلاء ، والتى تعلن عدد الآلاف الذين أبادتهم من « الحيوانات السود » . والحرب المسعورة التى يشنها سالازار فى أنجولا تثير الاضطراب فى الجيش البرتغالى . فأعداد متزايدة من الجنود والضباط يهجرون صفوفه ، وينضمون الى العصابات (١) .

وهناك عامل آخر سيكون ذا أهمية لدى الثوار الأنجوليين تماما كالسلاح ، هو الرأى العام العالمى الذى تحول تماما ضد البرتغال . فقد

(١) الاستعمار البرتغالى فى أفريقية . المصدر السابق . ص ٢٨ .



الثورة فى جنوب أفريقية :

تؤكد كل الحوادث والظروف أن كيانا ثوريا جديدا يتشكل فى جمهورية جنوب أفريقية رغم العنف ، والاضطهاد ، والتحدى ... الممثل فى التمييز العنصرى بجميع ألوانه ، وأساليبه .

وان هذه المقاومة لسياسة التمييز العنصرى التى تشكل تعبيرا عن قوى جديدة ، وثورية فى هذه المنطقة المغلقة ، المظلمة ... تضيف رصيدا جديدا لثورة أفريقية كلها ، وصحوتها من سباتها .

والدراسات الحديثة التى خرجت سرا من الستار الحديدى فى جنوب أفريقية لتتداول الآن فى امريكا واوروبا فى سلسلة كتب ،

تتحدث عن كل أشكال المقاومة ، وأساليب الثورة على الوضع اللاأخلاقى واللاانسانى المفروض على السود .. أصحاب البلاد الأصليين (١) .

وتشير الدراسات المشار اليها الى أن المثقفين الأفريقيين هم الذين يكونون الاطار الثورى ، وهم عماد الأحزاب السياسية ، ويتعاون معهم اليساريون من الأقلية الأوروبية ، وفئات من الأقلية الأسيوية والملونين .

ولكن العنف الحكومى ، والبطش الشديد ، والقوانين العنصرية المتتالية منذ عام ١٩٤٨ ، حين سيطر الحزب الوطنى على أداة الحكم ، قد قضت تقريبا على هذا الاطار الثورى ، وطاردت احتمالات تنظيم العمل الثورى .

وقد أدى هذا الى تكوين الجمعيات السرية التابعة لحزب « الجامعة الأفريقية » وحزب «المؤتمر الوطنىالافريقى» مع جمعيات يسارية أخرى. كما نقل المثقفون الأفريقيون الثائرون نشاطهم من المدينة والمناطق الحضرية الى المعازل القبلية ، وبالذات « الترانسكاى » حيث تحشد الحكومة الأفريقيين تحت زعامات قبلية رجعية أو متعاونة مع الحكومة . ومعنى هذا ببساطة ووضوح أن الفلاحين أصبحوا عماد الثورة الجديدة ووقودها فى نفس الوقت بعد أن كانت الثورة تعتمد على الموظفين ، وعمال المناجم والمصانع . وهذا التغيير فى التكتيك الثورى ليس يسيرا من الناحية النظرية والناحية العملية معا ، فلم يسبق له وجود فى أى تجربة ثورية . والسبب هنا هو سياسة المعازل ، وبطش الحكومة ، ورقابتها ، وزعماء القبائل المفروضون باسم القانون ، وتصاريح المرور التى يحتم القانون على كل أفريقى أن يحملها .

وقد ثار التساؤل : هل تنظيم الفلاحين ودفعهم للعمل الثورى فى مثل هذه الظروف السيئة ، الشديدة القسوة ، والتى لم يسبق لها مثيل فى العالم ، سيتم على أساس فلسفة الثورة الوطنية العامة أى المساواة ، وحق الأغلبية فى الانتخابات ... الى آخر هذه الشعارات والمطالب المعروفة ؟ أم سيحدث تغيير جذرى فى هذه الفلسفة ، وتظهر شعارات ومطالب أخرى تعبر عن القوى الجديدة القائمة بالثورة .. أى الفلاحين ؟

---

(١) مقال : « ثورة الفلاحين السود فى جنوب أفريقية » د . عبد الملك عوده . مجلة الكاتب . عدد يناير ١٩٦٥ . ص ٧١ وما بعدها .

فقط من البحر يوجد ذلك الرجل الذى ساروا عندما أمرهم بذلك من بعيد ففى جزيرة « روبين » يقيم « روبرت سوبوكوى » زعيم جماعة الـ PAC ، المحظورة الآن ، معتقلا « الى ما شاء الله » على حد قول وزير العدل « جوهانس فورستر » . وجريمة هذا الأستاذ الجامعى كما اعترف فورستر نفسه أن شعاره « أفريقية للأفريقيين » وقد انضم اليه مؤخرا فى الجزيرة زعماء ثلاثة من « المؤتمر الأفريقى » المعارض لحزبه. وقد أرسلوا الى هناك لقضاء أحكام السجن المؤبد التى صدرت فى حقهم فى يونيو ١٩٦٤ فى محاكمات صورية بتهمة تخريب فى احـــدى مدن مقاطعة بريتوريا .

واقد كان للكنيسة فى جنوب أفريقية دور بارز فى مقاومة السياسة العنصرية التى تتبعها حكومتها .

ففى عام ١٩٥٧ أعطى وزير الشئون الوطنية بموجب الفقرة (٢٩جـ) سلطة الأمر بان لا يخرج أى أفريقى فى مدينة عن نطاق محل اقامته وأدى هذا الى منع الأفريقيين من ارتياد دور العبادة التى تعودوا عليها ، والواقعة خارج محال اقامتهم .

وقد دعا رئيس أساقفة مدينة الكاب ، الدكتور جودفرى كلايتون(١) أربعة من أساقفة الكنيسة لكى يبحث معهم هذا الأمر . وفى النهاية وجه(٢) الأسقف « أمبروز ريفرز » من كنيسة جوهانسبرج ، خطابا الى رئيس الوزراء باسم الأساقفة جميعا يشرح له فيه تعارض هذا الأمر الوزارى مع تعاليم الدين المسيحى ، ويؤكد أنه يمس حرية العبادة ولا يقتصر أثره على الشئون المدنية وحدها نظرا لأن الكنائس جميعها تقريبا قائمة فى خارج المعازل الوطنية .

ولأهمية هذا الخطاب ننقل منه الفقرات التالية :

١ — « ان دستور كنيسة جنوب أفريقية يضع فى حسابه حكومة المجتمع المقدس للكنيسة . ففى مثـــل هذه المجامع يمثـــل الأساقفة والقساوسة دون تفريق بين عنصر أو لون .

٢ — « اننا ندرك خطورة عصيان القانون ، ونعتقد أن اطاعة السلطة المدنية حتى فى الأمور التى يختلف فيها الرأى أمر يفرضه الله علينا . ولكننا أمرنا كذلك أن نعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

---

(١) جنوب أفريقية أمس وغدا . امبروزريفرز . ترجمة مرقص صليب ص ١٤٥ .

(٢) مؤلف الكتاب المشار اليه فى البند السابق .

فهناك اذن أمور لله وليست لقيصر ، ومن بينها الأمور التى تعالجها الفقرة ٢٩ (ج) . وبما أن هذا هو اعتقادنا فأننا مضطرون أن نقدر أنه اذا أصبح هذا الأمر قانونا فسوف لا يكون فى مقدورنا طاعته ، أو أن ننصح الكهنة والشعب بهذه الطاعة . ولذا نلجأ اليك يا سيدى ألا تضعنا فى موقف نختار فيه بين طاعة ضمائرنا وطاعة قانون البلاد » .

كما أن الأسقف « أمبروز ريفرز » وضع كتابا عن جنوب أفريقية .. « أمس وغدا » بعد نفيه من البلاد بسبب موقفه هذا ، عالج فيه هـذه المشكلة بقوة وصراحة ، نقتبس منه الفقرات التالية :

١ ــ اننى لم أفضح التفرقة العنصرية أبدا لأنها غير لائقة من الناحية السياسية ، وكارثة من الناحية الاجتماعية ، ولكن من تجاربى عدة سنوات وصلت الى النتيجة المحتمة ، وهى أن التفرقة العنصرية فى ذاتها شر . وكزعيم مسيحى لم أجد أمامى من سبيل سوى أن أفضح زيف النظرية وأن أبين الظلم الصارخ، والآلام الممضة التى تسود جنوب أفريقية سواء أكانت هنـاك ضرورة أم لم تكن .

٢ ــ « ان التفرقة العنصرية فى ملتى ويقينى تعتبر أكثر من اهانة للأنسانية . انها تجعل من فداء المسيح لغوا وهذا هو الحكم النهائى على التفرقة العنصرية كما أراها كأسقف .

٣ ــ « بدأ البعض يربط التفرقة العنصرية والمسيحية . والذى يدعو الى هذا الاعتقاد أن فى البلد حكومة تدعى أنها حكومة مسيحية ، وكانت تقول فى أكثر من مناسبة ان قراراتها من ارادة الله . وأنك لتجد فى الحقيقة ــ كما لاحظ المجلس العالمى الكنائسى فى جوهانسبرج فى ديسمبر ١٩٦٠ ــ أنه يوجد احياء للعادات الوثنية القبلية فى كثير من البقاع لا يتفق مع المعتقدات المسيحية .

٤ ــ « يجب أن يتذكر رجال الكنيسة بصفة خاصة شهادة الانجيل عن الأمور العنصرية . ولو أن كتاب الأنجيل لم يكونوا يعرفون شيئا عن التفرقة العنصرية فقد كان لديهم الكثير من التجارب عن التفرقة فى أبغض أشكالها . كانوا يعيشون فى عصر ، وبين شعب كان يضع تمييزا حادا بين اليهودى والوثنى .

وفى سنة ١٩٥٣ أعلنت الحكومة حل (اتحاد كينيا الأفريقى) وحكم على كنياتا بالسجن . وخلفه « توم مابويا » الذى قبض عليه ، وسجن هو الآخر .

وقد شبهت جريدة « المانشستر جارديان » البريطانية فى ذلك الوقت ضرب قبائل الكيوكويو بالقنابل بضرب موسولينى للحبشة . وقد بلغ عدد القتلى من الأفريقيين من أول يناير الى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٣ وحدها حوالى ٢٨٢٢ ، والأسرى ٩٨٠ . وقد لاحظ مجلس العموم البريطانى زيادة نسبة القتلى عن الأسرى مما يدل على أن الفرض هو الانتقام وليس اخماد الثورة . ولا يعرف العدد الكلى من القتلى فى حرب العصابات التى كان شعارها وقسمها « لن نلقى السلاح حتى نسترد أرضنا من الرجل الأبيض » وان قدرهم البعض بنحو ربع مليون على الأقل (١) .

وفى محاضرة ألقاها « مايكل بلندل » فى لندن فى أوائل عام ١٩٥٥ أشار الى تعاون القرى الآمنة مع الثوار فقال :

« هناك جناح متطرف من الماو ــ ماو يعمل فى الغابات ، وجناح سلبى فى المعازل . والاثنان مرتبطان معا ارتباطا وثيقا . فكل عصابة من الثوار ترتكز على مجموعة من المستعمرين . وقد أظهر الجناح السلبى مثابرة نادرة ، وصبرا مرا على متابعة أهدافه » (٢) .

وكانت قوات الحكومة تأتى الى القرية لتسأل عن أفرادها . فاذا كشفت أمر غائب أو مجموعة من الغائبين أعطت القرية كلها مهلة ٢٤ ساعة تقوم بعدها بمصادرة المواشى ودواب الركوب ، وطرد السكان ، أو نفيهم الى المعتقلات ، ودك القرية كلها بالقنابل . وعم البلاء أرض الكيكويو ، واشتدت آلامهم حتى انتحر فريق منهم ممن تقدمت بهم السن تحت وطأة الحزن والضيق ، وانتشار الأوبئة .

وعلق « جورج بادمور » سنة ١٩٥٦ على العمليات العسكرية ضد الماو ــ ماو فقال « كانت هذه الحرب الاستعمارية القذرة تكلف الحكومة البريطانية نحو مليون جنيه كل شهر » .

يقول جنتر :

---

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقية المصدر السابق . ص ٢١٠ .

(٢) قضية كينيا . د . عبد العزيز كامل . المصدر السابق . ص ١١ .

« لم أر قوما يستهويهم السلاح كما يستهوى أهل كينيا (من البيض) . فقد اكتشفت فى أول مأدبة عشاء لنا فى نيروبى أن السيدات العريقات اللاتى يرتدين ملابس السهرة الشفافة يحتفظن بالمسدسات فى حقائبهن الرقيقة ، ذات الخيوط الذهبية » (١) .

وقد نادى بعض غلاة البيض بتقسيم كينيا على أن يستأثروا هم بالمرتفعات ، وتخصص للافريقيين والأسيويين مناطق أخرى . وقد وصل الأمر ببعض المتطرفين الى مناقشة الصلة التى تربط كينيا ببريطانيا .

ولكن الأحداث قد تطورت بعد ذلك بسرعة مذهلة . ففى خلال عام ١٩٦٠ تكونت أحزاب جديدة لتخوض المعركة الانتخابية فى فبراير ١٩٦١ ففاز حزب كينياتا الذى كان مسجونا ، فأفرج عنه وشكل أول حكومة وطنية فى ديسمبر ١٩٦٣ ، وانضمت كينيا بعد ذلك الى الكومونولث البريطانى .

الثورة فى نياسالاند (مالاوى) :

منذ عام ١٩٣٩ أعرب شعب نياسالاند عن رفضه لفكرة اتحاد وسط افريقية . وعندما أعلن ، وبالرغم من ذلك ، قيام الاتحاد سنة ١٩٥٣ ، أصر الشعب على رفضه ، مؤكدا أنه اتحاد لا يقصد به سوى ايجاد حل للمشكلات السياسية والاقتصادية التى تكتنف مستقبل روديسيا الجنوبية ، وتثبيت وزيادة النفوذ الأوروبى الاستعمارى . وقد صدق حدس الشعب ، اذ استنتج قيام الاتحاد مضاعفة نسبة الموظفين الأوروبيين وانتشار سياسة التمييز العنصرى ، وميلا عاما الى المبادىء التى يؤمن بها البيض فى اتحاد جنوب أفريقية .

لذلك لم يكن بد من نمو روح السخط . واجتمعت كلمة الشباب الثائر مع حكمة الشيوخ المجربين ، وحظى « حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى » فى نياسالاند بتأييد الجميع ، وطالب المؤتمر بفصم عرى الاتحاد الزائف ، والمطالبة باستقلال نياسالاند ، وحق شعبها المطلق فى تقرير مصيره .

ووقع الاستعمار فى حيرة فهو من ناحية لايريد اضعاف حكومة الاتحاد الممسوخ الذى اصطنعه ، ويخشى ان تنفذ روديسيا الجنوبية تهديدها الدائم بالانخراط فى جمهورية جنوب افريقية ، كما أنه من ناحية

---

(١) داخل أفريقية . المصدر السابق . جزء ثان . ص ١٩٧ .

وكان من أسباب المقاومة أيضا ما ذكرته « لجنـــة التحقيق » التى أوفدها البرلمان الفرنسى بعد ثلاث سنوات من هذه الثورة :

« لقد جمعنا فى الدومين املاك المؤسسات الدينية ، وصادرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها . وبدأنا باستعمال سلطتنا بفرض غرامة قدرها ١٠٠٫٠٠٠ فرنك « كقرض اجبارى » وذهبنا أحيانا الى حد أننا أجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هــــدم بيوتهم ، بل نفقات هدم أحد المساجد . وأجرنا ممتلكات الدومين للغير . وانتهكنا دون خجل بيوت الله ، والمقابر ، والدور كلها ذات حرمة لدى المسلمين . وقتلنا رجالا يحملون منا ورقة الأمان . وذبحنا سكان قرى عن آخـــرهم لمجرد الشك فيهم ، ثم تبينت براءتهم بعد ذلك . وحاكمنا رجالا عرفوا بالتقوى فى البلاد لأنه كانت لديهم الشجاعة الكافية لمقابلتنا والتعـــرض لغضبنا ، لا لشىء سوى السعى لاخوان لهم بائسين . وقام قضـــــاة منا بمحاكمتهم . وارتكب رجال متمدينون منا جريمة اعدامهم ، حتى لقد فقنا فى البربرية هؤلاء الذين جئنا لتمدينهم » (١) .

وارتبطت تطورات الحركة التحررية فى الجزائر بتطورات الحركة الديمقراطية والاشتراكية فى فرنسا . والموقف الداخلى فى فرنســــا ينعكس على الموقف فى الجزائر ، كما يتأثر الموقفان معا بالأحداث الدولية .

وفيما قبل الحرب العالمية الأولى ، وبعد ان تأزم الموقف الدولى ، فرضت فرنسا التجنيد الاجبارى على الجزائريين فطالب الشعب بتعديل نظام الضرائب ، وفرض المساواة بين الجزائريين والمستوطنين الاوروبيين، وغير ذلك من الاصلاحات ، ولكن فرنسا سدت آذانها عن كل هذه المطالب العادلة ، وانتشرت الحركة الوطنية التحررية ، وفر المجندون الجزائريون الى الجبال ، واندلعت المظاهرات فى أنحاء البلاد .

وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى كون الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر ، أول هيئة للنواب المسلمين فى المجالس الجزائرية، ومن بين أهدافها مساواة الجزائريين بالمستوطنين الفرنسـيين ، ووقف الهجرة الأجنبية الى الجزائر .

وفى سنة ١٩٥٢ تبلورت الحركة التحررية فى ثلاثة اتجاهات :

---

(١) ميلاد افريقيا . محمود الشرقاوى . ص ٧٦ .

١ ــ **الاتجاه الكفاحى** الذى يعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين .
٢ ــ **الاتجاه الاصلاحى** الذى يستند الى الملاك والبورجوازية .
٣ ــ **الاتجاه المعتدل** الذى تدين به جمعية العلماء ، وتتوسط به الاتجاهين .

وقد بدأ الاتجاه الكفاحى فى فرنسا بسبب وجود عدد كبير من العمال الجزائريين المهاجرين ، وهم يرتبطون بالحركة العمالية فى فرنســـا ، ويؤمنون بأفكارها الثورية . ولهذا نشأت فى ظل الحزب الشـــيوعى الفرنسى « جمعية نجم شمال أفريقية » التى انشأها الحاج على عبد القادر، ثم تولى زعامتها « مصالى الحاج » واستقل بشئونها عن الحزب الشيوعى الفرنسى ، غير أنه ظل مع ذلك وثيق الصلة به . ولقـــد أنكر الحزب الشيوعى الفرنسى الحركة التحررية فى الجزائر فى بادىء الأمر ، ثم عاد وعدل عن رأيه ، ونادى بوجوب تكوين جبهة ثورية مع العرب تكافح من أجل الاستقلال ، وتوجد بين الأقلية الأوروبية والأغلبية المسلمة (١) .

وفى سنة ١٩٣٨ عقد اجتماع ضم جميع الهيئات السياسية ، وكان هدفه الحصول على تأييد شـــعبى للمشروع الذى تقدمت به الحكومة الفرنسية للاندماج مع فرنسا ، والذى عرف بمشروع « بلوم ــ فيوليت » ، وهو يقضى بتقسيم أهل الجزائر الى طائفتين : احداهما تنتسب الى فرنسا ، وتحمل جنسيتها ، والثانية مذبذبة لم تبلغ بعد ــ فى نظر الفرنسيين ــ مرتبة الشرف لتحظى بهذه الرعوية !(٢)

وقد قام على أثر هذه الحركة الخائنة « حزب الشعب الجزائرى » واتخذ لنفسه شعارا « الجزائر بلادنا ، والعربية لغتنا ، والاسلام ديننا » وقد تحددت أهداف الحزب بالاستقلال التام ، والسيادة الكاملة .

* * *

وفى أول نوفمبر ١٩٥٤ اندلعت نيران ثورة جـــديدة هائلة فى الجزائر ... وتكونت « جبهة التحرير الجزائرى » و « جيش التحرير الوطنى » على أساس عضوية كل جزائرى يرتبط بمبادىء الجبهة بصرف النظر عن مبادئه السابقة .

ومبادىء الجبهة يتضمن استقـــلال الدولة الجزائرية لتكون ذات سيادة ونظام ديمقراطى اشتراكى ، واحترام الحريات الأساسية دون تمييز بسبب الدين أو الجنس .

---

(١) المصدر السابق . ص ٧٩ .
(٢) المصدر السابق . ص ٨٢ .

وحين خيل لفرنسا أنها قادرة على تصفية ثورة الجزائر اذا قطعت عنها مساعدة الحكومة المصرية لم تتورع عن القيام بعمل حربى شـاذ ضد مصر بالتواطؤ من انجلترا واسرائيل ، على أثر اعلانها بأنها صادرت الباخرة (أتوس) المصرية المحملة بالذخائر المصرية وهى فى طريقها الى الجزائر . وكانت فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ قدمت الى مجلس الأمن شكوى ضد مصر . وقد قام العدوان الثلاثى الغادر فى نوفمبر ١٩٥٦ . ولا شك أن هذا العدوان كان وثيق الصلة بقضية الجزائر .

ومضابط الجمعية الوطنية الفرنسية تسجل ذلك بوضوح . ففى جلسـة ٧ نوفمبر ١٩٥٦ قال النـائب الفرنسى « مارسيل بوديه Marcel Bouder » — « ان الحكومة كانت تأمل من القضـاء على مصر تسـهيل مهمتها فى القضـاء على الثورة فى الجزائر » وفى جلسـة ١٩ ديسمبر ١٩٥٦ التى كانت مخصصة لمناقشة اشتراك فرنسا فى هذه الحملة الطائشة صرح « جى موليه » رئيس الوزراء اذ ذاك قائلا « ان أسباب تدخلنا كانت جوهرية لأن العلاقة واضحة بين قضية الجزائر ومصر » .

وقالت مجلة تايم الامريكية « لعبت فرنسا فى هذه المؤامرة دور المحرض ، وقامت بريطانيا بدور الشريك المتأخر ، بينما اسـتخدمت اسرائيل كأداة للتنفيذ » .

وبمجرد تشكيل الحكومة الجزائرية فى سبتمبر ١٩٥٨ كانت مصر أول دولة اعترفت بها .

وقد حدثت نقطة التحول فى تطور الثورة الجزائرية تطورا اشتراكيا فى مارس عام ١٩٦٣ عندما أصدرت الحكومة الجزائرية عددا من المراسيم التشريعية التى تخول الحكومة تسلم الأراضى والمشـاريع التى هجرها المستوطنون الفرنسيون ، وتسليمها الى لجان « التيسير الذاتى » . وقد وصفت صحيفة « الثورة الجزائرية » هذه المراسيم بأنها « نقطة البداية فى طريق الثورة الاشتراكية » .

وكانت لجان التيسير الذاتى قد انبثقت تلقائيا من أوساط الشعب نفسه الذى علمته تجـارب الثورة التحررية القاسـية دروس الوعى السياسى ، ومرسته على الفهم الكامل لمنطق الأحداث . ولم تمض بضعة أسابيع حتى كان الفلاحون والعمال الزراعيون ، الذين ألفوا فى الماضى نواة جيش التحرير الوطنى ، يتسلمون مايربو على مليون هكتـار من

اجود الأراضى التى تخلى عنها أصحابها الســـابقون من المســـتوطنين الفرنسيين • وقد قررت لجان التيســـير الذاتى هذه أن لاتقوم بتجزئة الأراضى التى تسلمتها ، بل أن تعمل فيها كمشاريع جماعية تتولى ادارتها لجان يختارها الفلاحون أنفسهم •

ولم تمض بضعة أشهر حتى كان مايربو على المليونين والسبعماية ألف فدان من خيرة الأراضى الزراعية ، التى كان المســـتوطنون الفرنسيون يغتصبونها ويستغلونها قد تحولت الى القطاع العام • وقررت الحكومة ، فى الوقت نفسه ، تطبيقا لخطتها الاشتراكية ، تحديد ملكية ماتبقى من الأرض بالنسبة الى الملاك الجزائريين • ولقد بات من المتوقع أن يشمل الاصلاح الزراعى ستة ملايين فدان •

ولم يقتصر عمل القطاع العام على المجال الزراعى بل تعداه الى سائر الميادين الأخرى • فسرعان ماعم التأميم معظم المشاريع الكبيرة كالمصانع والمحال التجارية والفنادق والمطاعم ودور السينما •

وبذلك تكون القيادة الجزائرية الثورية قد أدركت أن الحل الوحيد لمشاكل الجزائر الاقتصادية تتطلب أول ما تتطلب تحطيم البنيـــان الاقتصادى الاستعمارى السابق تحطيما كاملا ، وانهاء ما تعـــانى منه الجماهير من فاقة وتخلف واستغلال •

(١) مجموعة الوسائل السلمية :

ا ــ دعوة الدول الاستعمارية الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنح الاستقلال للشعوب والدول التابعة فى الحال ٠

ب ــ دعوة الدول الكبرى الى الامتناع عن مساعدة الحكومات الاستعمارية ٠

ج ــ ارسال وفد من وزراء الخارجية الى مجلس الأمن أثناء نظره فى موقف الأقاليم الواقعة تحت سيطرة البرتغال ٠

(٢) مجموعة الوسائل القهرية :

ا ــ قطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين جميع الدول الأفريقية وبين حكومتى البرتغال وجنوب أفريقية ٠

ب ــ مقاطعة البرتغال وجنوب أفريقية مقاطعة اقتصادية تامة ٠

ج ــ توحيد الحركات التحررية المختلفة ٠

د ــ انشاء جيوش تحريرية ، وقوى من المتطوعين فى أقاليم الدول الأفريقية المستقلة لمؤازرة الحركات التحررية فى الأقاليم التابعة ٠

هـ ــ انشاء لجنة تنسيق لتنظيم العمل المباشر من أجل تحرير الأقاليم الأفريقية التابعة ٠

وبالفعل قطعت علاقات الدول الافريقية بجمهوريتى جنوب أفريقية والبرتغال ٠ كما شنت الدول الأفريقية حملة قوية ضدهما فى المنظمات الدولية بقصد طردهما منها ٠

ومن هذا يتبين أن حركة مكافحة الاستعمار ، والتمييز العنصرى ، بعد أن كانت قبل سنة ١٩٦٣ ارتجالا وفرديا أصبحت فى ظل منظمة الوحدة الأفريقية اجراء مدروسا وجماعيا .

وقد أظهرت الاوساط الرسمية الدولية اهتماما ملحوظا بهذا المؤتمر أثناء انعقاده ٠

ارسل نيكيتا خروشوف ــ الرئيس السابق لوزراء الاتحاد السوفيتى ــ برقية الى المؤتمر جاء فيها :

« إن انعقاد مؤتمر له هذه الأهمية هو نتيجة مقنعة لسير حركات التحرر القومى المجيد ٠ هذا السير الذى يمحو من فوق سطح الأرض

بقايا النظام الاستعمارى المشين ، ويفتح السبيل أمام الحرية والسلام والرقى للشعوب ..... » .

وارسل كيندى ـ الرئيس السابق للولايات المتحدة ـ برقية الى المؤتمر جاء فيها :

« ... ان سير أفريقية المتواصل نحو الاستقلال والوحدة والحرية ـ وهى مبادىء احترمها الشعب الأمريكى وناصرها منذ اليوم الأول من امتنا ـ يعتبر جزءا أساسيا من الكفاح التاريخى للانسان من أجل الكرامة الانسانية وتحقيق شخصيتها ... » .

ومن البرقيات ذات المغزى تلك البرقية التى أرسلها « فرنسوا دوفالييه » ، رئيس جمهورية هايتى ، الجمهورية الزنجية الوحيدة فى القارة الأمريكية ، ويقول فيها :

« ان قلب الهايتى قلب الأفريقى انتزع من أمه الأولى ، وألقى وسط القارة الأمريكية ... » ويختتم برقيته بأقوى عبارات التضامن ، فيقول:

« بين أفريقية وهاييتى مصير مشترك . اذا كانت أفريقية أكثر قوة ورخاء ، واذا كان شعبها أكثر حرية وسعادة ، فسوف تصبح هاييتى بدورها أكثر قوة ورخاء ، وسوف يصبح شعبها أكثر حرية وسعادة » .

وقد علقت صحف أوروبية كبرى على هذا المؤتمر . فقالت مجلة الاكسبريس الفرنسية بعددها الصادر فى ١٩٦٣/٥/٣٠ :

« ان توكيد هذه القومية الأفريقية قد أخرج الى حيز الواقع أفعالا ايجابية تمثلت فى قرار حاسم على اعلان الحرب .. فقد تأسست القطيعة، ونشب الاشتباك سافرا بين الدول الافريقية المستقلة الاثنين والثلاثين من جهة ، وبين حكومتى البرتغال واتحاد جنوب افريقية من جهة أخرى » .

وقالت مجلة الإيكونوميست البريطانية بعددها الصادر فى ١٩٦٣/٦/١ :

« ... اذا كان الغرب يريد ان يكون له المقدرة على اقناع الأفريقيين بأن يتجنبوا سباق التسلح ، فعلينا أن نقوم بحملة لانهاء التفرقة العنصرية » .

وفى الخطبة التى القاها الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر قال :

« ان جميع التقسيمات التقليدية التى حاول الاستعمار فرضها على القارة ، وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء . الى أفريقية

بيضاء وسوداء وسمراء ... الى أفريقية ناطقة بالفرنسية وأخرى بالانجليزية قد انهارت جميعها ، وجرفتها الحقيقة الأفريقية الأصيلة ... لم يبق على أرض أفريقية غير لغة واحدة هي لغة المصير المشترك مهما اختلفت أساليب المستعمر » .

وكتب « يوليوس نيريرى » رئيس جمهورية تانزانيا مقالا فى مجلة الاوبزرفر فى ١٢ مارس سنة ١٩٦١ ندد فيه بالتفرقة العنصرية فى جنوب أفريقية ، ودعى الى اتخاذ موقف حاسم منها . وقد جاء بهذا المقال « ان سياسة التفرقة العنصرية التى تطبق الآن فى اتحاد جنوب أفريقية تهدم الاعتقاد الراسخ فى كرامة الانسان وهى اهانة بالغة دائمة لكرامتنا كأفريقيين . ولا يعقل أن ينتظر منا قبول هذا الوضع المشين ، والبقاء غير مكترثين بما يؤذى ــ بعنف ــ عواطفنا . ولكى ننجح فى بناء مجتمع كريم فى بلدنا يجب أن نجعل استنكار نظام جنوب أفريقية واضحا فى كل فعل من الأفعال » .

١١ ــ وقد اتبعت نفس السياسة فى مؤتمر القمة الثانى الذى انعقد فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٤ تجاه حكومات جنوب افريقية والبرتغال وروديسيا الجنوبية .

وقد جاء فى البيان الذى صدر عقب هذا المؤتمر :

ا ــ « ثامنا ــ خلال مؤتمر القمة الذى عقد فى العام الماضى تم تعيين وزراء خارجية كل من ليبريا ومدغشقر وسيراليون وتونس لكى يمثلوا الاعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية لدى مجلس الأمن خلال بحث مسائل التفرقة العنصرية والاستعمار البرتغالى . وقد قدم ممثلوا هذه الدول تقاريرهم الى المجلس .

ب ــ « عاشرا ــ وقد اتخذ المجلس القرار التالى فيما يتعلق بمسألة التفرقة العنصرية :

١ ــ مطالبة جميع الدول ، وخاصة التى تقوم بينها وبين حكومة جنوب أفريقية علاقات تجارية بالتعاون فى مجال مقاطعة جنوب أفريقية .

٢ ــ مناشدة جميع الدول المنتجة للبترول أن تكف فى الحال عن تزويد جنوب افريقية بالبترول ، وكافة المنتجات البترولية الأخرى .

٣ ـ الدعوة الى الافراج عن نلسون مانديلا ، ووالتر سيرولو ، ومانجليو سوبوكوى وغيرهم من المعارضين لمسألة التفرقة العنصرية ، الذين سجنوا أو اعتقلوا طبقا للقوانين التعسفية الجائرة لحكومة جنوب افريقية »(١) ٠

وفى مايو ١٩٦٥ انعقد مؤتمر التضامن الأفريقى الأسيوى فى أكرا ، وندد أيضا بسياسة التمييز العنصرى ٠

كما وجهت سكرتارية المؤتمر الدائمة بالقاهرة الدعوة الى المؤتمر الثانى للمرأة الافريقية الاسيوية الذى تقرر عقده فى الجزائر فى يونية ١٩٦٥ ، ومن ضمن المسائل المدرجة بجدول أعماله الوضع الراهن فى جنوب أفريقية ، وتأييد النضال ضد التفرقة العنصرية ٠

ثانيا ـ على المستوى الافريقى الأسيوى :

رغم ما بذله الاستعمار فى أفريقيا وآسيا ، من جهود مضنية ليبقى على سيطرته ووجوده فيهما فان يقظة شعوبها ، وانتشار الوعى جعل هذه الشعوب تتقارب فى كل المجالات ، والمناسبات ، وتحس بقيمة تضافر القوى وأهمية توحيد الجهود والأهداف ٠

ونذكر من هذه المؤتمرات :

١ ـ مؤتمر الاجناس المضطهدة فى عام ١٩١٠ ٠

٢ ـ مؤتمر السلام فى (بيرفيل) عام ١٩٢٦ ٠

٣ ـ مؤتمر العلاقات الأسيوية فى (نيودلهى) عام ١٩٤٧ ٠ وهو وان كان مؤتمرا أسيويا بحتا الا أنه عطف على قضايا القارة الأفريقية والاستعمار الجاثم فيها ٠

٤ ـ وفى يناير ١٩٤٩ عقد فى (نيودلهى) مؤتمر آخر ٠ ويمتاز هذا المؤتمر عن سالفه بأنه كان مؤتمرا آسيويا أفريقيا ، فدل على صحوة شعوب القارتين ، وادراكها لحقيقة المعركة التى تخوضها ، ضد الاستعمار ، والتمييز العنصرى ٠

---

(١) لم تستجب حكومة جنوب أفريقية لهذا النداء العادل الصادر من ممثلى جميع شعوب القارة الأفريقية ، بل عمدت بعد قليل الى الحكم عليهم بالاعدام وتنفيذ هذا الحكم ٠

٥ ــ اجتماع (كولومبو) فى مايو عام ١٩٥٤ الذى حضره رؤساء وزراء سيلان وبورما والهند واندونيسيا وباكستان ، والذى تعرض لمشاكل الاستعمار فى قارتى أفريقية وآسيا .

وأهمية هذا الاجتماع خاصة أنه خطا خطوة واسعة نحو فكرة التضامن الافريقى الأسيوى حين قدم له رئيس وزراء أندونيسيا اقتراحا يقضى ببحث فكرة عقد مؤتمر أسيوى افريقى بقصد التعاون السياسى والاقتصادى ، فوافق عليه . وقد أشار البيان الذى صدر عن الاجتماع الى ضرورة « مكافحة التمييز العنصرى » كقضية هامة من القضايا الآسيوية الأفريقية .

٦ ــ وقد أدت الجهود التى بذلت بعد ذلك الى عقد مؤتمر (باندونج) فى أندونيسيا فى المدة من ١٨ ــ ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٥ .

وأهمية مؤتمر باندونج فى أنه نجح نجاحا عظيما رغم تعدد اتجاهات الدول المشتركة فيه . فمنها الدول المرتبطة بالمعسكر الغربى مثل باكستان وتركيا ، وفيتنام الجنوبية ، ولاوس ، وأثيوبيا ... الخ ومنها الدول المرتبطة بالمعسكر الشرقى كالصين الشعبية وفيتنام الشمالية ، ومنها الدول المحايدة كالهند وافغانستان ، وأندونيسيا . هذا بالاضافة الى الدول العربية ، وهى دول تتفاوت أيضا فى اتجاهاتها .

ذلك أن المؤتمر نص فى قراراته السياسية على « استنكار التفرقة والتمييز العنصرى القائم فى مناطق شاسعة من أفريقية ، وتأييد كفاح الشعوب ضد العنصرية » .

وجاء فى بيانه بهذا الشأن ما يلى :

« ... واستنكر المؤتمر الاسيوى الافريقى السياسات والمعاملات الخاصة بالتفرقة والتمييز العنصرى التى تقوم عليها أسس الحكم وعلاقات انسانية فى مناطق شاسعة الأطراف من أفريقية ، وفى أجزاء أخرى من العالم . فمثل ذلك السلوك لا يعتبر اعتداء خطيرا على حقوق الانسان فحسب ، بل هو كذلك انكار للقيم الأساسية للحضارة والكرامة الانسانية . وأعرب المؤتمر عن عطفه الحار ، وتأييده المطلق للموقف الشجاع الذى يقفه ضحايا التفرقة العنصرية وخاصة الشعوب الأفريقية فى أفريقية الجنوبية ... وأكد اصرار الشعوب الآسيوية الافريقية على اجتثاث جذور كل أثر للعنصرية ، وتعهد باستخدام نفوذه المعنوى الكامل للحيلولة

دون خطر سقوط ضحايا لهذا الشر فى أثناء نضال الشعوب فى سبيل اجتثـــاثه » .

٧ ــ ثم انعقد فى القاهرة المؤتمر الأول لتضامن الشعوب الأفريقيـــة الآسيوية بين ١٩٥٧/١٢/٢٦ ، و ١٩٥٨/١/١ ، وأصدر قراراته الآتية الخاصة بالتفرقة العنصرية :

ا ــ استنكر المؤتمر التفرقة العنصرية فى جميع صورها .

ب ــ ندد المؤتمر بموقف حكومة جنوب أفريقية فى هذا الصدد .

جـ ــ ناشد المؤتمر جميع حكومات العالم والآمم المتحـــدة وجميع الدول الأعضاء العمل فى سبيل استئصال التفرقة العنصرية.

٨ ــ وفى المدة من ٥ ــ ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ عقد فى اكرا مؤتمر أفريقى حضره أكثر من ٣٠٠ مندوب يمثلون ٦٢ هيئة فى ١٨ بلدا أفريقيا. ولبيان أهمية هذا المؤتمر اعتبر جزءا من الحركة الكبرى . حركة التضامن الأفريقى الآسيوى . فقد أرسلت السكرتارية الدائمـــة للتضامن الافريقى الاسيوى وفدا عنها لحضـــور المؤتمر ، واعلان تأييدها له .

وقد احتج المؤتمر بشدة على التفرقة العنصرية ، واستنكر القوانين التى تميز بين النـــاس ، وبخاصـــة قوانين جنوب أفريقية وروديسيا الجنوبية ، والمناطق البرتغالية .

وأوصى المؤتمر الشعوب الافريقية بالآتى :

ا ــ توقيع عقوبات اقتصـــادية على جنوب أفريقية احتجاجا على التفرقة العنصرية ، ويجب أن تشمل هذه العقوبات مقاطعـــة بضائع جنوب أفريقية .

ب ــ جميع البلاد الأفريقية التى تمد جنوب أفريقية بالعمال عليها أن تستخدم هذا الحشد من العمال لاستعمالها الخاص ، لمنعهم عن العمل بصناعة جنوب أفريقية .

جـ ــ الاحتفال بيوم ١٥ ابريل من كل عام كيوم حرية أفريقية .

د ــ الغاء الانتداب فى جنوب أفريقية ، واتخاذ خطوات لمنح جنوب غرب افريقيا استقلاله .

هـ ــ اعطاء جميع البلاد الافريقية الاستقلال المبـــاشر حتى يمكن القضاء على التفرقة العنصرية وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٩ ـ وفيما بين ٣ و ٧ يناير ١٩٦١ اجتمع مؤتمر « الدار البيضاء » من الجمهورية العربية المتحدة ، والحكومة الجزائرية المؤقتة ، وغانا، وغينيا ، ومالى ، والمغرب ٠

وجاء فى الفقرة الأولى من ميثاق الدار البيضاء :

« نحن رؤساء الدول الافريقية المجتمعين فى الدار البيضاء ٠٠٠ ادراكا منا لمسئولياتنا نحو القارة الأفريقية نعلن تصميمنا على العمل على نصرة الحرية فى جميع أرجاء افريقية وتحقيق وحدتها » ٠

ثالثا ـ على الصعيد الدولى :

١ ـ ان الرأى العام العالمى اليوم لم يعد يقبل سياسة التفرقة العنصرية ولا فلسفتها ، وخاصة بعد أن مرت البشرية فى حروب ، وشاهدت غزوات شاملة ٠ فمن اختلاط العالم القديم نتيجة قيام الامبراطورية الرومانية وانتشار الاسلام بالغزو والتجارة من أدنى العالم الى أقصاه ، وهجوم قبائل المغول فى قلب آسيا على الأصقاع الغنية فى أوروبا ، واختلاط الشرق بالغرب فى الحروب الصليبية وما بعدها ، والاستكشافات الجغرافية ، وولوج الغرب العالم الجديد واحراش « القارة المظلمة » ـ كما يسمونها ـ وتعدد الهجرات بالجملة ، ونشأت بفعل ذلك كله دول جديدة مثل استراليا ، ونيوزيلنده ، واتحاد جنوب أفريقية ، والولايات المتحدة ، وجمهوريات أمريكا اللاتينية ، واختلطت الأجناس والأنساب ٠ ففرنسا وايطاليا مثلا خليط من الجرمان والسلت والفندال والفرب والمغول والبيض والسمر . والمانيا خليط من المغول والتتار والسلت والصقالبة الآريين . وانجلترا خليط من أبناء قبائل أوروبا الذين غزوها منذ روما القديمة بواسطة يوليوس قيصر ٠ والعرب خليط من السمر والمغول والتتار والصقالبة والسود وأهل البادية وأهالى حوض البحر الأبيض المتوسط ٠ والولايات المتحدة خليط من الأنجلو ساكسون والجرمان واللاتين والعرب والهنود الحمر ٠

ولا يمكن تبعا لذلك ادعاء نقاء العنصر فى أى دولة من دول العالم ، أو محاولة نسبتها الى هذا الجنس أو ذاك مع تجاهل سائر الأجناس الأخرى التى اختلطت بها ٠

فضلا عن أنه يصعب الارتكاز على فكرة الدين أو الحضارة كأساس للتمييز العنصرى ، أو بين دولة وأخرى . ذلك لأن الأديان مشتركة بين الانسانية جمعاء ، ولا تصلح كأساس لقيام دولة من الدول ، أو للتفرقة بين الشعوب وكذلك الحضارة • فان قوة الدفع الزمنى للتطور العالمى عملت وتعمل على تداول الحضارة، وانتقالها من مكان الى مكان •• ومن شعب الى شعب ••• فليست مقصورة على أيهما ، وليست احتكارا لأحد • وقد سارت الشعوب خطوات بعيدة نحو المساواة ، والقضاء على التمييز العنصرى ، وحطمت العقبات التى تعوق دون ذلك •

٢ ــ وفى سنة ١٩١٩ ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بذلت جهود كبيرة للنص فى ميثاق « عصبة الأمم » على المساواة بين الناس والاجناس استكمالا لمقترحات الرئيس ولسون بالنص على حرية الرأى والعقيدة فى الميثاق . وطالب البارون ماكينو ، مندوب اليابان فى اللجنة التحضيرية بضرورة بحث موضوع المساواة بين الشعوب كمبدأ أساسى للعصبة ، ولضمان نجاحها ، وعلى أن يتعهد الأعضاء بمعاملة جميع رعاياهم ورعايا بعضهم البعض معاملة قائمة على المساواة والعدالة دون تمييز بسبب الجنس أو اللون . واستند فى هذا الطلب الى اشتراك جميع الشعوب فى تلك الحرب جنبا الى جنب ، والتضحية من أجل كسب الحرب ولتحقيق مثل عليا مشتركة • ولكن الدول الاستعمارية حاربت كل هذه الاتجاهات، وتجاهلت كل الاعتبارات فلم يأخذ بأى من الاقتراحين • ولم تحفل عصبة الأمم بين الحربين العالميتين بمصائر الشعوب المضطهدة ولا بتحقيق المساواة بين البيض وغير البيض •

٣ ــ ولكن تغير الوضع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كرد فعل للاضطهاد العنصرى أثناء سيطرة النازية على أوروبا • وجاء فى ميثاق الأمم المتحدة ــ التى حلت محل عصبة الأمم ــ مايلى :

« نحن شعوب الأمم المتحدة •••• وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الأساسية للانسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية لهذا فان حكوماتنا قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة وأنشأت بمقتضاه هيئة تسمى الأمم المتحدة » •

وجاء فى الفقرة الثالثة من المادة الأولى بشأن مقاصد الميثاق مايلى :

« تعزيز احترام حقوق الانسان ، والحريات الأساسية للناس جميعا ، والتشجيع على ذلك اطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين » ٠

وجاء فى المادة الخامسة والخمسين بالفقرة (حـ) ما يؤكـد المساواة بين الشعوب والأجناس ٠ وفى ذلك تقول :
« أن يشيع فى العالم احترام حقـوق الانسان ، والحـريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين » .

وقد صدر الاعلان العالمى لحقوق الانسـان فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بموافقة الجمعية العامة للامم المتحدة بما يشبه الاجماع٠ وهو تعهد أدبى دولى يؤيد المساواة بين الشعوب بلا تمييز بسبب اللون أو الجنس ٠

وهناك الانفاق الأوروبى لحقوق الانسان الذى وقع عليه فى روما بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ٠ وأضـيف اليه بروتوكول باريس الذى أمضى فى ٥ مارس سـنة ١٩٥٢ ، ودخل فى دور التنفيذ فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ ٠ وهو يضمن الحريات الهامة لمواطنى الدول الأعضاء مع بيانها بطريقة أكثر عمقا وايجابية ٠

وقد اهتمت دساتير ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاتجاهات السياسية والاجتماعية لعالم اليوم وضرورة السير حثيثا نحو القضاء على الكراهية بين الناس على أساس التفرقة بين الأجناس ، وتحكم الأغلبية فى الأقلية والعكس ٠ وجاء فى العديد منها ، مثل دساتير فرنسا وايطاليا ويوغسلافيا ما يوطد دعائم السلام ، وضمان حريات الفرد ، وعدم اضطهاده بسبب الرأى والعقيدة ، ويحطم حواجز التمييز العنصرى ٠ كما أن دستورنا المؤقت الصادر فى مارس سنة ١٩٦٤ يساير روح عالم اليوم ٠

وقد جاء فى ميثاقنا الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وأقره المؤتمر فى ٣٠ يونية سنة ١٩٦٢ مايلى :

« ان الحرية وحدها هى القادرة على تحريك الانسان الى ملاحقة التقدم وعلى دفعه ٠ والانسان الحر هو أساس المجتمع الحر ، وهو بناؤه المقتدر » ٠

وعلى ضوء هذه الروح نفسها أصدرت حكومة الولايات المتحدة فى يوليو ٩٦٤ « قانون الحقوق المدنية للملونين » .

٤ ـ ولقد واصلت المنظمة ، والهيئات واللجان المختلفة المنبثقة منها - جهودها الجبارة لتصفية الاستعمار ، وبحث مشكلة التفرقة العنصرية والقضاء على جراثيمها ، وتوصية الدول التى تمارس هذه الأساليب الهمجية بضرورة الاقلاع عنها . ولم تأبه لجان المنظمة باحتجاجات هذه الدول الاستعمارية ، ولا بمزاعمها القائلة بأن المسألة فى نطاق السيادة التى لا سلطان للدول الأخرى ، ولا للمنظمة الدولية عليها .

ففى ١٤/١٢/١٩٦٠ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بمنح البلاد المستعمرة استقلالها ٠

٥ ـ وبناء على هذا القرار قدمت الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول الأخرى اقتراحا لمجلس الأمن تطالب فيه بالاحترام اللازم لحقوق الانسان وحرياته الأساسية فى أنجولا ٠ الا أن هذا القرار لم يحصل على الأغلبية وان كان أصدقاء البرتغال لم يؤيدوها ولكن امتنعوا عن التصويت فقط ٠

وفى ٦ يونية سنة ١٩٦١ بدأ مجلس الأمن ـ بناء على طلب المجموعة الأفريقية الأسيوية ـ فى مناقشة الموقف فى أنجولا ٠ وكان مصير هذا الطلب كسابقه وان نجح نجاحا جزئيا باصدار مجلس الأمن قرارا فى ٩ يونية سنة ١٩٦١ يطلب فيه من البرتغال الكف فورا عن اتخاذ اجراءات القمع ٠

وأصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها الاخير فى ٢٠ يناير ١٩٦٢ ، وأعلنت فيه أن استمرار البرتغال فى رفض اعترافها بالأمانى المشروعة لشعب أنجولا يشكل مصدرا دائما للاخلال بالأمن الدولى ، ويهدد السلام ٠ واستنكرت الجمعية العامة بشدة التدابير الهمجية ، والأعمال المسلحة التعسفية التى تتخذها البرتغال ضد شعب أنجولا ، وانكار حقوق الانسان ٠

وفى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ طلبت الجمعية العامة من مجلس الأمن اتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بتنفيذ البرتغال التزاماتهـــا ازاء الجمعية العامة ٠

٦ ــ وفى ١٥ نوفمبر ١٩٦٣ دعا مجلس ادارة مكتب العمل الدولى ، التابع لهيئة الأمم المتحدة ، المدير العام للمكتب بالاجماع الى أن يتقدم بصفة عاجلة الى اللجنة المشكلة من مجلس الادارة لشئون جنوب افريقية بمقترحات بشأن ما يمكن أن تسهم به هيئة العمل الدولية فى سبيل القضاء التام على التفرقة العنصرية ، والعمل الواجب اتخاذه لضمان حماية الكرامة الانسانية واحترام مبادىء الدستور ٠

واستجابة لهذه الدعوة وضع البرنامج الحالى لهيئة العمـــل الدولية فى سبيل القضاء على التفرقة العنصرية فى جمهورية جنوب افريقية ٠ وقد تم وضع هذا البرنامج على أساس أوفى وأحدث المعلومات المتوافرة لمكتب العمل الدولى ٠

وقد جاء فى التصريح الذى اذاعه مكتب العمل الدولى بهـــذا الشأن مايلى :

ا ــ « ان حكومة جنوب افريقية لم تعجز فقط عن ان تعاون فى تحقيق الأغراض المحدودة فى ديباجة الدستور ، بل ما برحت تشرع وتطبق السياسة غير الانسانية للتفرقة العنصرية التى تتنافى كلية مع أغراض ومبادىء هذا الدستور ٠ ومن ثم تخلق موقفا مفزعا ٠

ب ــ « وحيث ان تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة لجميع البشر، بغض النظر عن العنصر ، لم يعد أمرا يتعلق بالشئون الداخلية لجمهورية جنوب افريقية وحدها ٠

جـ ــ « وبما أن مجلس أمن الأمم المتحدة بمقتضى قراره الاجماعى الصادر فى ٤ ديسمبر ١٩٦٣ أكد الاعتقـــاد بأن الموقف فى جنوب أفريقية يعكر السلام والأمن الدولى الى حد خطير ٠

د ــ « ولما كانت جمهورية جنوب أفريقية تنتهك باصرار ، وبأسلوب صارخ هـــذا المبدأ عن طريق الاجراءات التشريعية والادارية وغيرها مما يتنافى مع الحقوق الأساسية للانسان ، بما فيها

من التحرر من عمل السخرة ، والحرية النقـــابية ، وحرية اختيار العمل والمهنة •

« وبما أن مثل هذا الانتهاك العمد والصارخ لذلك المبدأ قد ثبت بواسطة هيئة العمل الدولية عن طريق تحرى الحقائق فيما يتعلق بالسخرة ، والحرية النقابية ، والتحرر من التفرقة العنصرية بالنسبة للاستخدام والمهنة •

هـ ـ « وحيث ان مؤتمر العمل الدولى قد شجب بقرار اتخذه فى ٢٩ يونيو ١٩٦١ السياســـات العنصرية لحكومة جنوب أفريقية ، ودعا هذه الحكومة الى الانسحاب من هيئة العمـــل الدولية الى أن تقلع عن التفرقة العنصرية •

« ولما كانت جنوب افريقية قد تغاضت عن دعوة مؤتمر العمل الدولى لها بالانسحاب من عضوية الهيئة ولكنها عادت كنتيجة للمناقشات والتطورات التى حدثت فى دورة ١٩٦٣ للمؤتمر، وللقرارات التى اتخذها مجلس الادارة فى يونيو ونوفمبر ١٩٦٣، وفى فبراير ١٩٦٤ فأبلغت بمذكرتها المؤرخة ١١ مارس ١٩٦٤ القرار الذى اتخذته بالانسحاب من الهيئه •

و ـ « وحيث أن مجلس الأمن قد أعرب فى قراره الاجماعى رقم س/٥٤٧١ الصادر فى ٤ ديسمبر ١٩٦٣ عن « اعتقاده الراسخ فى أن سياسات التفرقة والتمييز العنصرى كما تمارسها حكومة جنوب افريقية تثير اشمئزاز الضمير الانسانى ، وأنه لابد من ايجاد بديل ايجابى لهذه السياسات واستنكر عدم استجابة حكومة جمهورية جنوب افريقية الى النداءات التى تضمنتهـــا القرارات الموجهة اليه من الجمعية العامة ومجلس الأمن » •

ز ـ « فان المؤتمر العام لهيئة العمل الدولية قد وطن العزم على أن ينهض بمسئوليته نحو تهيئة الحرية والكرامة لشعب جنوب أفريقية ، والقيام بدوره فى ضمانهما ، على أن يعارض سياسة التفرقة العنصرية التى تمارسها حكومة جنوب افريقية •

« ومع توكيده بان الحكومة التى تمارس عمدا التفرقة العنصرية ليست جديرة بالانتماء الى مجتمع الأمم .

وقد استعرض برنامج هيئة العمل الدولية التشريعات الشاذة والاجراءات الجائرة التى تمارس حكومة جنـــوب

أفريقية التمييز العنصرى عن طريقها ، وأبرز على ضوئها عدة اقتراحات جادة بناءة منها :

ا — تهيئة تكافؤ الفرص والتسوية فى المعاملة بغض النظر عن العنصر فى مجال الاستخدام والمهنـــة والتدريب المهنى وابطال كل التشريعات واللوائح والاجراءات التى تحول دون ذلك ٠

ب — الغاء الأحكام الخاصة بمكاتب العمل التى يتضمنها قانون العمل الوطنى لعام ١٩١١ ، واللوائح التنفيذية الصادرة بالتطبيق له فى ٦ يناير ١٩٥٩ ٠

جـ — الغاء الأحكام المنظمة لدخول الوطنيين المناطق الحضرية، والمحددة لاقامتهم فى هذه المناطق ، والتى يتضمنهـــا قانون « المناطق الحضرية » لعام ١٩٤٥ ، واللوائح الصادرة بمقتضاه ٠

د — الغاء العقوبات الجنائية الخاصة بفسخ عقود الاستخدام٠

هـ — الغاء احكام التشرد ٠

و — الغاء قانون الوطنيين ٠

ز — الغاء القسم ٧٥ من قانون السجون لعام ١٩٥٩ الذى يبيح تأجير المساجين للافراد والشركات والجمعيـــات ، أو وضعهم تحت تصرف الحكومة ٠

ح — منح الافريقيين نفس الحماية المكفولة بمقتضى القـانون الجنائى العام ، والغاء القسم رقم ٩ من قانون ادارة شئون الوطنيين لعام ١٩٥٧ ، الذى يخول القوميسيرين الوطنيين سلطات قضائية جنائية على الوطنيين ٠

ط — الغاء التفرقة على أساس العنصر بالنسبة لحق التنظيم النقابى للعمال . ومن أجل هذا يجب ان تلغى جميـــع النصوص القانونية التى تستثنى العمال الأفريقيين من قانون التوفيق الصناعى فيما يختص بحـــرية تكوين النقابات ، أو الانضمام اليها ، أو الاضراب .

ويختتم التقرير عباراته بمايلى :

« ان مثل هذه التغييرات البعيدة المدى انما تستتبع تبديلا كليا لتشريع العمل والخدمات الاجتماعية والعلاقات الصناعية فى جمهورية جنوب أفريقية • وعلى هيئة العمل الدولية أن تعد نفسها لتأدية دورها الملائم بالتعاون مع الأمم المتحدة فى وضع خطط أبعد وأشمل لتحقيق هذا الفرض ، وتستهدف تحقيق الهدف المبين فى القرار الذى أصدره مجلس الأمن بالاجماع بشأن حل الموقف الراهن فى جنوب افريقية » •

خاتمة

ان مشكلة التمييز العنصرى اليـوم لم تعد مسألة تفرقة جنسية ــ كما كانت فى الماضى ــ بين الجنس الأوروبى وغيره من الأجناس .. وانما هى جزء من مخطط استعمارى يطلق عليه « الاستعمار الجديد » الذى حل محل الاستعمار القديم .

يقول الدكتور قوامى نكروما فى كتابه الأخير (الاستعمار الجديد) : « يمثل الاستعمار الجديد اليوم الامبريالية فى آخر مراحلها ، واشدها خطرا على الغالب . فقد كان من الممكن فيما مضى تحويل أية بلاد مغلوبة على أمرها الى مستعمرة . أما اليوم فقد باتت هـــذه العملية متعذرة ومستحيلة .

« ويتلخص جوهر الاستعمار الجديد فى ان الدولة الخاضعة له تكون من الناحية النظرية مستقلة تمام الاستقلال ، ومتمتعة بجميع الزخارف الشكلية للسيادة الدولية . أما فى الواقع فان نظامها الاقتصادى ، وبالتالى سياستها الخارجية ، يكونان خاضعين للتوجيه من الخارج . ويتخذ شكل هذا التوجيه وطرائقه فى الغالب صورا شتى . ففى الحالات المتطرفة ترابط قوات الدولة الامبريالية فى أراضى الدولة الخاضعة للاستعمار الجديد لحمايتها ، والسيطرة على حكومتها . لكن ممارسة السـيطرة الاستعمارية تكون فى الغالب ، عن طريق الوسائل الاقتصادية والمالية . وقد تجد الدولة الخاضعة له نفسها مرغمة على استيراد السلع المصنوعة من الدولة الامبريالية وحدها ، دون أن تتعرض هذه السلع لمنافسة منتجات دولة أخرى .

« وتكون الدولة الممارسة للسلطة فى ظل نظام الاستعمار الجديد ، فى الغالب ، هى عين الدولة التى كانت تحكم البلاد الخاضعـة له فى السابق . لكن هذا الوضع ليس حتميا دائما . فقد كانت فرنسا مثلا

هى الدولة الامبريالية السابقة فى فيتنام الجنوبية . أما الآن فقد انتقلت سيطرة الاستعمار الجديد الى الولايات المتحدة · ومن المحتمل ان يعهد بسيطرة هذا الاستعمار الجديد ، فى بعض الحالات ، الى مجموعة احتكارية من المصالح المالية لاترتبط بدولة معينة بالذات · ولعل سيطرة الاحتكارات المالية الدولية الكبرى على الكونغو فى الوقت الحاضر هى خير نموذج على هذه الحالة ·

« فالدولة الخاضعة للاستعمار الجديد ليست حرة فى تقرير مصيرها· ولعل هذا العامل هو الذى يجعل من الاستعمار الجديد خطرا بالغا يهدد السلام العالمى »(١) ·

ويقول :

« ولايستمد حكام الدول الخاضعة للاستعمار الجـديد قدرتهم على الحكم من ارادة شعوبهم وانما يستمدونهـــا من العون الذى يلقونه من سادتهم المستعمرين الجدد · ولذا فلايبدى هؤلاء الحكام اهتماما بتطوير التعليم ، ولا بتقوية القدرة على المساومة عند عمالهم الذين تستخدمهم المؤسسات الأجنبية · كما لايتخذون أية خطوة تهدفُ الى تحدى النظـام الاستعمارى فى التجارة والصناعة ، اذ أن هدف الاستعمار الجديد هو الحفاظ عليه (٢) .

ويقول عن أساليب الاستعمار الجديد :

« بالرغم من أن السيطرة الاقتصادية هى هدف الاستعماريين الجدد الا انهم لا يحصرون عملياتهم فى المجال الاقتصادى ، فهم يلجأون الى نفس الأساليب الاستعمارية القديمة فى التسلل من دينية وتعليمية وثقافية .

ولكن هذا التخريب غير المباشر كله لايكاد يقارن فى نتائجه بالهجوم العنيف الذى تشنه الرأسمالية العالمية · فهناك تقوم (امبراطورية رأس المال) التى تتجسد فى شكل شبكة واسعة الامتداد من النشاط داخل القارة على صعيد واسع التنوع والتشعب ، تسيطر على أرواح الملايين من الناس فى هذه الاجزاء التى تعتبر أكثر من غيرها فى انحاء العالم تباعدا وانفصالا ، وتدير صناعات بأكملها مستغلة عمال وثروات شعوب القارة

---

(١) ترجمة خيرى حماد . أهرام ١٣/٣/١٩٦٦ ·

(٢) المصدر السابق . أهرام ١٤/٤/١٩٦٦ ·

لارضاء جشع قلة من الناس . وهنا يكمن ينبوع السلطان ، ومركز توجيه السياسات ضد التيار التقدمي القوى . وهنا يتمثل العدو القاسى لوحدة افريقية واستقلالها » (١) .

ويقول :

« اثار تحرر عدد من الدول الجديدة من النير الاستعمارى مشـكلة رئيسية جديدة ، وهى كيفية الاحتفاظ بهذه البلاد ضمن اطار العلاقات الاستعمارية بعد ان نزعت سيطرة الاستعمار . وهكذا بدأت المرحـلة الجديدة فى تطور الامبريالية ، وهى تكييف الاستعمار للأوضاع الجديدة التى خلقتها تصفية السيطرة السياسية للدول الاستعمارية ، ليتمكن الاستعمار من الحفاظ على وجوده بأساليب أخرى . وليست فيتنـام وكوريا والعدوان على السويس والجزائر الا أمثلة صارخة على المدى الذى تصل اليه الدول الامبريالية فى محاولتها الحفاظ على مستعمراتها . وهو موقف يتعزز بتدخل أمريكا كالقوة القيادية فى الصراع على السـيطرة الاحتكارية الرأسمالية العالمية . وقد اتخذ هذا الصراع محتوى مذهبيا عن طريق رفع شعار (مكافحة الشيوعية) ، وجعله الحافز على القتـال من أجل اعادة القطاع الاشتراكى فى العالم من جـديد الى السيطرة الاستغلالية لاحتكارات الغرب المالية .

« وكانت المعركة المحمومة للسيطرة على الزيت ، واعتبارها عاملا رئيسيا ضخما فى اخماد الحركات الشعبية التى قامت فى عـدد من المستعمرات وشبه المستعمرات فى الشرقين الأدنى والأوسط والشرق الأقصى وشمال أفريقيا وأمريكا اللاتينية . وليست سلسلة الأحداث التى وقعت فى ايران والعراق والكويت وعدن والعربية السعودية وكوبا وفنزويلا والبرازيل والجزائر ، والتى تفجرت فى شكل ثورات وحروب الا جزءا من حوافز الصراع على الزيت والسيطرة عليه » .

« ويضاف الى ذلك احتكارات التعدين ، والمواد الأولية ، والغذائية والاستعدادات العسكرية ، والحروب العديدة التى خاضتهـا الدول الاستعمارية مع مستعمراتها منذ انتهاء الحرب ، ومن تطوير أدوات الفضاء النووية الرهيبة ، ومن السباق المحموم على الزعامة فى ميدان اكتشاف الفضاء » .

---

(١) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٢ .

« وليست المجموعة الأوروبية التى تمثل السوق المشتركة الا صورة واحدة منها »(1) .

ويقول عن دور أمريكا بالذات فى الاستعمار الجديد :

« وبالرغم من سياسة العدوان السافر التى تتبعها الولايات المتحدة فى أماكن كثيرة من العالم فانها كثيرا ماتتظاهر بأنها الدولة المناهضة للاستعمار فى استنكارها للامبريالية البريطانية . ويقول آى . بالم . دات فى المقال الذى نشره فى مجلة (الشئون الدولية) الصادرة فى موسكو فى اغسطس عام ١٩٦٤ تحت عنوان (سياسة بريطانيا الاستعمارية ومنافسات الاستعمار الجديد) : « ان هذا الموقف مهلهل اذ كثيرا مايسقط القناع الزائف حتى عند عرض مشروعات القرارات المناهضة للاستعمار التى تتقدم بها الأغلبية الممثلة فى دول الكتلة الأفرو أسيوية والكتلة الاشتراكية فى الأمم المتحدة ، اذ كثيرا ماتجد أمريكا وبريطانيا نفسيهما وحيدتين ، أو معهما فرنسا والبرتغال وجنوب أفريقية واستراليا ضد هذه القرارات » .

« ولاحظ الموجهون الدهاه لرأس المال الأمريكى ارتفاع المد القومى فى المناطق المستعمرة ورأوا فيه فرصة للتسلل الى المناطق التى كانت الامبرياليات المتنافسة تحرص على جعلها وقفا عليها وحدها »(2) .

وقد بلغت الاستثمارات الخارجية لأوروبا وأمريكا :

	سنة ١٩٠٠	سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٤٩
	مليون دولار	مليون دولار	مليون دولار
أمريكا	٥٠٠	١٩٠٠٠	١٩٠٠٠
بريطانيا	١٢٠٠٠	١٧٠٠٠	١٢٠٠٠
فرنسا	٦٠٠	٧٠٠٠	٢٠٠

اما استثمارات أمريكا وحدها فى أفريقيا بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٨ فقد زادت من ١١٠ مليون دولار الى ٧٨٩ مليون دولار . وقد جاءت هذه الزيادة — لامن زيادة رءوس الاموال المستثمرة — وانما من الأرباح التى

---

(1) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٤ .

(2) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٨ .

تحققت لها فى هذه الفترة التى تلت الحرب الأخيرة . أى انها حققت أرباحا توازى ٨٠٠ ٪ .

وقد ارتفعت قيمة التجارة الأمريكية مع أفريقية فى هذه الفترة نفسها من ١٥٠ مليون دولار الى ١٢٠٠ مليون دولار . وهو رقم يمثل نحو ١٥ ٪ من مجموع تجارة أفريقية الخارجية كلها (١) .

وقبل الحرب العالمية الثانية لم تكن نسبة استثمارات أمريكا فى القارة الافريقية تزيد على ٣ ٪ من مجموع استثماراتها الخارجية ، بينما لم تزد نسبة تجارة القارة معها على ٥ ٪ من مجموع التجارة الأفريقية(٢) .

ومن الضرورى حقا لفهم مايقع فى العالم اليوم ، وفى افريقية بوجه خاص ، أن نتعرف على المؤثرات والضغوط الاقتصادية التى تقف وراء الأحداث السياسية .

ولعل أول مانلاحظه من تلك العلاقات الامبريالية الاحتكاريه المتشابكة هو التسلل المستمر من جانب المجموعات المالية العالمية ذات السلطات السياسية فى المشروعات الصناعية والتجارية الضخمة التى تتحول الى السيطرة على الاقتصاديات القومية والعالمية بحيث تتحكم مصالح هذه الاحتكارات فى السياسات القومية والعالمية ، ويحتل ممثلوها مراكز هامة فى الحكومة والجيش والبحرية والسلك السياسى والقوة الجوية ، وفى كافة الهيئات التى تصنع السياسات وتقررها ، وفى المنظمات والهيئات الدولية (٣) .

ولقد ذكر الدكتور نكروما مثلا رائعا على هذا الاخطبوط السياسى ذى الأذرع الاقتصادية فقال :

« فى عام ١٩٠٤ ذكر رئيس جمهورية ليبريا ، آرثر باركلى ، ان قرض المائة ألف جنيه استرلينى الذى عقدته ليبريا مع بريطانيا عام ١٨٧١ بفائدة قدرها ٧ ٪ ، والذى لم يصل منه فى الواقع الى خزينة الدولة سوى ٢٧ ألفا بسبب الاختلاسات الرسمية ، يتطلب سداده تخصيص جميع عائدات البلاد لمدة ثلاث سنوات متعاقبة . وقد نجحت الحكومة البائسة فى عقد قرض آخر دولى بمليون وسبعماية ألف دولار أسهمت

---

(١) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٨ .

(٢) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٩ .

(٣) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٣١ .

فيه جميع البيوتات المالية فى بريطانيا وفرنسا وهولندة وألمانيا وأمريكا .
ولم يصل الى الخزانة الليبيرية من هذا القرض الا جزءا تافها بينما مضت الأرباح الخيالية الى المصارف صاحبة القرض . ولم تتمكن حكومة ليبيريا من سداد الفوائد المركبة المتراكمة الا فى عام ١٩٢٦ عندما حصلت عن طريق شركة فايرستون الأمريكية على قرض جديد قيمته خمسة ملايين دولار بفائدة ٧ ٪ لم تتسلم منه ليبيريا حتى عام ١٩٤٥ سوى نصفه . وهكذا وجدت ليبيريا نفسها تحت وطأة هذه الديون مضطرة الى منح شركة فايرستون امتيازات واسعة فى أرضيها لزراعة أشجار المطاط (١) .

ويقول عن حقيقة الوضع الراهن فى الدول المستقلة حديثا :

« حقيقة هذا الوضع أن معظم دولنا الأفريقية الجديدة تجد نفسها وقد ولدت من رحم الاستعمار مذعورة من عالم الفاقة والمرض والجهل والإفتقار الى الموارد المالية فتتردد فى قطع الشعرة الباقية التى تشدها الى « الأم » الامبريالية التى ولدتها »(٢) .

ويسكن افريقية نحو ٢٨٠ مليونا من الناس . أى نحو ٨ ٪ من مجموع سكان العالم بينما لاتمثل افريقية أكثر من نحو ٢ ٪ من مجمل انتاج العالم . ومع ذلك فان عمليات المسح لموارد افريقية الطبيعية تظهر أن فى القارة ثروات هائلة لم يكشف عنها بعد . ونحن نعرف ان مخزونات الحديد فيها تبلغ ضعف مخزوناته فى أمريكا . كما تبلغ ثلثى مخزوناته فى الاتحاد السوفييتى ، وأنها تقدر بنحو بليونى طن . وتقدر مخزونات الفحم فى افريقية بأنها كافية ليستمر الانتاج نحو ٣٠٠ عام . وهناك حقول بترول جديدة يجرى اكتشافها فى جميع أرجاء القارة .

وتضم أفريقية أكثر من ٤٠ ٪ من الطاقة المائية فى العالم كله ، وبذلك تفوق حصتها من هذه الطاقة حصة أية قارة أخرى . ومع ذلك لم يستخدم من هذه الطاقة حتى الآن أكثر من ٥ ٪ منها . وبالرغم من وجود المناطق الصحراوية الفسيحة فيها فانها تضم من الأراضى الصالحة للزراعة والرعى أكثر من تلك التى تضمها الولايات المتحدة الامريكية ، أو الاتحاد السوفيتى . وفيها من هذه الأراضى أكثر مما فى القارة الاسيوية كلها .

---

(١) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٤/٢ .

(٢) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/٢٢ .

وتبلغ مساحة مناطق الغابات فى قارتنا ضعف مساحتها فى الولايات المتحدة .

ولكى نعطى فكرة عن أهمية الثروة المعدنية فى أفريقية نذكر انها تنتج ٩٥ ٪ من انتاج العالم من الكوبالت ، ٩٠ ٪ من الماس ، ٩٠ ٪ من اليورانيوم ، و ٤٠ ٪ من الفوسفات ، و ٦٥ ٪ من الكروم . ومعظم هذه المعادن تتركز فى جنوب ووسط القارة .

ولكى نأخذ فكرة أخرى عن أهمية تلك المعادن للدول الاستعمارية نذكر أنها تصدر لبريطانيا ١٩ ٪ من مسحوق الصفيح ، ٢٩ ٪ من برادة الحديد ، ٨٠ ٪ من المنجنيز ، و ٤٦ ٪ من النحاس ، ٤٧ ٪ من البوكسيت ، و ٥٠ ٪ من الكروم ، و ٦٦ ٪ من الاسبستوس ، و ٨٢ ٪ من الكوبالت ، ٩١ ٪ من الانتيمون .

كما أنها تصدر لفرنسا :

٣٢ ٪ من القطن ، ٣٦ ٪ من برادة الحديد ، و ٥١ ٪ من الزنك ، ٨٥ ٪ من الرصاص ، و ١٠٠ ٪ من الفوسفات .

كما تصدر لألمانيا :

٨ ٪ من النحاس ، ١٠ ٪ من الحديد ، ١٢ ٪ من مسحوق الرصاص ، و ٢٠ ٪ من المنجنيز ، و ٧١ ٪ من الفوسفات .

وبالرغم من ان افريقية تملك أكثر من ٥٣ ٪ من أهم المعادن الأساسية ، والموارد الأولية اللازمة للصناعة فى العالم فان هذه القارة مازالت متخلفة كل التخلف فى ميدان التنمية الصناعية(١) .

ويقول تقرير اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة الذى نشر فى ديسمبر عام ١٩٦٢ تحت عنوان (التطور الصناعى فى افريقية) ان الفجوة التى يخلقها البحر الأبيض المتوسط بين القارات قد اتسعت بسرعة فى القرن العشرين تفوق سرعة اتساعها فى أى وقت سابق . وقد يكون معدل الانتاج الفردى قد زاد فى أفريقية ، ولاسيما فى الحقبتين الأخيرتين اللتين شهدتا زيادة تتراوح بين ١٠ ٪ و ٢٠ ٪ ، ولكن البلاد الصناعية شهدت فى الفترة نفسها زيادة تبلغ ٦٠ ٪ ، ويبلغ معدل انتاجها الصناعى الفردى نحوا من ٢٥ ضعف معدل الانتاج فى أفريقية اذا اعتبرناها وحدة كاملة .

---

(١) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٣/١٤ .

ويكون هذا الفرق بالنسبة الى الجزء الأكبر من القارة أكثر من هـــذه النسبة • وذلك لأن الصناعة تميل الى التركيز فى مناطق صغيرة فى الشمال والجنوب •

وتقول التقديرات ان نحوا من ٥٠ ٪ من مجمـــوع رءوس الأموال الأجنبية المستثمرة فى افريقية تتركز فى جنوب افريقية • ويبلغ مجموع الاستثمارات البريطانية وحـــدها ٢٨٠٠ مليون دولار بينما تصـــل الاستثمارات الأمريكية الى نحو ٨٤٠ مليون دولار • واظهرت الأرقام الأمريكية ان أكثر القطاعات فائدة هو قطاع الاستثمارات فى عمليات التعدين وصهر المعادن فى جنوب افريقية اذ ان نسبة الارباح فيها تفوق نسبتها فى أى استثمار آخر فى الولايات المتحدة نفسها • والتفســـير الوحيد لهذا الارتفاع فى الأرباح هو رخص الأيدى العاملة فى افريقية •

وتعتبر مجموعة دى بيرز الانجلو ــ امريكية المسيطرة على اقتصاد جنوب افريقية ــ بالاضافة الى امتداد نفوذها الى افريقية الجنوبية الغربية وزامبيا ، والى ارتباطها بشركات التعـــدين فى معظم الدول الأفريقية الأخرى • وتعتبر مناجم الذهب واليورانيوم والفحم والاسبتسوس من أهم مجالات عمل الاتحاد الانجليزى ــ الامريكى فى جنوب أفريقية • وتعتبر مناجم النحاس أهم نشاطات الاتحاد فى زامبيا (روديســـيا الشمالية) وروديسيا الجنوبية • وقد انتشرت مصـــالحه عن طريق الشركات المرتبطة به الى تنجانيقا واوغنده والكونجو وانجولا وموزمبيق وافريقية الغربية ، بل والى الصحراء الكبرى وافريقية الشمالية[1] •

يتضح من ذلك ان الاستعمار الجديد :

١ ــ له مصالح حيوية بالغة الأهمية تدفعه الى الاحتفاظ بالمناطق التى توجد فيها المواد الأولية والأيدى العاملة الرخيصة فى أفريقية •

٢ ــ ان الاستعمار الجديد له نفس وسائل الاستعمار القديم أن لم يكن فى الشكل ففى المضمون •

لذلك فانه منذ استقلت معظم دول القارة رأى ان سبيله الوحيد الى استنزاف ثرواتها الحيوية بالنسبة له ان يتركز فى الجنوب والوسط ، وان ينشىء حزاما قويا يضم هاتين المنطقتين وعلى الاخص جمهورية جنوب

---

(١) المصدر السابق • أهرام ١٩٦٦/٤/٦ •

افريقية ، وجنوب غرب افريقية ، وروديسيا الجنوبية ، وانجـــولا ، وموزمبيق والكونغو وهى المناطق الغنية بالمعادن وخاصة النحاس . كما انشأ حزاما آخر فى الشمال من ليبيا الغنية بالزيت وتونس والمغرب . وبذلك أصبحت الدول المتحررة فى وسط القارة واخصـــها الجمهورية العربية المتحدة بين فكى كماشة استعمارية .

وتأييدا ، وحمـــاية ، لهذين الحزامين الكثيفين نجح الاستعمار الجديد فى ان يقوم أخيرا بعدة انقلابات سريعة خاطفة كالآتى :

١ ـ انقلاب بوروندى فى ١٩ اكتوبر ١٩٦٥
٢ ـ انقلاب الكونغو ليوبولدفيل فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥
٣ ـ انقلاب داهومى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥
٤ ـ انقلاب افريقية الوسطى فى ١ يناير ١٩٦٦
٥ ـ انقلاب فولتا العليا فى ٣ يناير ١٩٦٦
٦ ـ انقلاب نيجيريافى ١٦ يناير ١٩٦٦
٧ ـ انقلاب غانا فى ٢٤ فبراير ١٩٦٦

ولقد تنبأ المراقبون السياسيون بتأهب الاستعمار الجديد للزحف نحو المناطق الباقية من القارة بعد أن بدأ يهـــاجم على جبهة عســكرية وسياسية واقتصادية ونفسية واسعة ، وبعد ان بدأت الرجعية العربية تتحول من موقف الانكماش والتقوقع الى موقف الانطلاق ، والدعاية لأحلاف استعمارية كالحلف الاسلامى ، والصلح مع اسرائيل .

ويضيفون الى تلك الحوافز البارزة على الهجوم الاستعمارى الجديد ذلك التمزق الواضح فى المعسكر الشيوعى بين روسيا والصين بسبب خلافهما العقائدى ، وتدخل أمريكا كقوة استعمارية صريحة فى جميع المناطق التى يريد أن يثبت فيها الاستعمار الجديد أقدامه (١) .

---

(١) انظر مقال : القاهرة هدف الزحف الاستعمارى الرجعى الجديد للاستاذ محمد حسنين هيكل . ملحق الأهرام الصادر فى ١٩٦٦/٤/٨ .

أهم المراجع العربية

ـ افريقيا تحت أضواء جديدة : باذل دافدسن ٠ ترجمة جمال٠م٠ أحمد (نشر دار الثقافة ـ بيروت) ٠

ـ نمو الحضارة : و٠١٠ برى٠ ترجمة لويس اسكندر (باشراف وزارة الثقافة) ٠

ـ نهر النيل : د٠ محمد عوض محمد ٠

ـ تاريخ مصر وافريقيا فى العصر الحديث : د٠ على ابراهيم عبده ٠

ـ تاريخ افريقية : رولاند اوليفر (بالاشتراك) ٠ ترجمة د٠ عقيلة محمد رمضان ٠

ـ النظم الاسلامية : د٠ حسن ابراهيم (بالاشتراك) ٠

ـ تراث الاسلام : مقالات لمجموعة من المستشرقين ٠ ترجمة د٠ حسين مؤنس (نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم) ٠

ـ الدين والحضارة الانسانية : د٠ محمد البهى (نشر دار الهلال) ٠

ـ كيف تفكر أفريقية : و . أ . ابراهيم . ترجمة خيرى حماد .

ـ دفاع عن الزنوج : أحمد محمد عطية ٠

ـ اضطاد الزنوج فى أمريكا : طاهر عبد الحكيم ٠

ـ التفرقة العنصرية فى افريقية : د٠ فؤاد الصقار ٠

ـ الدفاع الاقتصادى ضد الاطماع الاستغلالية الاسرائيلية : محمد عبد العزيز أحمد (بالاشتراك) ٠

ـ سجل الارهاب الصهيونى : من مطبوعات الدار القومية ٠

ـ المجتمع ومشاكله : جروف سامويل ٠ ترجمة ابراهيم رمزى ٠

ـ موجز تاريخ العالم : هـ٠ج٠ ويلز ٠ ترجمة عبد العزيز توفيق جويد

ـ افريقيا وراء الصحراء : صلاح صبرى ٠

ـ الجغرافية السياسية لافريقية : د٠ فيليب رفله ٠

- داخل افريقية : جون جنتر • ترجمة باشراف حسن جلال العروسى (نشر مؤسسة فرانكلين) •
- البرتغال فى افريقية : جيمس دفى • ترجمة جاد طه •
- نهاية الاستعمار البرتغالى : محمد هنائى •
- الحرية المدنية فى جنوب افريقية : ادجار •هـ• بروكس (بالاشتراك) ترجمة محمود أحمد حسين •
- الاستعمار الجديد : د• قوامى نكروما • ترجمة خيرى حماد (من مجموعة جريدة الاهرام) •
- قضية كينيا : د• عبد العزيز كامل (سلسلة المكتبة الثقافية) •
- الحرب الاقتصادية : صلاح نصر •
- القومية الأفريقية : ندا بانتجى سيتهول . ترجمة عبد الواحد ابراهيم الامبابى •
- الاستعمار البرتغالى فى افريقية : فيكتور سيدنكو • ترجمة سلسلة قضايا سياسية •
- جنوب افريقية أمس وغدا • امبروز ريفز • ترجمة مرقص صليب •
- أضواء وآراء فى القومية والحرية والاشتراكية : خيرى حماد •
- ميلاد افريقيا : محمود الشرقاوى •
- شمال افريقية : أمين شاكر (بالاشتراك) سلسلة اخترنا لك • عدد ٨ •
- التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية : ابراهيم عبد الفتاح خليفة (سلسلة كتب سياسية) •
- التفرقة العنصرية فى افريقية : صلاح الدين بدير •
- الملونون : يحيى عاكف •
- سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية واهدار حقوق الانسان (تقرير اللجنة الدولية للقانونيين بسويسرا) ترجمة كتب سياسية •
- التفرقة العنصرية : د• أحمد سويلم العمرى •
- السوق الافريقية المشتركة : محمد الجبالى •
- افريقيا تتكلم : جيمس دفى (بالاشتراك) ترجمة عبد الرحمن صالح
- التطور الاقتصادى الحديث فى افريقية : د• راشد البراوى •
- دراسات فى اقتصاديات القارة الافريقية : فؤاد محمد شبل •
- اسرائيل الزائفة : فريد عبد الله جورجى •
- مصير أفريقيا : ايف ديسار . ترجمة غياث حجار .

- افريقيا الحرة : د. احسان حقى (نشر المكتب التجارى ـ بيروت) .
- التضامن الافريقى الاسيوى : د . شوقى الجمل .
- افريقيا الثائرة : البير تيودجرى . ترجمة سعيد الغز (بالاشتراك) من منشورات المكتب التجارى ببيروت .
- منظمة الوحدة الأفريقية : د . بطرس بطرس غالى .
- أفريقية الأرض والناس : العميد . محمد عبد الفتاح ابراهيم .
- تقرير مكتب العمل الدولى بجنيف عن التفرقة العنصرية .
- مجموعة جريدة الأهرام .
- مجموعة مجلة نهضة افريقية
- مجموعة مجلة الكاتب .
- مجموعة مجلة الهلال

أهم المراجع الأجنبية

1 — Africa : Dreck karthon.

2 — African Nationalism : Ndabaniningi Sithole.

3 — The unification of south Africa : L.M. Thompson.

4 — Inside Africa : Jhon Junther.

5 — An African Survey : Lord Haily.

6 — The New west Africa : Davidson Basil.

فهـــرس

صفحة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

العدد ٢٠٢
ـــ
الثمن ٣٠
١٩٦٧/١/٢٩